ألوان من قصص الأطفال في الأدب العالمي

ألوان من قصص الأطفال في الأدب العالمي

ترجمة
محمد نجدة راجي شهيد

مراجعة
مصطفى محمد فؤاد

هنـــداوي

ألوان من قصص الأطفال في الأدب العالمي

Folktale Stories for Kids

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شيبت ستريت، ويندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: يوسف غازي

الترقيم الدولي: ٧ ٢٣٨٢ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر الكتاب الأصلي باللغة الإنجليزية في تاريخ غير معروف.
صدرت هذه الترجمة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب، وتصميم الغلاف، والترجمة العربية لنص هذا الكتاب مُرَخَّصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المُصنَّف، الإصدار ٤,٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

سر المسافر	٧
رجل الغابة والأمير	١٩
سيف مغروس في صخرة	٢٧
حورية البحر الصغيرة	٣٥
الخنازير الصغيرة الثلاثة	٤٣
الساحر خزر	٤٧
قصة ثورة قرية فوينتي أوفيخونا	٥١
وليمة الدببة	٥٧
البحث عن البحيرة السحرية	٦١
القط البارع	٦٧
الجنِّيان الصغيران والإسكافي	٧١
شبكة الويب الدولية	٧٥
جولديلوكس والدببة الثلاثة	٨١
بائعة الكبريت الصغيرة	٨٥
ملابس الإمبراطور الجديدة	٨٩
مولان	٩٣
الرهان	٩٧
الشتاء الطويل	١٠٣
المرآة السحرية	١٠٧
بوتس وأَخَواه	١١١

العريس الإمبراطوري ١١٧
كيف تطير الطائرات؟ ١٢١
أصيص الزرع الفارغ ١٢٥
بينوكيو ١٢٩
مغامرات الدب الصغير بابلو ١٣٩
الغزال بامبي وحياته في الغابة ١٤٧
العجوز كوني ١٥١
السحاب ١٥٩
الكرة السحرية ١٦٣
الحِصان السحري ١٦٩
أرض الأكاذيب ١٧٧
الكتابة على الجدران ١٨٩
ستيفان وجيرالد الجبان ١٩٣

سر المسافر

كان يا ما كان، رجل اسمه أوجست كان يعمل في تجارة النبيذ، ويعيش مع زوجته نينا وابنتهما المحبوبة الصغيرة. كانت الطفلة الصغيرة مصدرَ سعادة لا تُوصَف لوالِدَيها. وفي أحد الأيام، وبينما كانت الزوجة نينا تُعِدُّ حساءَ الخضار لطفلتها التي كانت تلعب في فِناء البيت تحت أشعَّة الشمس الدافئة، دخل خِلسةً رجل شرير وأمسك بالفتاة وهرب بها.

يُمكن للمرء أن يتصوَّر بسهولة مقدارَ حزن وكمَد الأبوَين اللذَين حاولا بكل الطرُق والوسائل استعادة ابنتهما بلا جدوى، ولم يبقَ أمامهما سوى أن يُهون أحدهما على الآخَر هولَ المُصاب، والصبر على المصيبة التي حلَّت بهما وأصابتهما في ابنتهما الوحيدة.

مرت خمس سنواتٍ من البكاء والحزن المتواصل على فقدان ابنتهما، لم يتمكَّنا خلالها من العثور على أي أثرٍ لها.

وفي مساء أحد الأيام، وبينما كان أوجست عائدًا إلى البيت، لِقيَه في الطريق ولدٌ صغير يبلغ من العمر حوالي سبع سنوات، ناداه قائلًا: «من فضلك يا سيدي، أنا جائع.»

فقال أوجست للصغير: «حسنًا يا صغيري. تعال معي إلى البيت لتتناول العشاء معنا.»

ثم أمسك بيد الصغير وسأله: «ما اسمُك يا بني؟»

قال الصغير: «أورستو.»

قال أوجست: «وأين أمك؟»

ردَّ الصغير بحُزن: «تُوفِّيت منذ يومَين فقط ووُورِيَت الثرى.»

شدَّ أوجست برفقٍ على يد الصغير.

وسأله: «وأين والدُك؟»

قال الصغير: «لم أره من قبلُ على الإطلاق. كان عمري سنتَين فقط عندما تركَنا وذهب ليبحث عن الرزق في الأرض، كما ذكر ذلك في رسالةٍ تركها وراءه قبل سفره. ومنذ ذلك الوقت انقطعَت أخباره عنا ولم نَعُد نسمع عنه شيئًا، وأخذَت أُمي تَبكيه كما لو أنه قد فارق الحياة.»

قال أوجست للصغير: «يُؤسِفني ذلك يا بني.» وخطر ببال أوجست على الفور تبنِّي هذا الصغير ليكونَ مصدر سعادةٍ وسلوى له ولزوجته. لكن بالطبع كان عليه أولًا أن يتحدَّث إلى زوجته نينا حول هذا.

شعر أوجست بغِبطةٍ كبيرة لرؤية زوجته كيف أحسنَت استقبال الصغير في بيتها.

وهكذا تبنَّى أوجست وزوجتُه هذا الولدَ الصغير. وأبدى أورستو الكثير من مظاهر الحُب والعرفان بالجميل نحوَ أبوَيه بالتبنِّي حتى إنهما شعرا بالامتنان والرضا لِقيامهما بتبنِّي هذا الصغير الذي ملأ حياتهما بالبهجة والسرور. وكبر أورستو وهو مثالٌ للولد الصالح والبار بأهله، وكان مُتفوِّقًا في دراسته وتعلَّم القراءة والكتابة بشكلٍ جيد.

وعندما بلغ أورستو أشُدَّه، بدأ والده يستعين به في تجارة النبيذ حيث برَع أورستو في عمله وأثبت جدارته وقُدرته في توصيل الطلبات كما يجب من منزلٍ إلى آخر.

لكن هذا النوع من العمل لم يَستهوِ أورستو كثيرًا؛ كان يُريد عملًا آخر يُساعده على زيادة دخلِ والدَيه وزيادة ثروتهما لتُوفِّر لهما حياةً كريمة في مرحلة الشيخوخة. وهكذا أعطى أوجست ابنه بالتبنِّي بعضَ النقود عندما بلغ الثامنة عشرة من العمر ليبدأ بها عملًا جديدًا. واشترى أورستو عددًا من أكياس التِّبن تمكَّن من بيعها بربحٍ جيد.

اشترى أورستو بعد ذلك المزيد من أكياس التِّبن وبيعها أيضًا بربحٍ جيد. وهكذا أخذَت تجارته بعد فترةٍ قصيرة من الزمن تنمو وتزدهر يومًا بعد يوم، وتمكن من شراء عربةٍ وحصان ودكَّان صغير.

ابتسم الحظ بالفعل كثيرًا لهذا البيت الصغير، لكن دموع الحزن كانت تنهمِر من الأبوَين في غفلةٍ منهما كلَّما تذكَّرا ابنتهما المفقودة التي لم يتمكَّنا من نسيانها على الرغم من فرَحِهما بوجود أورستو. ومن فترةٍ إلى أخرى كانت تظهر الكآبة بوضوح على وجه نينا، وكان أورستو عندما يعود إلى البيت يجد أُمَّه (هكذا كان يُناديها) في أغلب الأحيان غارقةً في حزن شديد.

كم كان يرغب أن يُهوِّن عليها، وكان مُستعدًّا لأن يُضحي بنصف عمره؛ ليعرف المصيرَ الذي لاقته هذه الفتاة الصغيرة المسكينة.

وفي هذه الأثناء قام أورستو ببناء بيتٍ صغير وجميل على تلةٍ تُحيط بها الأعشابُ الخضراء من كل جانب، وطلب من أبوَيه بالتبنِّي أن ينتقِلا إلى البيت الجديد ليعيشا هناك. وهكذا توقَّف أوجست عن العمل في تجارة النبيذ. وأخذ يُمضي كلَّ وقته وهو يعمل في حديقة المنزل بجانب زوجته الوفية، وهما يتحدَّثان طيلة الوقت تقريبًا عن ابنهما الشابِّ أورستو.

وفي أحد أيامِ الآحاد، كانوا يتناولون طعام العَشاء عندما سمِعوا طَرْقًا على الباب. فخرج أورستو ليرى مَن الطارق، وعاد ليُخبر أبويه بوجود أحد عابري الطريق على الباب يطلُب استضافته لفترةٍ من الوقت للراحة. رحَّب الثلاثة بالرجل وأفسحوا له مكانًا على الطاولة ليُشاركهم في تناول طعام العشاء. كان المسافر رجلًا كبيرًا في السن تفُوح منه رائحةُ الطرُقات وقد غزا الشَّيب رأسه، ويضع قبعةَ قشٍّ كبيرةً غطَّت معظم وجهه.

جلس الرجل معهم إلى الطاولة وبادرَهم بالشكر لاستقبالهم له من دون معرفةٍ مُسبقة. وقام بعد ذلك بوضع أغراضه في زاوية البيت وهو ينظر فيما حوله، ثم قال: «كنتُ مسافرًا على الطريق منذ يوم أمسِ بدون راحةٍ ولا زاد، وسأكون مُمتنًّا لكم لو وفَّرتم لي قليلًا منهما.»

قالت نينا للمسافر: «تفضَّل اجلس معنا إلى الطاولة.» وقام أورستو بإحضار طبق طعام ووضعه أمام الضيف. وأضافت نينا قائلة من باب المجاملة: «كما ترى، نحن هنا وحْدَنا، وسنكون سُعداء أن نتحدَّث مع مسافر يستطيع أن يُخبرنا عما يجري في العالَم.»

أجاب المسافر بصوتٍ هادئ: «أخشى يا سيدتي العزيزة ألا أتمكن من إخباركم الكثير؛ لأنني أُعاني من مرضٍ شديد منذ أكثرَ من سنة، ولم يَمْضِ على خروجي من الكهف الذي كنتُ أعيش فيه سوى أيامٍ معدودة فحسب.»

خيَّم الصمت على الجميع، ولم يعُد أحد يتحدَّث حول هذا الموضوع طيلة فترة تناول العشاء، وبدا الجميع كما لو كانوا يتقصَّدون الحديث حول أشياء عادية؛ بُغيةَ تفادي الظهور بمظهر المُتطفِّلين.

وفي وقتٍ لاحق، وبينما كانوا يجلسون حول المدفأة الجدارية، نظرَت نينا في النار المُوقَدة كما تفعل كل يوم. ثم صاحت فجأة:

«أوه، ليتني أعرف شيئًا عن أحوال ابنتي الصغيرة المسكينة الآن؟»

سأل الضيف باهتمامٍ ما إذا كانت لديهم ابنة؛ فأخبرته نينا عن ذلك اليوم المروِّع الذي فقدَت فيه ابنتها، وكيف أنهما تبنَّيَا أورستو لاحقًا ليحلَّ مكان ابنتهما المفقودة. وكان

المسافر يُنصت إليها باهتمامٍ مُتزايد وهو يمسح بين الفينة والأخرى قطراتٍ من العرق قبل أن تتساقط عن جبينه مما أثار استغراب أوجست ونينا الشديد؛ وذلك لأن الغرفة باردةٌ أكثر مما هي دافئة. وكثيرًا ما كان المسافر يُقاطع برفقٍ حديث نينا ليستفسِر منها حول بعض التفاصيل.

وعندما انتهت نينا من رواية قصتها، بدا وجه الرجل شاحبَ اللون مثل لون الحجر، وأخذ يُحدق بشكلٍ مُتواصل في أورستو. ثم سرعان ما انهار على الأرض فاقدًا الوعي.

قالت نينا: «لقد كان صديقنا المسكين صادقًا عندما أخبرَنا بمرضه الشديد الذي يبدو أنه لا يزال يُعاني منه. سأُعِدُّ له الفِراش ليستطيع أن يرتاح قليلًا.»

وقام أورستو وحمَل المسافر بين ذراعَيه ووضعه برفقٍ فوق الفراش. فتح الرجل العجوز عينَيه وأخذ يُحدِّق بما حوله في دهشةٍ واستغراب، ثم همس قائلًا: «سيسيليا.»

ثم غطَّ بعدَها في نومٍ عميق. ويبدو أنه نام بعمق طيلة الليل، وذلك لأنه استيقظ عند الفجر وأخذ يستعد للمغادرة.

استيقظ أورستو أيضًا عند الفجر، وانطلق بعربته نحو سوق المدينة ليبيع بضاعته هناك كما يفعل كل يوم. ولكنه تفاجأ كثيرًا عندما رأى هذا المسافر العجوز يقف أمامه في وسط الطريق ويُناديه باسمه وهو يطلُب منه التوقُّف.

سأل أورستو المسافر بعد أن توقف بالعربة ونزل عنها: «ماذا تريد أيها العم الطيب؟»

فأجابه قائلًا: «لديَّ شيء هام جدًّا أريد أن أُخبرك به، ولم أستطع أن أبوح به لليلة أمس أمام والدَيك.»

قال أورستو: «في هذه الحالة، لا حاجة بي إلى سماع ذلك أبدًا؛ فأنا لا أُخفي عنهما أيَّ أسرار. تستطيع أن تقول أمامهما ما تريد أن تقوله لي.»

قال المسافر: «أتوسَّل إليك أن تسمعني وحدَك كاستثناءٍ هذه المرة؛ إكرامًا لي كرجلٍ عجوز ربما يُفارق الحياة قريبًا. عندي سِر يقضُّ مضجعي يجب أن أبوح به لك.»

قال أورستو: «وهل لي علاقة بهذا السر؟»

قال المسافر: «نعم. وسوف تعرف عاجلًا أم آجلًا مَن هما أبواك الحقيقيَّان.»

حدَّق أورستو في الرجل مَليًّا، ثم قال: «أخبرني بما لديك إذن.»

قال المسافر: «لا، ليس هنا. اعقل حِصانك إلى جذع الشجرة وتعالَ معي إلى الكهف حيث لا يسمعنا أحد، وتستطيع في الوقت نفسِه أن تُراقب من هناك عربتَك وحِصانك.»

كان الكهف يبعد عن موقعهما خطواتٍ قليلة. وقام أورستو بعقل الحصان إلى جذع الشجرة، وتوجَّه مع الرجل الغريب إلى داخل الكهف الذي كان غارقًا في ظلامٍ دامس مع خيطٍ بسيط من أشعة الشمس يتسلل إلى داخله. وسرعان ما بدأ الغريب حديثه.

قال: «هل تُحب أوجست ونينا كثيرًا؟»

أورستو: «كيف لك أن تسأل عن هذا. إنني لا أستطيع مهما فعلتُ أن أرُدَّ لهما جميلهما طيلة حياتي مقابل هذا العطف والحنان الذي لقيتُه منهما.»

قال المسافر: «بل تستطيع؛ لأنك سوف تُعيد إليهما ابنتهما المفقودة التي حزنا عليها لسنواتٍ عديدة.»

صاح أورستو: «أين هي؟ هل تعلم أين هي؟»

أجاب العجوز: «نعم أعلم، وسوف أُخبرك ذلك، ولكن مقابل أن تصفح عن الخاطف وألا تُحاول الانتقام منه.»

قال أورستو: «ومن هو ذلك الشقي البائس الذي خطف الفتاة الصغيرة من والديها؟»

قال الرجل: «أنا.»

أفلتَت من أورستو صيحةٌ شديدة من هول المفاجأة، ورفع يده يريد أن يهويَ بها على وجه الرجل من شدَّة الغضب، ولكنه عندما رأى الشيب الذي يكسو رأسه وتذكر الوعد الذي قطعه على نفسه، أمسك نفسَه وأنزل يده.

وفي اللحظة ذاتِها، انفتح جدار خلفي في الكهف، وخرجت منه حورية جميلة تُحيط بها الأنوار الساطعة. أشارت الحورية بأصبعها نحو العجوز وهي تقول: «أورستو، هذا الرجل هو والدك.» لتختفيَ من بعدِها وينغلق الجدار، ويعود الظلام يُخيم على الكهف كما كان من قبل.

شعر أورستو كأنه تلقَّى ضربةً بمطرقة على رأسه. كان هذا والده الذي يقول الآن بأنه هو الذي خطف ابنة والدَيه بالتبنِّي. وكان عليه أن يتلمَّس بيدَيه أطراف جسده عدة مراتٍ ليتأكد أن رأسه لا يزال فوق كتفَيه. ومع ذلك شعر فجأةً في داخله بحبٍّ لا حدود له تجاه ذلك العجوز الذي افتقده لسنواتٍ طويلة ويبدو الآن تجسيدًا حيًّا للبؤس والمعاناة. جثا أورستو على رُكبتَيه وقال: «سامحني يا أبي لعدَم سماعي من قبلُ لنداء الدم الذي يجري في عروقي.»

عانق المسافر أورستو وضمَّه بشدة إلى صدره وهو يقول: «بل أنا مَن يَجِب أن يطلب العفو والمغفرة، وليس أنت. أتوسَّل إليك أن تنظر بعين الرحمة والعطف إلى أفعالي الخاطئة، التي أحاول الآن فقط أن أُصححها قدْر ما أستطيع، وأن أضع كل شيءٍ في نِصابه الصحيح.»

قال أورستو: «على الرغم من أني بالكاد أتذكرك، إلا أنَّ أُمي علَّمَتني أن أحترمك دائمًا.»

قال المسافر: «آه. أمك. لقد أحببتُها كثيرًا.»

سأله أورستو: «ولماذا هجرتَها إذن؟»

قال الرجل: «اسمعني جيدًا يا بني، وآمُل أن تفهم ما سأقوله لك. الإنسان لا يستطيع أن يُفلِح في معارضة قوانين الطبيعة.»

شعر أورستو بحيرةٍ كبيرة.

وروى المسافر قصته على النحو التالي:

«حين كنتُ صغيرًا، كنتُ أخاف الموت بشدة. لقد أرعبني جدًّا هذا الشعور بأن كل البشر سيُلاقون يومًا نفس المصير؛ يُغادرون هذه الحياة الدنيا إلى عالم القبور. لقد كنتُ مُستعدًّا لأن أبيع نفسي للشيطان لو وعدَني بحياةٍ أبدية في هذه الدنيا.

وعندما قابلتُ أمك ووقعتُ في غرامها بجنون، منعني هذا الخوف الوضيع من أن أطلب منها الزواج. وكنتُ أشعر بالقلق حيالَ فكرة أن أموت قبلها وتتزوَّج هي من بعدي مرةً ثانية، وازداد هذا الشكُّ في عقلي المريضِ حتى سبَّب لي قلقًا مُخيفًا.

وأخيرًا علمتُ أن هناك عند سفح الجبل المجاور يعيش ساحرٌ ماكر يتنبَّأ بالغيب، فذهبتُ إليه حيث قال لي إنه يستطيع أن يضمن لي حياةً مستمرة لمدة مائتَي عامٍ بشروطٍ مُعينة. شعرتُ بسرور بالغ لسماع ذلك، وقبلتُ بكل الشروط التي ذكَرها على الفور. قال لي: «يجب أن تتزوَّج آنيتا (وهذا هو اسم أُمِّك)، على أن تُعطوني أول ولدٍ تُرزَقون به. أنا أعيش في قصرٍ بلوري في أعماق البحر الأدرياتيكي لا يُمكن الوصول إليه إلا عبر كهفٍ تحت الماء يُدعى رِواق الدُّلفين. أحضِر الطفلَ إليَّ وستجدُني هناك بانتظارك. وهذا هو المفتاح، وهذه هي خارطة الطريق.» وأعطاني مفتاحًا ذهبيًّا وقطعةً صغيرة من الجلد الملفوف مرسومًا عليها طريق الوصول إلى القصر بطريقةٍ واضحة لا يُمكن معها لأحدٍ أن يضل.

ونظرًا إلى أنني لم أكن أعلم في ذلك الوقت ما هو معنى حُب الأب لأبنائه، استسهلتُ هذه الشروط، وقُمتُ بالتوقيع على العقد الذي أعدَّه الساحر بسرورٍ بالغ. كان جُل همي أن أتزوَّج آنيتا بأسرع وقتٍ ممكن وأن أحصل بعدَها على حياةٍ طويلة معها. وقبل أن يسمح لي الساحر بالمغادرة قال لي: «انتبِه جيدًا. إذا لم تُوفِ بشروط العقد كما يجِب فسوف تموت في الحال أنت وزوجتك وابنك.»

تزوَّجتُ أمَّك بعد عدة أسابيع، وكانت أغلى شيءٍ في حياتي. ولكن سرعان ما بدأت مُعاناتي. وعندما ولدَتك أُمك، لاحظَتْ أنني لم أُظهِر الفرح المُعتاد في مثل هذه المناسبات الجميلة كما كانت تأمُل. ولم أستطع أن أُخبرها بأمر عقدي مع الساحر، وما كنتُ لأُخبرها، وأخذتُ أفكر بتعاسةٍ في أن هذا المخلوق الصغير المسكين الذي هو أنت، والذي كنتُ لأُضحي من أجله بسعادةٍ بكل شيء، سوف يَدفع ثمن السنوات الطوال التي ساومتُ عليها من أجل نفسي. كان حُبي لك يا بُني بلا حدود. وعندما كبرتَ واشتدَّ عودك، نسيتُ تقريبًا كل شيء عن العقد المُرعب. وبدا لي كما لو أنني أكثرُ الناس حظًّا على وجه الأرض. كنتُ أكسب القليل من المال بالكاد يكفينا معًا للبقاء على قيد الحياة، ولكن ذلك لم يُهمَّني. كنتُ أرى نفسي غنيًّا من خلال عينَيك الجميلتَين اللتين كنتَ تنظر دائمًا بهما نحوي عندما بدأتَ تُناديني بأبي.

وهكذا مرت سنوات قليلة بسرعة. وفي إحدى الليالي، ظهر لي الساحر وذكَّرني بالعقد الذي بيننا. هدَّدني وزوجتي بالموت وبموتك أنت أيضًا إذا لم آخُذك إليه في الحال. وفي صباح اليوم التالي، استيقظتُ لأكتشف أنك كنتَ مريضًا وتشعُر بالحُمَّى. وفهمتُ على الفور هذه الرسالة التحذيرية. شعرت بالخوف الشديد لدرجة الجنون، وقمتُ على إثر ذلك بكتابة كلماتٍ قليلة لزوجتي العزيزة آنيتا قلتُ فيها إنني ذاهب للبحث عن فرصة عمل أفضل، وبأنني سأعود يومًا ما عاجلًا أم آجلًا.

انطلقتُ نحوَ الحقول لا ألوي على شيءٍ حتى وصلتُ إلى هذا الحي ولمحتُ فتاةً صغيرة تلعب في فِناء البيت. وقررتُ فورًا أن أخطفها وأُقدِّمها للساحر الماكر عوضًا عنك، وأن أعود بعد ذلك ثانيةً إلى زوجتي في البيت. وبكل أسف، هذا ما فعلته.

وعندما رآني الساحر قادمًا وأنا أُمسك بالطفلة الصغيرة قال لي: «لو تأخَّرتَ ساعةً أخرى واحدة فقط لكانت هذه نهايتكم جميعًا.»

بدأت الطفلة في البكاء. وحاولتُ عَبَثًا تهدئتها. وطرَق الساحر على الجدار البلوري لقصره ليُظهر أمامي دميةً جميلة ناطقة هدَّأت من روع سيسيليا. هذا هو الاسم الذي كنتُ أُناديها به حتى اليوم.

سألني الساحر: «ماذا كانت ردَّة فعل زوجتك عندما أخذتَ منها الطفلة الصغيرة؟»

كنتُ خائفًا وما كان عساي أن أقول له غير أنها لعنَتني وأقسمَتْ بألَّا تراني ثانيةً.

قال الساحر: «آه. كنتُ أتوقَّع منها أن تقول ذلك. والآن دعني أُقدِّم إليك معروفًا آخر.»

سرَتْ في أنحاء جسمي قشعريرة باردة عند سماعي ذلك وتلعثمتُ وأنا أقول له: «شكرًا يا سيدي، أنا لا أرغب بالفعل في أكثرَ من الحياة لمائتي عام التي وعدْتَني بها.»

قال لي: «نعم هذا مفهوم. أنت ستعيش مائتي عام، ولكن هذا بشرط ألا تُحاول خطف سيسيليا منِّي لأن هذا يُشكِّل انتهاكًا للعقد الذي بيننا. ولكني أريد أن أُقدِّم لك معروفًا آخر. وبما أن زوجتك قد طردتك ولم تعُد تستطيع أن تعود إلى البيت، فيمكنك أن تمكُث هنا مع ابنتك لترعاها وتهتمَّ بشئونها.»

أردتُ أن أرُدَّ ولو بكلمةٍ على ما قاله الساحر، لكنه سارع بالقول: «هذه رغبتي. وهذا ما سيكون عليه الأمر. اعتنِ بالطفلة هنا من أجلي، وعندما تبلغ الثامنة عشرة من العمر سأعود لآخُذها. وليكن معلومًا لديك أنك إذا تركتها تهرُب، أو إذا حاولتَ أنت أن تفعل ذلك، فسوف تموت لا محالة، مع العِلم أنه سيكون من المُستحيل بالنسبة لك أن تهرُب من هنا في كل الأحوال؛ لأن قصري منذ هذه اللحظة مفصولٌ عن قاع البحر الأدرياتيكي، ويتنقَّل من مكانٍ إلى آخَرَ وسط أعشاب البحر والمَرجان.» لقد كنتُ مُقتنعًا بصحة ما يقول؛ لأني كنتُ أشعر بالفعل بالقصر يهتزُّ طيلة الوقت كما لو كنَّا على ظهر سفينة.

لن أُحاول أن أصِف لك مدى القلق، والندم، وتأنيب الضمير الذي كان يُؤرِّقني طيلة الفترة التي كنتُ فيها مُحتجزًا في القصر. لقد تركتُ زوجتي وطفلي، وخطفتُ طفلةً صغيرة من أُمِّها، ووقع كِلانا أخيرًا في فخِّ ذلك الساحر الماكر. لكن كان ثمة شيء واحد كنتُ أجد فيه العزاء طيلة الوقت، وهو سيسيليا الصغيرة التي ترعرَعَتْ على مَحبتي الشديدة لها كما لو كنتُ أنا بالفعل والدَها. كانت جميلةً كالوردة. ولم يكن المكان ينقصه أي شيء من وسائل الراحة، كما أن الساحر قدَّم لي كل الكتب التي أحتاجها لتعليم سيسيليا. لم أشَأ أن أُخبرها أبدًا بعزم الساحر بالقدوم عند بلوغها الثامنةَ عشرةَ من العمر ليأخُذها منِّي، وعملتُ جهدي لأقضيَ الوقت معها في أسعد حال.

وبعد رحلةٍ استغرقت عشر سنوات تحت البحر كنتُ فيها مُطيعًا للساحر في كل شيء، استطعتُ على إثرها أن أحوز ثقة الساحر، فقام بتثبيت القصر البلوري بقاع البحر ورواق الدلفين، وهكذا أصبح القصر أخيرًا مُرتبطًا باليابسة. سمح لي بالخروج ثلاثة أيام في السنة حتى أستطيع أن أزور أصدقائي. أراد الساحر أن يُدخِل السعادة إلى قلبي من وراء ذلك، وقد كان مُحقًّا في هذا. ارتديتُ ملابس المسافرين هذه حتى لا يتعرَّف عليَّ أحد، وبما أن شعري قد شاب قبل أوانه فقد أصبح من الصعب على الآخرين التعرُّف على شخصيتي في كل الأحوال. ومنذ ستِّ سنواتٍ وأنا أخرج لمدة ثلاثة أيام في السنة من القصر البلوري. وفي

المرة الأولى التي خرجت فيها علمتُ بوفاة زوجتي آنيتا المسكينة، ولكن لم يقُل أحدٌ ماذا حلَّ بك وكيف أصبحَت أحوالك يا بني.

كنتُ أبحث عنك في كل مرةٍ أخرج فيها من القصر إلى اليابسة، وأخيرًا قررتُ أن أبحث عن والِدَي سيسيليا. كنتُ أشعر باليأس من إمكانية الاهتداء إليهما. كان ضميري يُعذِّبني وأشعر بالندم الذي قصَم ظهري. كنت أريد على الأقل أن أُعيد إليهما ابنتهما. وكان القدَر عطوفًا عليَّ في النهاية عندما دعاني والداك بالتبنِّي — كما تعلم — لدخول المنزل.

والآن يا بني لا يُوجَد لديَّ أمنية سوى أن أُساعدك في الظهور بمظهر المُقدِّر للجميل لهذين التعيسين اللذين اهتمَّا بك وقاما بتربيتك، وعانَيا الكثير جرَّاءَ فَعلتي الخرقاءِ هذه منذ سنواتٍ عديدة. أُريدك أن تذهب معي لترى ابنتهما وتعود بها إليهما في النهاية.»

كان أورستو يستمع لما يقوله والده بأقصى درجات الانتباه.

بعدها قال: «ولكن ماذا سيحدُث لك بعد ذلك يا أبي؟»

فأجاب المسافر: «وكيف لي أن أعرف ذلك؟ لكن عمر سيسيليا قد قارب الآن الثامنة عشرة، ويجب أن تعود إلى والدَيها قبل أن يعود الساحر ليأخذها.»

نهض أورستو وعانق العجوز، ثم أخذ منه الإرشادات التالية لإنقاذ سيسيليا.

قال له العجوز: «تعالَ ظُهر يوم الغد حيث يكون الساحر في ذلك الوقت نائمًا وأستطيع بذلك أن أساعدك. والآن يتعيَّن عليَّ أن أُسرع في العودة إلى القصر البلوري لأنه لو استمرَّ غيابي أطولَ من الوقت المسموح لي به، فسوف أتعرَّض أنا وسيسيليا لعقابٍ شديد.»

قال أورستو: «وداعًا يا أبي. سأكون في الغد عند بوابة القصر المؤدية إلى رواق الدلفين. ولا تنسَ أن تترك لي الباب مفتوحًا.»

غادر العجوز المكان، وبدلًا مِن أن يذهب أورستو إلى السوق تحوَّل بسرعة نحو البيت ووصلَهُ بعد وقت قصير.

وفي صباح اليوم التالي، قال أورستو لوالدَيه: «لديَّ شعور بأنني سأتمكن اليوم من إعادة ابنتكما سيسيليا إليكما وهي في أحسنِ حال.»

صاح الوالدان في وقتٍ واحد: «سيسيليا؟» وهما ينظران إلى بعضهما البعض في حيرةٍ ودهشة كبيرة. ثم قالا: «لكن اسمها كان تيريسا.»

شعر أورستو بالأسف لزلَّة اللسان هذه وقال بسرعة: «ربما تكون قد سُمِّيَت بسيسيليا حتى هذا الوقت. ربما تكون قد وجدت أبًا آخرَ أحبَّها واعتنى بها وأعطاها هذا الاسم.»

ساوَرَ أوجست ونينا الشكُّ حول صحة ما يقوله أورستو، ونظر كلٌّ منهما إلى الآخر في حيرةٍ واستغرابٍ شديدَين، ولكنهما لم يرغبا في تثبيط معنويات ولدهما، فتركاه يفعل ما يُريد.

كان المدخل إلى رواق الدلفين محجوبًا عن أنظار جميع الناس، لكن أورستو تمكن من العثور عليه بسهولةٍ بمساعدة الإرشادات التي قدَّمها له والده. فقام بربط الفرَس إلى عمودٍ من المرجان وسار مُتوجِّهًا إلى داخل القصر.

وبعد قليل، وجد نفسه داخل غرفةٍ بلورية كبيرة تمتدُّ مباشرة نحو البحر. وتمكن عبر جُدرانها البلورية الشفافة المدعومة بأطواقٍ فِضِّية قوية من رؤية جميع أنواع الحياة البحرية. حدَّق أورستو بذهولٍ شديد في الأسماك الفضية والذهبية بزعانف لامعة وهي تسبح في المياه الزرقاء المُخضرَّة. وأخذ يسير داخل الرواق لمدة ساعةٍ تقريبًا حتى وصل أخيرًا أمام بوابةٍ ذهبية قام بفتحها بسهولة.

قاده باب بلوري إلى داخل دهليز يُؤدي إلى الكثير من الغُرَف المفروشة بأثاثٍ باهظ الثمن. كانت رائحة البحر قوية لدرجةٍ فظيعة بالفعل. وفي هذه اللحظة بدا له رأس أبيه بشعره الأشيب من خلال أحد الأبواب؛ فابتسم. وأمسك الرجل العجوز بيد ولَدِه وسار به نحو الشرفة.

طلَب من الشاب أن يجلس وينتظره لفترة من الوقت. ثم سرعان ما عاد بصحبة فتاةٍ أصابت أورستو بالذهول من شدَّةِ جمالها. كانت فتاة ذات جمالٍ خارق بوجهٍ بيضَوي وعيونٍ زرقاء تُشبه السماء، فيهما حزنٌ دفين. ويتدلَّى شعرها الكثيف على شكل ضفائرَ ذهبية فوق عباءةٍ رمادية داكنة اللون. مدَّت يدها إلى أورستو بطريقةٍ ودِّية وقالت له: «أعلم أننا سنُحب بعضنا بعضًا كأشقَّاء؛ لكوننا تبادَلْنا آباءنا وأُمهاتِنا عندما كنا صغيرَين. خُذني إلى أبي وأمي لنعيشَ معًا في سعادةٍ واطمئنان.»

وهكذا انطلق الثلاثة مُتوجِّهين نحو البيت، ولكن أورستو كان يُحملق طيلة الوقت في الفتاة التي سحَرَتْهُ من النظرة الأولى في الوقت الذي كان فيه الرجل العجوز يبتسِم طوال الوقت؛ مما أزال عن وجهه آخِرَ علامات الحزن، وبدا كما لو أنه عاد شابًّا من جديد.

قال لهما عندما وصلوا إلى نهاية رواق الدلفين: «اسمعا يا ولدَيَّ، سأُودِّعكما الآن، وربما لن ألقاكما بعد الآن.»

قال الشابُّ والشابة في دهشةٍ وبصوتٍ مُرتفع: «ماذا تقول؟ ألن تذهب معنا؟»

أجاب العجوز: «أخشى أنني لا أستطيع ذلك. أريد أن أُجنِّبكما رؤية مشهد موتي.»

قالت سيسيليا: «ما هذا الذي تقوله؟ لن أُغادر من هنا إذا كان هذا يعني أنك ستُواجه أيَّ نوعٍ من الخطر نتيجةً لذلك. لن أُغادر هذا البيتَ دونك يا أبي.»

عبَّر العجوز عن أسفه لإسهابه في الحديث، وقال في النهاية: «حسنًا إذن. سوف أذهب معكما ما دُمتما تُريدان ذلك.»

خرَجوا جميعًا من القصر البلوري إلى اليابسة، وما إن غادروا رواق الدولفين حتى سمِعوا انفجارًا ضخمًا يُصِمُّ الآذان دمَّر القصر بما فيه ونثر حطامه في قاع البحر.

شعر العجوز بالخوف الشديد وشحب وجهه والتصق بسيسيليا التي أخذت تبكي وهي تقول: «ما الخطب يا أبي؟ هل عاد إليك المرَض من جديد؟»

قال العجوز بصوتٍ واهن: «لا لا. أنا بخير.»

قام أورستو وسيسيليا بمساعدة العجوز على امتطاء ظهر الفرس، وأمسكا بخطام الفرس وسارا به نحو البيت. وصَلوا أخيرًا إلى بيت أورستو وسط عاصفةٍ من القلق، وفرح الجميع بعودة سيسيليا إلى البيت فرحًا شديدًا وإن شابَ هذا الفرحَ شيء من الحزن لمرَض والد أورستو الشديد. وقاموا بوضع العجوز برفقٍ في الفراش، ولكنه سرعان ما فارق الحياة في الليلة ذاتِها.

وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة قال للشابِّ والفتاة اللذَين كانا يجلسان بالقُرب من الفراش يبكيان سوءَ حال والدِهما: «إن انتقام الساحر سيَطالني لا محالة ما دمتُ انتهكتُ شروط العقد الذي أبرمتُه معه، ولكننا سنموت جميعًا في يومٍ من الأيام عاجلًا أم آجلًا. وأنا أُفضِّل أن أموت الآن، بعدما تمكَّنتُ من إعادة الأمور إلى نصابها، على أن أعيش حياةً مليئة بالندم والأسف. وصيَّتي الأخيرة هي طلبُ الغفران من والدَي سيسيليا، وأن أسمع منهما بأفواههما موافقتهما على زواجك من ابنتهما؛ لأنني أعلم تمامًا بأن كلًّا منكما يُحب الآخر.»

وهكذا كان أن تحوَّل الحُب الأخوي الذي وعَدَت به سيسيليا أورستو إلى حُبٍّ رومانسي حقيقي، بدأ منذ أن وقع أورستو في حُبِّ سيسيليا منذ اللحظة الأولى التي وقع فيها بصرُه عليها.

نادَوا على أوجست ونينا لإلقاء النظرة الأخيرة على العجوز وهو يحتضر، فقبَّلا جبينه برفقٍ مؤكِّدَين له أنهما قد غفرا له وسامَحاه، وأنهما سيكونان سعيدَين جدًّا لرؤية الشاب

والفتاة مُتزوِّجَين كما يرغب. وهكذا أسلم والدُ أورستو الرُّوحَ بسلامٍ وعلى وجهه علاماتُ الرِّضا والسكينة التي غابت عن وجهه في الحياة.

شعر أورستو وسيسيليا بالحزن الشديد لموت العجوز، وقد خفَّف من مُصابهما مشاعرُ الحُب التي جمعَتهما. وبعد أقلَّ من عام جرى حفل زفافهما، وعاشا بعدها في سعادةٍ وطمأنينة دائمتَين.

رجل الغابة والأمير

كان يا ما كان، في قديم الزمان، كان ملكٌ عجوز يحكم بلاد الصرب. وذات يومٍ ذهب الملكُ في رحلة صيدٍ إلى الغابة، وعوضًا عن اصطياد طريدةٍ كالمعتاد اصطاد هذه المرَّة مخلوقًا غريبًا على شكل إنسانٍ يعيش في الغابة. كان شكل هذا المخلوق يختلف كثيرًا عن شكل باقي المخلوقات التي رآها الملك من قبل؛ فقد كان طويلًا وكبيرًا جدًّا وجسده مُغطًّى بالكامل بالفراء، ويتحرك مثل الحيوانات المفترسة ويُصدِر أصواتًا تُشبه الهمهمات والشخير.

شعر الملك بالفخر لتمكُّنِه من اقتناص هذه الطريدة النادرة، وأمر بأن تُنقَل إلى داخل القلعة، وبوضعها في زنزانةٍ خاصة. وأعلن الملك بعدَها أن كل من يتجرَّأ ويُحاول إطلاق سراح هذا المخلوق العجيب من الزنزانة سوف يُواجه عقوبة الموت لا محالة.

وبمحض الصُّدفة، كانت الزنزانة تقع تحت غرفة نوم أصغرِ أبناء الأمير. وكان هذا المخلوق العجيب يئنُّ ويبكي طوال الليل. وعلى الرغم من أن ابن الأمير حاول في البداية ألا يكترِث لما يسمعه من أنينٍ وبكاء، فإنه في النهاية لم يَعُد يستطيع التحمُّل أكثرَ ممَّا فعل، فنزل خِلسةً في أحد الأيام قبل طلوع الفجر إلى الزنزانة وفتح بابها وترك الأسير يهرب منها.

وفي صباح اليوم التالي، لم يعُدِ الملك وحاشيةُ القصر والخدم يسمعون أصوات الأنين والبكاء تصدُر من الزنزانة؛ ممَّا أثار استغرابَهم الشديد. وجعل الملك يشعُر بوجود شيءٍ غير طبيعي، فنزل بنفسه ليستطلِع أحوال الأسير الذي جلبَهُ من الغابة. وعندما اكتشف أن الزنزانة فارغة، انتابَته موجةٌ عارمة من الغضب الشديد، وطلب معرفة مَن الذي كان لديه ما يكفي من الجُرأة ليَعصيَ أوامره الملَكية.

كان جميع أفراد الحاشية في رُعبٍ شديد لمنظر الملك وهو يُزمجر ويتوعَّد الفاعل بأشدِّ العقاب، حتى إنه لم يتجرَّأ أحدٌ منهم على الكلام. وفي النهاية، تقدَّم ابن الملك الأمير الشاب

واعترف أمام والده بأنَّ أصوات البكاء والأنين التي لم تنقطِع عن مسامعه طوال الليل حمَلَته على إطلاق سراح الأسير المسكين بدافع الشفقة والرحمة. ولمَّا سمع الملك ذلك من ابنه الامير الشاب شعر بأن دورَه قد حان ليشعُر هو نفسُه بالحُزن والأسى، لأنه وجد نفسه مُضطرًّا لقتل ابنه، أو يجعل من الأمر الملَكي بقتْل مَن يُطلق سراح الأسير مَوضِعَ سخريةٍ واستهزاء من الحاشية والرعية.

غير أن بعض مُستشاري الملك، بعد أن رأَوا مقدار القلق والخوف الذي يشعُر به الملك حيالَ مِصداقية وجدِّية الإعلانات الملَكية التي يُصدِرها، اقترحوا أن تنفيذ الإعلان الملَكي في هذه الحالة يُمكن أن يتحقَّق بكلِّ بساطةٍ إذا قام الملك بنفي الأمير الشاب بشكلٍ نهائي إلى خارج المملكة عوضًا عن قتله.

شعر الملك بسرورٍ بالغ لهذه الوسيلة التي أخرجته من هذا المأزق، خاصة أنها تُحافظ على حياة ابنه الأمير الشاب وعلى مِصداقية الأوامر الملكية التي يُصدِرها في الوقت نفسه. وهكذا أمر الملك بإبعاد ابنه الأمير الشاب خارج المملكة على ألَّا يعود إليها أبدًا، وفي الوقت نفسه حمَّل الابنَ عدةَ رسائل توصية والكثير من الهدايا والتُّحَف النفيسة إلى ملك مملكةٍ بعيدة في أقصى الأرض، كما أنه وجَّه بأن يقوم أحد خدَم القصر بمُرافقة الأمير الشاب. وفي صباح اليوم التالي، انطلق الأمير البائس وخادمه في رحلة النفي القسرية خارج حدود المملكة.

وخلال الرحلة الطويلة والمُضنية، شعر الأمير الشاب بعطشٍ شديد. وعندما رأى بئر ماءٍ من بعيد تَوجَّه على الفور نحوَه ليرويَ عطشه. وصدف أنه لم يجد عند البئر دلوًا أو أيَّ شيءٍ آخر يستطيع أن يغرف به الماء ليشرب، على الرغم من أن البئر كان مليئًا بالماء الرقراق. واقترح الأميرُ على الخادم، وقد اشتدَّ به العطش، أن يُمسِك به من قدمَيه بعد أن يتدلَّى في البئر ليتمكن من أن يشرب ويُطفِئ عطشه، وأن يقوم من بعدِها الأمير الشابُّ بالشيء نفسِه مع الخادم. وهكذا دلَّى الأمير الشابُّ نفسه في داخل البئر وأمسك الخادم بقدَمَيه كما طلب.

وعندما أطفأ الأمير عطشَهُ وطلب من الخادم أن يُخرِجه من البئر، قال الخادم: «حسنًا يا سيدي الأمير. أستطيع الآن أن أدَعَك تسقُط في البئر وتغرق، أو أن تُوافق على أن نتبادل الثياب والألقاب. عليك أن تُوافق منذ الآن بأن أكون أنا الأمير وبأن تكون أنت خادمي. وبعدَها سأقوم بإخراجك من البئر سالِمًا.»

وافق الأمير الشابُّ على ذلك على الفور بعد أن أدرك مدى حماقته عندما وضع نفسه تحت رحمة الخادم، وقال الأمير للخادم بأنه لا يُريد أكثرَ من أن يخرج من البئر سالمًا.

قام الخادم على الفور بإخراج الأمير من البئر، وتبادلا بعدَها الثياب. وعندما وجد الخادم الماكر نفسَه وهو يرتدي ثياب سيدِه الفاخرة، امتطى ظهر حصان سيِّده وتابع السير في الرحلة، بينما كان الأمير الشاب يسير بجانبه وهو يرتدي ثياب الخادم المُتواضِعة.

سارا على هذا المنوال إلى أن وصلا بلاطَ الملك في أقصى الأرض والذي كان الأمير الشابُّ يحمل إليه من والده، ضمن أشياء أخرى، رسائل التوصية.

ولم يكن أمام الأمير الشابِّ عند الوصول إلا الوفاءُ بوعدِه، وأخذ يُراقب كيف يجري استقبال الأمير المُزيَّف في البلاط الملكي بالمراسِم الملكية المُعتادة بوصفه ابنَ الملك، في حين تمَّ إرساله إلى غرفة انتظار الخدَم في القصر الذين استقبلوه وعاملوه بعدَم اكتراثٍ كواحدٍ منهم.

وبعد مُضيِّ فترةٍ من الزمن استمتع فيها بما فيه الكفاية من الرفاهية وكرَمِ الضيافة التي أغدقها الملكُ عليه، بدأ الأمير المُزيَّف يشعر بالخوف من قُرب نفاد صبر سيدِه تجاه كلِّ الإهانات التي كان عليه أن يتحمَّلَها. كما شعر بالقلق أيضًا بأن يقوم الأمير الشابُّ في يومٍ ما بالتخلِّي عن الوعد الذي قطعه على نفسه، ويكشف للملأ بأنه هو الأمير الحقيقي. وأخذ الخادم الماكر، وهو يشعر بهذه المخاوف التي يضيق بها الصدر، يُفكر بكل الطرُق التي يستطيع بها التخلُّص من سيدِه الذي خانه بدون أن يكون لها تداعياتٌ خطرة عليه هو نفسه.

وفي يوم من الأيام، اهتدى إلى طريقةٍ للقيام بذلك.

والآن يجب أن تعلموا بأن الملك، الذي يستضيف قصرُه هذا الأميرَ البائس والخادم الماكر، يحتفظ في حدائق القصر بعددٍ كبير من الطيور والحيوانات البرية المُفترسة داخل أقفاصٍ كبيرة. وفي أحد الأيام، وبينما كان الأمير المُزيف يسير مع الملك في هذه الحدائق، قال للملك: «جلالة الملك، لديكم عددٌ كبير من الحيوانات الرائعة، وأنا مُعجَب بها كثيرًا، وأعتقد أنه من المُؤسِف أنكم تُنفقون الكثير من المال على إطعامها. وقد يكون من المناسِب أن تُطلِقوها من أقفاصها وتُرسلوها برفقة خادمٍ مُقتدر إلى وسط الغابة طيلة النهار لتجد طعامها بنفسها، على أن يقوم الخادم بإعادتها إلى أقفاصها قبل حلول المساء.»

قال الملك بدهشةٍ شديدة: «وهل تعتقد حقًّا أيها الأمير أنه يُوجَد مثلُ هذا الإنسان الذي يستطيع أن يُعيد هذه الحيوانات البرية إلى أقفاصها بعد إطلاقها في أرجاء الغابة طيلةَ النهار؟»

أجاب الأمير المُزيَّف بدون تردُّد: «بالطبع. وهذا الإنسان موجود في بلاط قصركم. أقصد بالطبع خادمي أنا. هذه الحيوانات البرية تُعتبَر بالنسبة له مجرد حيواناتٍ أليفة، وهو يستطيع بسهولةٍ أن يتحكَّم بها ويحملها على تنفيذ أوامره تمامًا كما نرى في عروض السيرك. أخشى أن يُحاول الاعتذار كعادته عن قَبول مثل هذا العمل ويقول بأنه عمل مُستحيل، وفي هذه الحالة يُمكن تهديدُه بقطع رأسه في حال رفَضَ العمل أو الفشل فيه؛ وذلك لحملِهِ على القَبول بالعمل في نهاية المطاف. وأنا موافق، يا جلالة الملك، في حال إصراره على الرفض، أن تأمُروا بقطع رأسه لأنه يستحقُّ ذلك المصير في هذه الحالة.»

وقام الملك بعد سماع ذلك باستدعاء الأمير الشابِّ للحضور أمامه وقال له: «سمعتُ أنك تفعل الأعاجيب؛ تقود الحيوانات البرِّية كقُطعان الغنم لترعى بنفسها في الغابة، وتعود بها بسلامٍ إلى أقفاصها قبل حلول المساء. وكما تعلم، يُوجَد في حدائق القصر عددٌ من هذه الحيوانات. ولذلك، عليك أن تقود كلَّ يومٍ منذ هذا الصباح القطيعَ إلى الغابة وتعود به قبل حلول المساء. وإذا لم تقُم بذلك فسوف أقطع رأسك. ولذلك كن حذرًا.»

أجاب الأمير الشاب البائس: «جلالة الملك. لا أستطيع القيام بذلك. هذا بالتأكيد من المُحال بالنسبة لي ولِغيري. ويُمكنكم من الآن قطعُ رأسي.»

لكن الملك رأى أن يُمهِل الأمير البائس بعض الوقت حتى المساء وقال له: «سننتظر حتى المساء، ومن المؤكد أنني سأقوم بقطع رأسك إذا لم تتمكن من إعادة جميع حيوانات القصر البرية إلى أقفاصها ثانية.»

كان الملك مُصرًّا على طلبه، وأدرك الأمير البائس أنه مهما قال فلن يُغيِّر ذلك من الأمر شيئًا. وهكذا فُتحت أقفاص الدِّببة في حدائق القصر وأُطلِقت منها لتتفرَّق بسرعةٍ في جميع أرجاء الغابة وتختفي بين أشجارها الكثيفة.

لَحِق الأمير بهذه الحيوانات، وحاول تتبُّع آثار بعضها لإعادتها إلى أقفاصها في حدائق القصر، لكن جميع هذه الآثار تلاشت بين أوراق الأشجار على أرض الغابة، ولم يتمكَّن من إعادة دبٍّ واحدٍ منها. وأخيرًا، وبعدما أدرك أن الوضع أصبح ميئوسًا منه، جلس شاردًا على جذع شجرةٍ مقطوعة في أرض الغابة. وبدأ يبكي بحُرقةٍ وهو يُفكر في حظِّه التعِس؛ إذ لم يرَ مَخرجًا من هذه الورطة التي وقع فيها، وكيف أن رأسه سيُقطَع لا محالة في هذا المساء.

وبينما هو على هذه الحال من الحزن واليأس، ظهر أمامه مخلوق غريب على شكل إنسان، ولكنَّ كامل جسدِهِ مُغطًّى بالفراء، خرج إليه من طرف الغابة وسأله: «ما يُبكيك يا هذا؟» فأخبره الأمير بتفاصيل جميع ما حدث معه وبأنه ينتظر أن يُقطَع رأسه عند

حلول المساء في قصر الملك؛ لأن الحيوانات قد تفرقت في الغابة وسيعود بدونها. وما إن انتهى الأمير من رواية ما حدَث معه، حتى بدأ ينظُر بإمعانٍ في شكل هذا المخلوق العملاق واللطيف الواقف أمامه.

قال الأمير الشاب: «أنت تُشبه شخصًا التقيتُ به من قبل.»

وأجاب المخلوق على الفور: «هذا صحيح. أنا رجل الغابة الذي أَسَرَه والدُك الملك، وأطلقتَ سراحَه من الزنزانة التي كان فيها.»

وقال الأمير الشاب باستغرابٍ شديد: «ولكنك الآن تتحدَّث مثل البشر تمامًا. ثم كيف تمكنت من العثور عليَّ هنا؟»

قال المخلوق العملاق وهو يُقدِّم للأمير جرسًا سحريًّا صغيرًا: «هذا لا يُهم الآن. لقد أطلقتَ سراحي وجعلتَني حرًّا في يومٍ ما، وأنا أَدين لك بذلك. واليوم سأرد لك هذا الجميل وأُحرِّرك مما أنت فيه. وكل ما عليك عمله عندما تريد أن تعود الحيوانات إلى أقفاصها في حدائق القصر هو أن تدُقَّ هذا الجرس بلُطفٍ ثلاث مرات مُتتالية وسوف تراها تعود إليك مُسرعة وتسير وراءك بهدوءٍ نحو أقفاصها في حديقة القصر.» وما إن انتهى هذا المخلوق العملاق من قول ذلك حتى اختفى بسرعةٍ بين أشجار الغابة مثلما ظهر.

وعندما بدأت الشمس تميل إلى المغيب، دقَّ الأمير الجرس بلُطفٍ ثلاث مرات. وشعر بسعادة غامرة وهو يرى الدببة تأتي إليه من جميع أطراف الغابة وهي ترقُص بشكلٍ مُضحك وتتمايل في مِشيتها. ثم أخذت تتجمَّع وراءه كقطيع غنمٍ وهي تسير نحو أقفاصها في حدائق القصر. وشعر الأمير الشاب بنشوة الانتصار على حظِّه التعِس، فأخرج من بين ثيابه المزمار وأخذ يعزف عليه ألحان الرُّعاة الجميلة وهو يقترب من القصر. وهكذا تمكن الأمير الشابُّ من إعادة جميع الدِّببة إلى أقفاصها بأمانٍ وبدون أي متاعبَ كانت.

شعرَت حاشية الملك بالدهشة، وكان الأمير المُزيف أكثرَهم دهشةً على الإطلاق، على الرغم من أنه حاول إخفاء ذلك. وقال للملك: «جلالة الملك. لقد تبيَّن لكم الآن أنني كنتُ صادقًا فيما قلتُه لكم. وأنا مُتأكد من أن هذا الخادم قادر على أن يرعى الآن الذئاب التي في الحديقة مِثلما تمكن من رعاية الدببة بنجاح، ويُعيدها إلى أقفاصها سالمةً طالما أنَّ جلالتكم تقومون بتهديده بقطع الرأس في حال الفشل، كما فعلتم في المرة السابقة.»

وبناءً على ذلك، طلب الملك من الأمير الشاب أن يحضر إليه، وأمره هذه المرة أن يذهب بالذئاب ليرعاها في الغابة ويعود بها إلى أقفاصها عند حلول المساء كما فعل بالدببة يوم أمس. وقال له بنبرةٍ صارمة: «وإذا لم تفعل ذلك فسوف أقطع رأسك لا محالة.»

حاول الأمير البائس عبثًا أن يُوضِّح للملك استحالة القيام بذلك، لكن الملك لم يكن يُريد أن يسمع منه أيَّ شيءٍ سوى كلمة نعم، ولكنه قال له: «يُمكنك أيضًا أن تُحاول ذلك الآن. وإذا رفضتَ الانصياع لأوامري في القيام بهذا العمل أو فشلت فيه فسوف أقطع رأسك لا محالة.»

وهكذا وجد الأمير الشاب نفسَه مُضطرًّا إلى فتح أبواب أقفاص الذئاب في حديقة القصر لتقفز جميعُ الذئاب التي فيها إلى الخارج وتمُرَّ من أمامه بسرعةٍ وهي تتوجَّه نحوَ الغابة كما فعلَتِ الدِّببة من قبل. وقبل حلول المساء حاول تتبُّع آثار الذئاب لكي يُعيدها إلى أقفاصها بدون جدوى. فجلس على جذْع شجرةٍ يبكي ويندب حظه العاثر.

وبينما هو على هذه الحالة، ظهر أمامه من جديدٍ هذا الرجل العملاق وسأله، كما فعل في الليلة الماضية، عن سبب بكائه. فروى له ما حدث، فأعطاه على الفور مرةً ثانية جرسًا سحريًّا صغيرًا، وقال له: «عندما تريد أن تأتي إليك الذئاب طائعةً لتعود بها إلى أقفاصها، قُم بدقِّ الجرس ثلاث مراتٍ مُتتالية، وستجدها تسعى إليك بكل قُوَّتها وتسير خلفك إلى حيث تُريد.» وما إن قال الرجل العملاقُ ذلك حتى اختفى من أمامه بنفس السرعة التي ظهر بها. وبقِيَ الأمير وحدَه.

وعندما قاربت الشمس على المغيب، دقَّ الأمير الشاب الجرس ثلاث مراتٍ متتالية. وشعر بفرحةٍ عارمة لرؤية الذئاب تندفِع نحوَهُ من كل الاتجاهات وتبدأ في السير وراءه بهدوءٍ نحوَ أقفاصها في حديقة القصر.

صُعِق الأمير المُزيَّف لرؤية ذلك، لكنه تصرَّف كما لو أنه كان يعرف مُسبقًا بأنَّ خادمه يستطيع بسهولةٍ القيامَ بمِثل هذه الأعمال المُستحيلة، ولذلك اقترح على الملك هذه المرة إطلاق الطيور البرية من أقفاصها أيضًا وتهديد الأمير الشاب بقطع رأسه إذا لم يتمكن من إعادتها جميعًا إلى أقفاصها في صباح اليوم التالي.

وبِناءً على ذلك، وفي صباح اليوم التالي أمر الملك الأميرَ الشابَّ بأن يُطلق جميع الطيور البرية من أقفاصها، وبأن يُعيدها بسلامٍ إلى أقفاصها مرةً ثانية قبل حلول المساء.

وفي اللحظة التي قام فيها الأمير الشاب البائس بفتح الأقفاص، انطلقت على الفور جميع الطيور البرِّية دفعةً واحدة، وشكَّلَت غيمةً كبيرة في السماء سرعان ما غابت بين أشجار الغابة الباسقة.

وقال الأمير الشاب لنفسه: «مِن المؤكد أن هذه المهمة ستكون مُستحيلة بالفعل؛ ذلك أنه حتى ولو حصلتُ على الجرس السحري الصغير فستكون الطيور وقتها بعيدةً جدًّا وغير قادرة على سماع صوت الجرس.»

وهكذا جلس الأمير الشاب على جذع الشجرة يندب حظه العاثر والمصير البائس الذي ينتظره في نهاية اليوم.

وبينما هو على هذه الحالة، رأى من بعيدٍ الرجل العملاق يخرج من بين أشجار الغابة ويقِف أمامه مرةً أخرى ليسأله عن المتاعب الجديدة التي تُقلقه في هذا اليوم. فروى له قصته الحزينة والمَخاوفَ التي تنتابُهُ في حال الفشل في إعادة الطيور البرية إلى أقفاصها. فقام المخلوق العملاق بإعطائه على الفور جرسًا سحريًّا صغيرًا للمرة الثالثة وقال له: «عندما تُريد أن تعود الطيور البرية إلى أقفاصها، فما عليك سوى أن تدُقَّ هذا الجرس الصغير ثلاث مراتٍ متتالية.» وهذا ما حدث بالفعل، فما إن بدأ الأمير بدَقِّ الجرس بلُطفٍ حتى بدأت أسراب الطيور تظهر في السماء وتتجمَّع حوله. وقام على الفور بالتوجُّه بها نحوَ أقفاصها في حدائق القصر بدون أي مشكلة.

وفي هذه المرة، وبعد ذُيوع صِيته والكلام عن مواهبه العجيبة في أرجاء القصر، تجمَّع العديد من حاشية القصر والعاملين فيه في حدائق القصر ينتظرون عودة هذا الخادم المُدهِش مع كافة الطيور البرِّية إلى أقفاصها. وكان يقِف في مقدمة هذا الجمع المُنتظِر الملك بنفسه.

وما إن دخل آخِر طيرٍ بري إلى قفصه بأمانٍ وسلام حتى تقدَّم الملك من الأمير الشاب وقال له بصوتٍ جهوري: «مَن أنت حقًّا حتى تستطيع أن تَسحَر هذه الطيور والحيوانات البرية وتحمِلَها على الانصياع لما تريد؟»

قال الأمير الشاب: «بما أنَّ جلالتكم قد طلبتُم منِّي أن أُخبركم الحقيقة، فلا يُوجَد أمامي خيار سوى قولها. سأُخبركم بكل شيء.» وروى الأمير قصته من أولها وكيف أنه أغضبَ والده الملك الذي نفاه للأبد على إثر ذلك، وعن خداع خادمه له، وكيف ساعدَه الرجل العملاق، الذي أطلق سراحه يومًا خلافًا لتعليمات الملك ونُفي على أثرها بسبب ذلك، على التخلُّص من المكائد المُرعبة التي نصَبَها له خادمُه الماكر.

وبعد أن استمع الملك لكل هذا، شعر بدهشةٍ كبيرة وأمر على الفور بوضع الخادم الماكر، الذي انكشف أمره أخيرًا، في غياهب السجن. وكانت ابنة الملك أكثرَ الناس سعادةً بتطوُّر الأحداث وظهورِ الحقيقة، بعد أن وقعت في حب الأمير الشابِّ سرًّا بينما كان الجميع يتوقَّعون أن تتزوَّج الأمير المزيف. وافق الملك على الفور على زواج ابنته الأميرة من الأمير الشاب، الذي طلب من الملك، كهديةٍ بمناسبة الزواج، إطلاقَ سراح جميع الحيوانات

والطيور في حدائق القصر من أقفاصها بشكلٍ نهائي لتستمتعَ بحياتها في بيئتها الطبيعية في الغابات المجاورة.

وعاش الأمير بعد ذلك حياةً سعيدة ورغيدة مع الأميرة. وعندما تُوفِّي الملك ترك لهما المملكةَ وكلَّ ما فيها من ثرواتٍ وخيرات.

سيف مغروس في صخرة

منذ زمنٍ بعيد، حكم بريطانيا ملكٌ عادل وحكيم، كان اسمه الملك آرثر. كانت فترةُ حُكمه سنواتِ رخاءٍ عاش الناسُ فيها سُعداء. أراد الملك في أحد الأيام أن يضمَّ إلى حاشيته في القصر ساحرًا. وهكذا وقع اختياره على الساحر ميرلين الذي يستطيع التنبُّؤ بالمستقبل، والذي تنبَّأ بأن سنوات الرخاء الحاليَّة لن تدوم طويلًا.

رُزِقَ الملك آرثر والملكة جينيفر بولدٍ جميل. وخلال الحفل الذي أُقيمَ في قاعة القصر الكبرى بهذه المناسبة السعيدة، انتحى الساحر بالملك إلى جانب القاعة، وقال له: «سيدي، ثَمة أمرٌ يجِب أن تعرفه. سيُخيِّم ظلامٌ كثيف على هذه المملكة، وسيكون ولدُكم الأمير في خطر. دعني أذهب بولدِكم الأمير بعيدًا عن القصر وبذلك سيكون في أمانٍ وسلامة بكل تأكيد.»

فُوجئ الملك بقول الساحر، وردَّ عليه قائلًا: «ماذا تقول يا ميرلين. أنت ساحر بارع وصديقي. ولكن لا يُوجَد شيء في العالَم يُمكن أن يجعلنا نتخلَّى عن ولدِنا وندَعُه يذهب بعيدًا عنا.»

ومِن المُحزن جدًّا أن الملكة ماتت بعد ولادة طفلِها الأمير بفترةٍ قصيرة، ومات بعدَها الملك آرثر في ساحة الوغى. وفي ليلة مَقتل الملك، تسلَّل ميرلين إلى داخل غُرَف القصر وأخذ الطفل. وفي صباح اليوم التالي، جاءت المُربِّية الملَكية إلى غرفة الطفل ولكنها لم تجِدْه مع الأسف. كان سريره فارغًا. بحثَت المُربية والنُّبلاء والخدَم عن الطفل وقد اعتراهم خوفٌ شديد، لكنهم لم يعثروا على أي أثرٍ للطفل الأمير.

ومرَّت سنواتٌ عديدة بقِيَ فيها العرش الملكي شاغرًا. لم يكن هناك ملكٌ ليُطبق القانون وينشُر العدل والسلام في أرجاء المملكة. تقاتل الأمراء وكبار الأعيان فيما بينهم

للوصول إلى العرش. وهكذا خيَّم الظلام الكثيف فوق أرجاء المملكة. وحَكَم اللصوص والعصابات الإجرامية شوارع لندن. واقتحم الأشرار بيوت الآمِنين ليسرقوا منها ما يجدون. وتعرَّض قُطاعُ الطرُق للمسافرين المُسالِمين وسرَقوا ما بحوزتهم من أموالٍ ومتاع. وهكذا عاش شعب إنجلترا في خوف شديد.

وكان هناك على أطراف حدود المملكة الجنوبية مُقاطَعةٌ هادئة يحكمها السير إكتور الذي كان يعيش هناك بسلامٍ مع ولَدَيه، وكان الأول يُدعى كاي، والثاني آرثر، وهو ولَدُ إكتور بالتبنِّي. يومَها جاء رجلٌ غريب إلى السير إكتور حاملًا طفلًا صغيرًا بين يدَيه، وسأله إذا كان يستطيع أن يرعى الطفل بين أولاده ويهتمَّ بشئونه حتى يشتدَّ عودُه. أخذ السير العجوزُ الطفلَ بين يدَيه وهو يشعر بسعادةٍ غامرة لانضمام ولدٍ آخر إلى أُسرته، وسمَّاه على الفور آرثر، وعمل على تربيته كأحد أولاده.

وعندما بلغ آرثر العاشرة من العمر، عاد هذا الرجل الغريب إلى بيت السير إكتور. كان يستطيع القراءة والكتابة فاستأجره ليقوم بتعليم ولَدَيه. كان كاي كثيرَ الحركة أثناء سَير الدروس، ولم يكن يُطيق المُكوث طويلًا في قاعة الدرس. وهكذا توقَّف عن حضور الدروس، في حين كان آرثر يهتمُّ بالدروس ويُتابعها بشغَفٍ شديد؛ ونتيجةً لذلك تعلَّم الكثير والكثير. وأعتقد أعزائي أنكم أصبحتم الآن تعرفون من هو هذا الرجل الغريب؛ إنه الساحر ميرلين.

كانت الدروس تبدأ في نهاية كلِّ يومٍ بعدما ينتهي آرثر من الأعمال اليومية المعتادة. وكان ميرلين يجلس معه لساعاتٍ طويلة يُعلِّمه مُختلِف العلوم والآداب. كان آرثر شابًّا نحيفًا ليس قويًّا مثلَ شقيقه الأكبر كاي، وقد طلب منه ميرلين ألا يشعُر بالقلق بسبب ذلك؛ لأن الأمر الأهم هو أن يملك الإنسان قلبًا كبيرًا وقويًّا؛ هذا هو المهم في الإنسان. وكان اعتقادُ ميرلين نابعًا من رؤيته لاتِّباع الثعالب والغزلان لآرثر في حدائق القصر. فقد كانوا يرَون بغريزتهم أن الشابَّ يملك بالفعل قلبًا كبيرًا وقويًّا.

وعندما بلغ آرثر السادسةَ عشرةَ من العمر، حصل شقيقُه كاي على لقَب فارس، وأصبح يُدعى بالسير كاي. وودَّ آرثر كثيرًا لو يستطيع أن يكون في منصب المُرافق لأخيه في لقبه الجديد. ولذلك أخذ يهتمُّ كثيرًا بملابس أخيه الرسمية، وبسهامه وحِرابه ودروعه.

وفي يومٍ من الأيام وأثناء إعطائه الدرس، أدار ميرلين وجهه، ثم نهض من مقعده.

سأله آرثر: «ما الأمر؟»

فأجاب ميرلين قائلًا: «الشعب بحاجةٍ إلى الأمل. هناك أمر يا آرثر يتعين عليَّ القيام به. يجب أن أذهب الآن.»

في تلك الليلة، وعندما كان الظلام الدامس يُخيم، دخل ميرلين ساحة سوق لندن. وقف في منتصف الساحة ورفع يدَيه عاليًا وأشار بعصا الساحر التي لا تُفارق يده إلى النجوم.

وعند فجر اليوم التالي، بدأ الناس يتوافدون إلى السوق ليجدوا أمامهم شيئًا غريبًا حقًّا؛ قطعة كبيرة من الرخام الأبيض موضوعة وسط ساحة المدينة وفوقها صخرة كبيرة جدًّا غُرِسَ في أعلاها سيفٌ ذهبي، وبقِيَ مقبض السيف بارزًا للخارج فقط مع سنتيمترات قليلة من النَّصْل كانت تلمع تحت أشعة الشمس. وكان الشيء الأكثر مَدعاةً للغرابة هو أن بقية نصل السيف مغروس في أعماق الصخرة. ولم يكن كل ذلك موجودًا في الساحة يوم أمس.

والأكثر من ذلك أنه كان من الممكن قراءةُ الكلمات فوق الجزء الظاهر من النصل: «من يستطيع سحْب هذا السيف من داخل الصخرة سيكون هو ملك بريطانيا الشرعي.»

وحالَما عرَف الناس بذلك، قفز الرجال إلى قطعة الرخام هذه، وحاوَلوا الواحد تلوَ الآخر أن ينتزعوا السيف بالقوة. حاول الجميع كلَّ جهدهم وبكلِّ قُوَّتهم وبقِيَ السيف عالقًا بثباتٍ في داخل الصخرة. لم يتحرك من مكانه قيدَ أنملة.

قال أحدُهم بحزن: «لا يُوجَد إنسان في الكون يستطيع سحْب هذا السيف من داخل الصخرة.»

وقال آخَرُ من وسط الحاضرين: «حسنًا. سنرى ما يُمكننا فعله حيال ذلك.» ثم تقدَّم دوق كورنوال نحوَ قطعة الرخام البيضاء وهو يرتدي ثياب الحرير المُطرَّزة بالخيوط الذهبية والأشرطة المُلوَّنة، وقال: «اسمعوا أيها الناس، اسمعوا أيها الناس. أدعو إلى مباراةٍ تنافُسية تُقام بعد شهرٍ من الآن يُدعى للمشاركة فيها كل الفرسان مهما كانوا وأينما كانوا في جميع أنحاء بريطانيا. وستُعقَد هذه المباراة التنافُسية بين جميع هؤلاء الفرسان وتُقدَّم في ختامها الجوائز للفائزين، وستُقام وليمةٌ كبيرة تضم الجميع.» وقال الدوق لزوجته: «من المؤكد أن هذه المباراة التنافُسية سوف تستقطِب أقوى وأفضل الفرسان في جميع أنحاء إنجلترا!»

وردَّت الدوقة قائلة: «يا لها من فكرةٍ جيدة يا عزيزي. كل ما نحتاجه هو فارس واحد يكون من القوة بحيث يستطيع أن ينتزِع السيف من داخل الصخرة، وبذلك يُصبح أخيرًا لدَينا ملكٌ مرةً أُخرى يتولَّى شئون المملكة كما يجب.»

فرح الناس وطربوا. لقد وجدوا أخيرًا شيئًا أسعدهم حقًّا. وانتشر خبرُ إجراء المباراة التنافُسية بسرعة البرق في جميع أرجاء المملكة. وانتقل هذا الخبر من القصر إلى القُرى

المجاورة، ومنها إلى كل بُقعةٍ في أنحاء المملكة. وهكذا وصل الخبر إلى مسامع السير إكتور، وعلِم السير كاي بذلك عندما كان يُلمِّع خوذته.

نادى كاي على شقيقه آرثر الذي كان في حديقة القلعة يُطعِم الطيور والسناجب حبوبًا جمَعَها في كفَّيه. فقام على عجَلٍ بوضع كومةٍ من الحبوب على الأرض للطيور، وكومة أخرى للسناجب. ثم سارع بالقدوم ليرى أخاه كاي.

قال كاي: «ها أنت ذا. ستُقام مباراة في لندن ويجِب علينا أن ننطلِق في الحال!»

يا له من خبرٍ سار! لم يكن آرثر يبتعِد عن البيت سوى عدَّة كيلومترات، وسيكون أفضلَ مُرافقٍ لأخيه على الإطلاق. وهكذا سارع آرثر في العودة إلى البيت ليقوم بتجهيز ما يلزم للسفر، في الوقت الذي كان فيه والدُهما يعمل على تجهيز الخيل ومُستلزماتها في ساحة القلعة.

سار السير إكتور وولَداه عبر شوارع لندن في طريقهم للمشاركة في المباراة. ولفَت انتباهَهم عند وصولهم لساحة السوق — حيث تُقام المباراة — شيءٌ لامعٌ يتلألأ تحت أشعَّة الشمس. قال آرثر: «يا إلهي! يبدو أن السيف قد غُرِسَ بإحكامٍ داخل الصخرة. ولكن كيف يُمكن أن يحدث هذا. هذا مُستحيل.» لكن لماذا كان الحُرَّاس يُحيطون بالصخرة من جميع جوانبها.

وصل السير إكتور وولَداه إلى طرَف الساحة وترجَّلوا عن العربة التي كانت تُقِلُّهم، وتوجَّهوا بعدها مباشرةً نحوَ وسطها. وقام السير كاي بأخذ دَورِه في الطابور لتسجيل اسمِهِ في قوائم المُشاركين في المباراة، في حين انشغل والده بالترحيب بأصدقائه القُدامى الكثيرين من مُختلِف المراتب الاجتماعية؛ دوقات، وإيرلات، وبارونات، وكونتات. وجلس آرثر في الخيمة المُخصَّصة لهم يُلمِّع خوذة أخيه حتى أصبحت تلمع كالماس.

انطلق صوت البوق يُعلِن بدء المباراة. وقال كاي: «أعطني سيفي.»

قال آرثر: «على الفور. لكن أين كان السيف؟» وأخذ آرثر يبحث عنه في فزعٍ شديد. كانت جميع الأسلحة من الدروع والرماح والسهام وفئوس القتال والخناجر في أماكنها حيث يجِب أن تكون، فيما عدا السيف. وقال لأخيه: «كاي ... ما رأيك أن تأخذ أحد الفئوس القتالية عوضًا عنه؟»

قال كاي: «آرثر، قلتُ أريد سيفي.»

قال آرثر: «نعم. بالتأكيد. لحظةً واحدة من فضلك.»

قال كاي: «أسرِع.»

أسرعَ آرثر بالعودة إلى الخيمة المُخصَّصة لهم حيث من الممكن أن يكون قد ترك سيف كاي فيها سهوًا. وبحث على عجلٍ في صناديق الأسلحة والدروع. كيف سمح بأن يحدُث معه ذلك؟ ثم خطرت بباله فكرة.

توجَّه آرثر بسرعةٍ نحو ساحة السوق. ولكنه لم يجد أحدًا من الحرَّاس هناك؛ فقد ذهبوا جميعًا لمُشاهدة المباراة.

صعد آرثر إلى أعلى قطعة الرخام البيضاء وقال: «لنرى إن كان يُمكنني إخراجُ هذا السيف من مَوضعه الذي علق به.» وأمسك بمِقبض السيف وحرَّكَه قليلًا. وقال لنفسه: «يا إلهي. إنه ليس مُثبتًا بإحكام كما كنتُ أعتقد.»

وقام بسحْب السيف بحركةٍ قوية مليئة بالعزم، فخرج السيف عن مكانه، واندفع آرثر إلى الوراء بقوة، ولكن السيف كان سليمًا في يده. وقال آرثر: «سأحرص على إعادته إلى مكانه لاحقًا.» وأسرع على الفور إلى حيث كان ينتظره أخوه كاي.

قال له وهو يُقدِّم السيف ويضعه في يد أخيه: «ها هو.»

ألقى كاي نظرةً سريعة على السيف، وقال وقد أخذَتْه المفاجأة: «يا للهول! ما هذا؟»

لكنَّ أخاه آرثر كان قد غادر. وبعد ذلك سمع صوت أبيه وأخيه خارج الخيمة. قال كاي: «أبي، أُريدك أن تُلقيَ نظرةً على شيءٍ هنا.» وقام آرثر ووالده على الفور بدخول الخيمة.

قال كاي وهو يُشير إلى السيف: «انظر.»

حدَّق السير إكتور، وشحَبَ وجهه من شدة المفاجأة، والتفت نحوَ ابنه كاي وقال له: «من أين أتيتَ بهذا السيف؟»

أجاب كاي وهو يضمُّ السيف إليه: «إنه لي. أصبحتُ أملِكُه الآن.»

قال الأب بنبرةٍ صارمة: «كاي. أسألك مرةً أخرى، من أين أتيت بهذا السيف؟»

أطرق الفارس الشاب برأسه خجلًا.

ثم قال: «مِن آرثر. لقد أضاع سيفي وجاءني بهذا السيف بطريقةٍ ما عوضًا عنه.»

التفت الأب نحوَ ولده الأصغر وقال: «آرثر؟ قل لي كيف جئتَ بهذا السيف؟»

أجاب آرثر: «معذرةً يا أبي. سأُعيده من حيث أتيتُ به فورًا. لقد أردتُ فقط استعارته حين قمتُ بنزعِهِ من داخل الصخرة.»

قال الأب: «يجب أن تأخُذنا إلى حيث وجدتَ هذا السيف في الحال.» وانطلق الثلاثة نحو ساحة السوق.

صعد آرثر إلى أعلى قطعة الرخام وقال: «لقد جئتُ به من هنا.» ورفع السيف إلى أعلى ووضعه مكانه داخل الصخرة. ثم أردف: «ها هو الآن عاد إلى مكانه.»

قال السير كاي: «مهلًا. لا زلتُ بحاجةٍ إلى سيف.» وقفز إلى أعلى الصخرة وأمسك بمقبض السيف وأخذ تحت أنظار والده وأخيه من حوله يُحاول سحبَهُ من مكانه مراتٍ ومرات دون أن يتمكن من ذلك. لم يتزحزح السيف من مكانه أبدًا.

قال كاي بصوتٍ مرتفع لأخيه آرثر: «ماذا فعلتَ بالسيف؟»

أجاب آرثر: «لا شيء على الإطلاق. أعدتُه إلى مكانه كما رأيت.»

صاح كاي: «لا بدَّ أنك فعلتَ شيئًا ما!»

قال السير إكتور: «اصمتا كلاكما. الأفضل ألا يرانا أو يسمَعَنا أحد.»

لكن الأوان كان قد فات بالفعل إذ بدأ الناس يتجمَّعون حول الصخرة ويُشاهدون ما يجري أمامها.

صاح أحدهم: «يا هذا. هل قمتَ بسحب هذا السيف من داخل الصخرة؟»

فأجاب آرثر: «نعم. لقد فعلت.»

وصاح آخر: «هلَّا فعلتَ ذلك مرةً أُخرى؟»

وصاح ثالث: «نعم. دَعُونا نرى ذلك!»

أمسك آرثر بمقبض السيف الذهبي بكلتا يدَيه، وبسحبةٍ واحدة خرج النصل من مكانه.

قال شخصٌ آخر: «من أنت؟ ما اسمك؟»

قال الشاب: «آرثر.»

اندفع فارس طويل من بين الحضور نحوَ آرثر وقال له: «على رِسلك. ضع هذا السيف في مكانه مرةً أُخرى. أي واحدٍ منَّا الآن يستطيع أن ينتزِعه من الصخرة بعدَما قُمتَ بذلك أمامنا.»

قال دوق كورنوال، صاحب الدعوة إلى عقد هذه المباراة: «هيا يا بُني. ضع السيف في مكانه كما كان.»

قال آرثر: «حسنًا.» وقام بسهولةٍ بإعادة السيف إلى مكانه.

قال الفارس الطويل: «دعوني أُحاول ذلك الآن.» وقفز إلى أعلى الصخرة وأمسك بمقبض السيف، وأخذ يُحاول بكلِّ قُوَّته نزْعَه من مكانه دون جدوى. لم يتزحزح السيف من مكانه قيدَ أنملة.

وحاول عدد من الفرسان، الواحد تلوَ الآخر، كلَّ جهدهم، وبقِيَ السيف ثابتًا لا يتزحزح من مكانه. اعتقد بعضهم أنه كلما استمرُّوا لفترةٍ أطول في عملية شدِّ السيف، زاد ذلك من فُرَص زحزحته من مكانه ولو قليلًا. وهكذا تعاقَبَ الفرسان على صعود الصخرة ومُحاولةِ نزع السيف دون أن يتحقَّق ذلك لأيٍّ واحدٍ منهم. بقي السيف ثابتًا في مكانه في داخل الصخرة.

قال دوق كورنوال: «دعوا الشابَّ يُحاول ذلك مرةً أُخرى. تقدَّم يا آرثر.»

صعد آرثر مرةً ثانية إلى أعلى الصخرة، وبحركةٍ واحدة أخرج السيف من مكانه ورفَعَه في هذه المرة عاليًا فوق رأسه ليراه الجميع. لمع السيف تحت وهج أشعة الشمس. لم يستطع الحضور التفكير بما يُمكن عمله بعد أن أخذتهم الدهشة تمامًا.

صاح أحد الحضور بصوتٍ عالٍ: «يجب أن يُصبح هذا الشابُّ ملكًا.»

وقال آخَرُ بصوتٍ مرتفع: «أخيرًا أصبح لدَينا ملك.»

صاح الفارس الطويل: «توقَّفوا. هل تعتقدون حقًّا أن هذا الغلام النحيف يُمكن أن يحكمنا جميعًا؟»

وجاءه الردُّ من أحد الحاضرين: «نعم. نعم.» والتفتَ الجميع نحوَ المُتكلِّم. كان الساحر ميرلين.

تقدَّم ميرلين من آرثر وقال: «أعرف هذا الشابَّ وأعرف طيبة قلبه، لا يُوجَد أحدٌ في بريطانيا قلبه أقوى وأكبر من قلبه. هذا السيف يُخبرنا بأن هذا الفتى الشاب سيكون ملك بريطانيا القادم، ثم إنَّ هناك شيئًا آخر يتعيَّن عليكم أن تسمعوه جيدًا.»

خيَّم الصمتُ المُطبق على الساحة.

وقال ميرلين وهو يُشير إلى آرثر: «هذا الشاب هو الابن الحقيقي للملك آرثر. إنه هو الأمير الطفل المفقود.»

وعلَتِ الهتافات بين الحضور. وقال أحدهم: «يحيا الملك آرثر.»

جثا السير إكتور على رُكبتَيه، ومِن ثَم السير كاي. وقام الجميع بفعل ذلك أيضًا الواحد تلوَ الآخر وهلَّلوا بصوتٍ مرتفع. وهكذا أخيرًا اختِيرَ ملكٌ لبريطانيا. ملك جديد شاب، ويومٌ جديد أيضًا لبريطانيا.

حورية البحر الصغيرة

هناك في أعالي البحر حيث الماء عميق جدًّا، كان يحكُم ملكُ البحر عالَمَ ما تحت البحر.

لقد أقام قلعتَهُ في أعمق نقطةٍ في الماء. كانت جدرانها مَبنيَّةً من المرجان الأزرق، وسقفها من الأصداف التي تفتح وتُغلِق نفسَها كلما داعبَتْها تيَّاراتُ الماء. هناك عاش ملك البحار مع أُمِّه وبناته الأربع اللواتي تكبُرُ الواحدةُ منهنَّ الأخرى بعامٍ واحدٍ فقط.

كانت أصغرُ الأميرات الأربعِ تُدعى الحورية الصغيرة. وكانت تُمضي مُعظم وقتها في العوم إلى السفن الغارقة في قاع البحار. وكانت هذه السفن تحمِل في داخلها كنوزًا مُتنوِّعة من العالَم العلوي. وكانت هي تحمل ما تشاء من هذه الكنوز وتُخبئه هنا وهناك في أنحاءٍ متفرقة من قاع الماء، وفي أثناء ذلك تُغنِّي. وبينما كانت تُغنِّي، كان السمك يتجمَّع حولها ليستمِع إليها؛ إذ كان صوتها هو أجمل صوتٍ في قاع البحر.

كانت الأميرات الأربع يعرفنَ أنهنَّ يستطعنَ الصعود إلى سطح الماء فقط عندما يَبلُغنَ الخامسة عشرة من العمر. وكان على الحورية الصغيرة أن تنتظر سنواتٍ طويلةً حتى تستطيع ذلك؛ إذ كانت هي الأصغر من بينهن! ولهذا طلبَتْ من جدتها أن تُحدِّثها بكلِّ شيءٍ عن الحياة على الأرض، وتحكيَ لها قصص السفن والمدن، وقصص الناس الذين عرَفَتْهم في حياتها.

وسرعان ما بلَغَت الأميرة الكبرى سنَّ الخامسة عشرة من العمر. كانت الأميرة الأولى التي سُمح لها بالصعود إلى سطح الماء. وعندما عادت من هناك، كان لديها الكثيرُ من القصص المُثيرة لترويَها لأخواتها الأميرات. حكَتْ لهنَّ كيف استلقَتْ على رمالٍ بيضاء ناعمة على شاطئ البحر، وكانت فوقها سماءٌ عالية زرقاءُ صافية تسبح فيها غيومٌ بيضاء كثيفة. كما حكَتْ لهن كيف تحوَّلَت السماءُ إلى اللون الذهبي الذي يُخالطه اللون الأحمر عندما

بدأت الشمس تميل إلى المغيب. وروَت لهنَّ كيف استمتعت برؤية الطيور وهي تُحلِّق فوقها عاليًا، وتتداخل فيما بينها في السماء الذهبية المَشوبة بالحُمرة.

وعندما بلَغَت الأميرة الثانية سنَّ الخامسة عشرة من العمر، كان ذلك في فصل الشتاء. وحكَت لأخواتها عند عودتها من زيارتها للشاطئ عن رؤيتها للجبال الجليدية العائمة في البحر واللامعة بشدة، وروَت لهنَّ كيف تُحاول السفن الابتعادَ عنها، كما لو كانت تخاف منها. لكن هذه الجبال العائمة لم تَبْدُ وحيدةً في عرض البحر؛ فقد كانت تطفو قريبة بعضها من بعض مثلَ الأصدقاء.

وعندما حان موعد بلوغ الأميرة الثالثة سنَّ الخامسة عشرة، صعدت كأختَيها إلى سطح الماء وحكَتْ عندما عادت لأخواتها كيف اقتربت قدْر ما تستطيع من بوابة إحدى المدن. وهناك استمعت إلى صياح الناس وضجيجهم، وسمِعت صوت الخيول المشدودة باللجام وهي تَسير على الطريق، حتى إنها سمِعَت أيضًا مُوسيقى لم تسمع مثلها من قبل.

كانت الحورية الصغيرة تستمِع إلى حكايات أخواتها بدهشةٍ كبيرة. ولم يكن من الإنصاف أن تنتظِر سنواتٍ طِوالًا حتى يحين دَورُها في خَوض تجرِبتها مثل بقية أخواتها. وأخيرًا حلَّ هذا اليوم الذي بلغت فيه الخامسة عشرة من العمر. وأصبحت الآن تستطيع أن تصعد إلى سطح البحر وترى بنفسها هذا العالم الجديد.

وعندما صعدت إلى سطح الماء، وجدَت نفسها بالقُرب من سفينةٍ كبيرة واقفة وسط البحر. وكانت تصدح منها موسيقى جميلةٌ والبحَّارة يرقصون على سطحها. من الواضح أنهم كانوا يستمتعون بوقتِهم ويتضاحَكون فيما بينهم. ويبدو أنهم كانوا يُقيمون حفلة. ومن آنٍ لآخر كانت الأمواجُ ترفعها أكثرَ فأكثر نحوَ الأعلى، حتى أصبحت ترى بشكلٍ أفضلَ ما يجري على سطح السفينة. وعندما ظهر شابٌّ وسيم على سطح السفينة، انطلقت مئات الطلقات النارية في الهواء. كانت الحفلة مُقامة على شرَفِهِ لمُناسبةٍ ما. هل كانت هذه المناسبة الاحتفال بعيد ميلاده؟ اقتربت الحورية الصغيرة أكثرَ فأكثر من السفينة. وبدا أنَّ جميع البحارة على ظهر السفينة يُحِبون هذا الشاب. وكانوا يضحكون عندما يتحدَّث إليهم. ويُربِّتون في بعض الأحيان بأيديهم على ظهره في مرَح. وفي إحدى المرَّات، وقع تاجُه عن رأسه. وحينها ضحك الرجال والتقطوه. وقالت الحورية الصغيرة: «تاج! لا بدَّ أنه أمير.»

وفجأةً اكفهرَّت السماء بالغيوم السوداء وهبَّت ريح عاتية. وبدأ البحَّارة يُسرعون الخُطى على سطح السفينة، وأنزلوا الأشرعة، وأخذت السفينة تهتزُّ وتتمايل وتتأرجح من جانبٍ لآخَر ولأعلى وأسفل وسطَ الأمواج العاتية.

وسرعان ما هبَّت عاصفةٌ مطيرة هوجاءُ صاحَبَها برقٌ ورعد. وبدأت السفينة تميل على أحد جانبَيها وسط الأمواج العاتية! وأصبح الظلام دامسًا لدرجةٍ أعمَت الحورية الصغيرة عن رؤية ما حولها، ثم أضاء البرقُ السماءَ واستطاعت أن ترى الأميرَ الشابَّ على سطح السفينة. وكان يبدو أنه الوحيد الذي بقِيَ على سطح السفينة! كان يسعى جاهدًا للمحافظة على توازن السفينة ومنعها من الغرق، كما كان يُلقي بالحبال إلى البحَّارة الذين سقطوا في الماء. وفجأةً أصبحت الأمواج عاليةً بشكلٍ كبير، وبدأت السفينة تنقلب. ودفع هذا بالأميرِ الشابِّ إلى طرف السفينة قبل أن يقذِف به عاليًا في الهواء ليسقط بعدَها في عرض البحر.

اختفى الأمير الشاب في قلب البحر بشكلٍ سريع. ولكن ما عسى الحورية الصغيرة أن تفعل من أجله؟ كانت تعلم أنَّ البشر لا يستطيعون العيش مثلها تحت البحر. فغاصَتْ بسرعة تحت الماء وتوجَّهت مباشرةً نحوه، وتمكَّنَت من أن تُمسك بقميصه، وتصعد به إلى السطح بأسرع ما تستطيع. وقد تمكنت أخيرًا من رفع رأسه فوق سطح الماء. وهناك أخذا يَطفُوان بينما كانت الأمواج تعلو وتهبط. وبحلول الصباح هدأت العاصفة. لكنها وجدت الأمير بلا حَراك كما كان طيلةَ الليل. ومن بعيد، رأَتِ الحورية الصغيرة قِمَم تلال. وقالت: «أرض!»

عامَت نحوَ الشاطئ ساحبةً الأمير الشابَّ وراءها. لم يكن من السهل عليها سحبُه إلى الرمال الجافة، لكنها تمكَّنَت أخيرًا من تنفيذ ذلك. هل فارق الأمير الشابُّ الحياة؟ وقفَتْ بجانبه وأخذت تُغنِّي إحدى الأغنيات الحزينة. وفجأةً بدأ الأمير الشابُّ يتحرك. سألته وهي تلمس جبينه: «أوه! هل أنت بخير؟»

وحينها سمِعَت أصوات مجموعةٍ من الفتيات وهن يقتربنَ منها، فغاصت على الفور في البحر واختبأَتْ خلفَ صخرة. لا يجِب أن يرَوها؛ فهي حورية! ووجدت الفتياتُ الأميرَ الذي استيقظ الآن من غفوته. طلبتِ الفتيات النجدة لمساعدة الأمير، وسرعان ما أُخِذ لكي تتمَّ رعايته. ما كان الأمير سيعرف أبدًا أنها أنقذت حياته. دخلت الحورية الصغيرة في حالة حُزن شديد. وعندما رجعتْ إلى بيتها، طلبت منها شقيقاتها أن تروِيَ لهنَّ تفاصيل رحلتها بالكامل، لكنها كانت حزينةً بما فيه الكفاية؛ ممَّا منعها من قول أي شيء.

ودارت الأيام والليالي. وذهبَت الأخَوات لمساعدة جَدتِهنَّ، والتفتَت الجدة نحوَ الحورية الصغيرة وقالت لها: «ما الخطب يا بُنيتي؟»

قالت الحورية الصغيرة: «يا جدتي، لا أظنُّ أني سأكون سعيدةً مرةً أخرى!» وروَت لجدتها قصةَ لقائها بالأمير وإنقاذه من الغرق، وكيف كان يتعيَّن عليها أن تتركه. ثم

أضافت: «إذا لم أتمكَّن بطريقةٍ ما من السير على الأرض والسعيِ للقاء هذا الأميرِ الشابِّ مرةً أخرى، فإنني سأظلُّ حزينةً طوال حياتي!»

قالت لها جدتها: «تعلمين يا عزيزتي كما نعلم جميعًا أن الحوريات لا يستطعن السير على قدمَين مثل البشر! المخلوق الوحيد الذي يستطيع تغييرَ ذلك هو ساحرة البحر. ولكن بالطبع سيكون الذَّهابُ إليها مسألة بالغة الخطورة.»

لم تسمع الحورية الصغيرة عن تلك الساحرة من قبل، لكن سرعان ما وجدت نفسها تتوجَّه نحوَ أقصى المملكة حيث تعيش الساحرة.

قالت ساحرة البحر عندما أخبرَتْها الحورية الصغيرة بسبب قدومها إليها: «الأمر بسيط جدًّا. عادةً ما أُعالج أمورًا أصعبَ من ذلك بكثير. إذا كنتِ تُريدين أن يكون لك قدَمان مثل البشر، فإن كلَّ ما عليك فِعله هو تناول هذا المشروب السحري.» ثم التفتَتْ نحو الحورية الصغيرة وقالت: «لكنني، وكما يعلم الجميع، لا أفعل ذلك دون مقابل.»

سألتها الحورية الصغيرة: «أوه! إذن، ما المقابل الذي تُريدينه؟» حينها شعرَت في داخلها بارتفاع معنوياتها؛ ففي نهاية الأمر، هناك طريقة تستطيع من خلالها امتلاك قدَمَين تسير بهما للقاء الأمير.

قالت ساحرة البحر: «أوه، إن المقابل ليس كبيرًا. أريد منكِ فقط أن تتخلَّي عن صوتك.»

ردَّت الحورية الصغيرة مُتسائلة: «صوتي أنا؟» فقد كانت تعلم أن أكثرَ شيءٍ يُحبه مَن حولها فيها هو صوتها.

قالت لها ساحرة البحر: «أنتِ لستِ بحاجةٍ إلى هذا الصوت. إن غناءك هذا يُعَدُّ مضيعةً للوقت. ولكن يجب أن تعلمي يا صغيرتي الجميلة أنه إذا تزوَّج الأميرُ من فتاةٍ أخرى غيرك، فسوف تموتين في اليوم التالي، وسيبقى معي صوتك الجميل إلى الأبد. ولكن مرةً ثانية مَن يدري؟ فقد يختارك أنتِ ...»

شعَرت الحورية الصغيرة بقلبها يخفق بقوةٍ من شدة الفرح.

وأمسكت ساحرةُ البحر بكأسٍ مُمتلئٍ بشرابٍ أخضر اللون في يدها، وقالت: «والآن! ماذا ستفعلين يا عزيزتي؟ عليك أن تُقرِّري؛ ليس لديَّ الكثير من الوقت لأُضيعه معكِ.»

أخذَت الحورية الصغيرة الكأس وشربت ما فيه. وشعرت على الفور بألمٍ وبِدوارٍ في الرأس، كما لو أن سيفًا اخترق جسدها. وأخذت تئنُّ وتتلوَّى ثم سقطت بعدَها فاقدةً الوعي. وعندما استيقظت وجدت نفسها على نفس الرمال الجافة التي تركَت عليها الأميرَ

بعدما أنقذَتْهُ من الغرَق. وعندما رفعت رأسها أدركت أن حُلمها قد تحقَّق بالفعل؛ فقد اختفى ذيلُها وحلَّ محله قدمان بشريَّتان تستطيع السير عليهما!

سألها صوتٌ قادم مِن ورائها: «قولي لي يا آنسة هل عندكِ مشكلة، فأُساعدك؟» لم يكن صاحبُ هذا الصوت سوى الأمير! حاولت أن تقول شيئًا لتُجيبه ولكنها لم تستطِعْ أن تُخرج أي كلماتٍ من فمها. سألها مرة ثانية: «هل تستطيعين الكلام؟» فهزَّت رأسها بالنفي. قال لها: «حسنًا، دعيني آخُذكِ إلى القلعة حيث تستطيعين هناك أن تغتسلي وتحصُلي على ملابسَ أُخرى جافة ترتدينها.»

يُمكن القولُ إن الحورية الصغيرة كانت سعيدةً للغاية بمُرافقة الأمير إلى القلعة. في البداية كانت تهتزُّ قليلًا في مِشيتها، ولكنها سرعان ما أصبحت تمشي بتوازُنٍ كالآخرين. في تلك الليلة أخذها الأمير في جولةٍ ضمنَ أرجاء غُرَف القلعة. وكان يُشير إلى كلٍّ من اللوحات الجدارية الموجودة هناك ويحكي لها حكاية الشخص المرسوم بها. وعندما كان يقول شيئًا طريفًا، كانا يضحكان معًا. وعندما تكون القصة حزينة كانت عيناها الطيبتان تُخبره بأنها فهِمَت مَغزى القصة وبأنها تشعر بالحزن أيضًا.

وفي اليوم التالي كان هناك حفلٌ ملَكي. ولم يكن الأمير يعتزم المشاركةَ فيه؛ لأنه لم يكن يُحب الوقوف لساعاتٍ طويلة مع المَدعوِّين ذَوي الثياب الزاهية الذين يتحدثون ويتحدثون دون أن يكون لحديثهم أيُّ معنًى. سأل الأمير الحورية الصغيرة إذا ما كانت ترغب في الذَّهاب معه إلى الحفل؛ فهزَّت رأسها بسرورٍ بالغٍ مُعلِنة موافقتها الفورية. في ذلك اليوم، ومع وجود الحورية الصغيرة إلى جانبه، شعر الأمير بسرورٍ بالغ. أحيانًا كان يتحدَّث إليها بتعليقٍ بصوتٍ منخفض. وكان يعرف من حركة عينَيها وتعابير وجهها بأنها قد فهمت تمامًا ما قاله لها.

بعد ذلك رغب الأميرُ بأن تبقى الحوريَّة الصغيرة بجانبه كلَّ يومٍ حتى إنه شعر بأنه قد يقع في غرامها في يومٍ ما. لكنه كان لا يزال يأمُل بالزواج من صاحبة الصوت التي أنقذَته من الغرَق والتي لا يزال يتذكَّر جمال صوتها إلى اليوم. وبالطبع لم يخطر بباله أن تكون صديقته الجديدة الرائعة التي لا تستطيع التحدُّث، ناهيك عن الغناء، هي صاحبة هذا الصوت الجميل.

وفي يوم من الأيام، نادى الملكُ على ولده وقال له: «يا بُني، لقد اتخذتُ أنا ووالدتك قرارًا بأنه قد حان الوقت بالنسبة لك لكي تتزوَّج. ومن حُسن الحظ أننا تمكَّنَّا من اختيار عروس لك.»

قال الأمير: «ماذا؟» كان يُريد أن يتزوج الفتاة صاحبة الصوت الجميل الذي لا يزال يتذكَّره جيدًا. ثم أضاف: «ومن تكون هذه الفتاة؟»

قال الملك: «أميرة من منطقةٍ قريبة. ستأتي اليوم بصُحبة والدَيها لنتَّفق على إجراءات الزواج.»

أُصيب الأمير بصدمةٍ كبيرة. وشعرت الحورية الصغيرة بالخوف؛ فقد كانت تعرف ما سيحصل لها في اليوم التالي لزواج الأمير من فتاةٍ غيرَها!

في تلك الليلة واجهت الحورية الصغيرة المزيد من المشاكل. إنها لم تكن تعلم أن ساحرة البحر التي أخذت منها صوتها الجميل قد أعطَته لهذه الأميرة الشابة المُتغطرِسة التي لا تُفكر إلا في نفسها. وعندما تحدثت هذه الأميرة كان يصدُر عنها صوتُ الحورية الصغيرة. وقد ذُهِل الأمير عندما سمِعَها وطلب منها أن تُغنِّي. حينها، كان صوت الحورية الصغيرة يملأ القاعة. لم يُصدِّق الأميرُ أن يكون سعيدَ الحظ لهذه الدرجة، وأن يتمكن في النهاية من الزواج من الفتاة التي طالما حلم بالزواج منها! وعندما أخبر الأميرُ الحوريةَ الصغيرة بفرحِهِ الشديد، حاولت جاهدةً أن تُظهِر له فرحها أيضًا لذلك، وإن كانت الكآبة تملأ قلبها.

وعند الفجر في اليوم التالي ذهبت الحورية الصغيرة إلى شاطئ البحر. وكانت أخواتها، اللاتي شعرن بالقلق عليها لانقطاع أخبارها عنهن، قد صعدْنَ إلى سطح البحر لرؤيتها والاطمئنان على أحوالها. وبثَّت الحورية الصغيرة بطريقةٍ ما همومَها إلى أخَواتها. وقالت لهنَّ بأن حفل زفاف الأمير سيكون في يوم الغد، وبأنها ستموت في اليوم التالي. طلبت الشقيقات من الحورية الصغيرة بألا تشعر بالقلق أبدًا؛ حيث كانت لديهنَّ فكرةٌ ما لإنقاذها. لذا، طلبنَ منها أن تعود إلى الشاطئ مرة أخرى في وقتٍ مُتأخر من الليل، قبل أن يَغُصْنَ في البحر مرةً أخرى.

في تلك الليلة توجَّهت الحورية الصغيرة من جديدٍ نحو الشاطئ كما طُلِب منها أن تفعل. وصعدت الشقيقات الثلاث إلى سطح البحر مرةً أخرى دون أن تظهَر جدائلُ شعرهنَّ الطويلة والجميلة. لقد قُمنَ بقصِّها وتقديمها لساحرة البحر مُقابل سكينٍ تستطيع بها الحورية الصغيرة أن تقتُل الأميرة في نفس هذه الليلة. وبذلك يُلغى حفل الزفاف وتستطيع بعدَها أن تعود إلى أهلها في البحر. أخذت الحورية الصغيرة السكين من شقيقاتها؛ لأنها تعلم مقدار التضحية التي بذلوها من أجلها بدافع مَحبتها، ولكنها كانت تُدرك في أعماقها بأنها لن تقتُل الأميرة.

حلَّ يوم الزفاف. وتقدَّمَت الحورية الصغيرة مع المَدعوِّين الآخَرين لأخذ أماكنهم على ظهر السفينة حيث ستجري مراسم الزفاف عند غروب ذلك اليوم.

وفي هذه الأثناء عادت الشقيقات الثلاث إلى البيت ليُواجهوا أباهم الغاضب الذي صرخ في وجوههنَّ قائلًا: «أين أُختكن؟ وأين كنتنَّ جميعًا؟»

أخبَروه بقصة شقيقتهن الصُّغرى والمشكلةِ التي تُواجهها. على إثر هذا، توجَّه الأب إلى السفينة التي سيجري عليها حفلُ الزفاف، ورأى الأمير والأميرة وهما يستعدَّان للزواج. وأدرك على الفور أن ابنته لم تستخدِم السكين في الليلة الماضية.

وفي الحال أسرع الأب ليرى ساحرةَ البحر. ضحكت الساحرة عندما رأته وأخبرته بأن هناك طريقةً واحدة فقط لإنقاذ ابنته الصغرى من القدَر المحتوم الذي ينتظرها؛ قالت له إنه يُمكنه إنقاذُ ابنته إن سلَّمها صولجانَ الحُكم. وبهذا الصولجان في يدَيها، كانت الساحرة ستستطيع أن تحكم مملكة ما تحت البحار. تنهَّد ملك البحر بعُمق. ووافق على ما قالته الساحرة؛ فما عساه أن يفعل غير ذلك؟

أمسكت ساحرة البحر بصولجان الحُكم وهي تشعر بفرحٍ غامر. وأسرعت نحو السفينة التي يُقام عليها حفل الزفاف لتشهد انتصارها بعينَيها. شاهدت الحورية الصغيرة ساحرة البحر وهي تخرج من البحر. ورأت أن الساحرة، بعد امتلاكها صولجان الحكم، تحوَّلت إلى وحشٍ جبَّار يملك عشراتِ الأذرع المُمتدة من جميع أنحاء جسمه كالأخطبوط. كانت الحورية الصغيرة تعلَم أنه يتعيَّن عليها أن تحمِيَ الأمير وحتى عروسه الجديدة أيضًا. ولهذا أخرجت السكين. وفي ذلك الوقت وصلَتْ إليها إحدى أذرع ساحرة البحر لتخطفها من على ظهر السفينة وحينها صاحت الساحرة في ابتهاج: «هذه نهايتك!»

وقبل أن تُدرك الحورية الصغيرة حقيقة ما يجري، وجدَت نفسها في قبضة ذراعٍ قريب للغاية من صدْر ساحرة البحر. كانت لا تزال تُمسك بالسكين في يدها — سكين ساحرة البحر نفسها — فرفعَتها إلى الأعلى وغرستها بكامل قوتها في صدْر الساحرة.

ترنَّحت ساحرة البحر وهي تئنُّ من الألم، وتحرَّرت الحورية الصغيرة من قبضتها. وأُصيب المَدعوُّون على ظهر السفينة برُعبٍ شديد وبدَءوا يتدافعون في كل اتجاه، بينما كان الأمير يُطلق سهامه الواحد تلوَ الآخر على الساحرة. وفي النهاية سقطت الساحرة في ماء البحر. وبينما كانت تهبط، انطلق صوت الحورية الصغيرة من عقاله وعاد إليها كما كان.

وبدأت الأميرة تصرُخ بمن حولها بصوتٍ خشنٍ وأجشَّ قائلة: «يا لها من مملكة سيئة! لا يستطيع المرءُ فيها أن يُقيم حفل زفافٍ بشكل لائق!» سمع الأمير ما قالته الأميرة وأدرك

على الفور بأنها لم تكن الفتاةَ التي أنقذَته من الغرَق في يومٍ من الأيام. وما إن بدأت الحورية الصغيرة بالغناء، حتى أدرك الأميرُ أن الصوت الذي يتذكَّره دائمًا يعود إلى نفس الفتاة التي طالما أحبَّها منذ ذلك اليوم.

وغادرت الأميرة الغاضبة السفينة، وتبعها أهلُها وراءها.

وعندما وصل ملك البحر كان صولجان الحكم يطفو على سطح البحر، كما لو أنه كان ينتظره. ومدَّ الملك ذراعه ليلتقِطه، فعادت إليه مِلكيَّته كما كان في السابق.

وقال ملك البحر: «رائع! أرى ابنتي الآن في أيدٍ أمينة.» ورفع بتلويحةٍ من صولجانه ابنته الصغرى من سطح البحر ووضعها على ظهر السفينة.

قال الأمير وهو يُعانقها: «كنتُ أعلم منذ زمنٍ طويل بأنك أنت صاحبة هذا الصوت الجميل! فهل تتزوَّجينني؟» على الرغم من أن الحورية الصغيرة قد عاد إليها كامل صوتها، فإنها لم تتمكن من الردِّ عليه من شدَّةِ الفرح الذي غمر قلبها، فأومأت برأسها بالموافقة مع ابتسامةٍ دافئة. وبعد ذلك جرَت مراسم حفل زفاف العروسَين على ظهر السفينة.

الخنازير الصغيرة الثلاثة

كان هناك في قديم الزمان أمٌّ عجوز تعيش مع ثلاثةٍ من أولادها الخنازير الصغار، وذات يومٍ قالت لهم: «يا أولادي، لقد حان الوقت لأن تسيحوا في الأرض، وتسعَوا لكسْب رزقكم بأنفسكم.»

وهكذا انطلق الخنازير الصغيرة الثلاثة ليكسبوا عيشهم بعد أن ودَّعوا أُمَّهم.

التقى الخنزير الصغير الأول، ويُدعَى وايتي، رجلًا يحمِل حزمةً من القش، فقال له: «هل لك يا سيدي أن تُعطيَني هذه الحزمة لأبنِيَ بها بيتًا لي؟» أعطى الرجل وايتي حزمة القش، التي بنى بها بيتًا له.

في تلك الأثناء، جاء ذئب وطرَق على وايتي البابَ وقال له: «أيها الخنزير الصغير. أيها الخنزير الصغير، دعني أدخل إلى بيتك.» بالطبع لم يُرِد وايتي أن يُدخل الذئب بيته، فقال له: «لا، لا، هذا مُستحيل!» غضب الذئب بشدَّة جرَّاء ذلك، وقال له: «إذن سأنفخ في البيت بقوةٍ وأُدمره فوق رأسك.» وهكذا فتح الذئبُ فمَه ثم أخذ ينفخ وينفخ بكل قوَّته حتى وقع بيت وايتي، ثم ساق معه بعدَها وايتي الصغير المسكين إلى بيته في الغابة.

ولقي الخنزيرُ الصغير الثاني، ويُدعَى بلاكي، رجلًا يحمل بعض الخشب، فقال له: «هل لك يا سيدي أن تُعطيَني هذا الخشب لأبنيَ به بيتًا لي؟» أعطاه الرجل ما يحمله من خشب، وبنى به بلاكي بيتًا له. وعلى الفور جاء الذئب وطرَق على بلاكي الباب وقال له: «أيها الخنزير الصغير. أيها الخنزير الصغير. دعني أدخُل إلى بيتك.» قال بلاكي وهو يرتعد من الخوف: «لا، لا، هذا مستحيل!» قال الذئب: «إذن سأنفخ في البيت بقوةٍ وأُدمره فوق رأسك.» وهكذا فعل الذئب ما قال حتى دمَّر البيت، ثم ساق معه بلاكي المسكين إلى بيته في الغابة.

أما الخنزير الصغير الثالث، ويُدعى براوني، فقد لقِيَ رجلًا يحمل عددًا من قوالب الطوب، فقال له: «هل لك يا سيدي أن تُعطيَني هذا الطوب لأبنيَ به بيتًا لي؟» أعطاه الرجل ما يحمله من الطوب، وبنى بها براوني بيتًا صغيرًا ومريحًا جدًّا. وما كاد براوني ينتهي من بناء البيت حتى جاء الذئب وطرَقَ عليه الباب وهو يقول: «أيها الخنزير الصغير. أيها الخنزير الصغير. دعني أدخل إلى بيتك.» قال براوني: «لا، لا، هذا مُستحيل!» وهكذا فتح الذئب فمَه ثم نفخ ونفخ بشدة على بيت براوني المرةَ تلوَ الأُخرى، دون أن يتمكَّن من تدمير جدران البيت المبنيَّة من الطوب.

هنا قال له: «أيها الخنزير الصغير، أعرف بستانًا رائعًا مليئًا باللفت.»

سأله براوني: «وأين يقع هذا البستان؟»

«في بستان السيد سميث. إذا جهزتَ نفسك في صباح يوم الغد، فسوف آتي إليك ونذهب معًا إلى هناك لنحصلَ على بعض اللفت لوجبة العشاء.»

ردَّ براوني: «رائع جدًّا. سأكون جاهزًا. متى ستأتي لكي نذهب معًا؟»

ردَّ الذئب: «حوالي الساعة السادسة.»

حسنًا يا أصدقائي الأطفال، هل تعلمون أن الخنزير الصغير الذكي استيقظ باكرًا في الساعة الخامسة وذهب إلى البستان وعاد إلى البيت وهو يحمِل بعض قطع اللفت قبل مجيء الذئب في الساعة السادسة. وعندما علم الذئب بأن براوني قد سبقه في الذَّهاب بمفرده إلى بستان السيد سميث، غضب بشدة، وبدأ يُفكر في طريقةٍ أخرى للإيقاع ببراوني الصغير. لذا قال له: «أيها الخنزير الصغير، أعرف مكان بستان مليء بالتفاح اللذيذ.»

سأله براوني: «وأين يقع هذا البستان؟»

ردَّ الذئب: «هناك في حديقة ماري. سنذهب معًا في صباح الغد في الساعة الخامسة لنحصل على بعض ثمار التفاح.»

لكن براوني جمع كل ما لديه من قوة وعزم، واستيقظ باكرًا وذهب في الساعة الرابعة من صباح اليوم التالي إلى بستان التفاح. كان عليه أن يذهب لمكانٍ أبعد ويتسلق الأشجار ليقطف الثمار. وبينما كان ينزل عن إحدى الأشجار وهو يحمل سلةً مليئة بالتفاح شاهد الذئب يأتي من بعيد. حينها شعر براوني بالطبع بخوفٍ شديد. وعندما وصل الذئب إلى الشجرة التي كان ينزل عنها براوني، بادره بالقول: «آه، أراك هنا وقد أتيت قبلي. هل التفاح هنا حُلو المذاق؟»

أجاب براوني: «نعم، في واقع الأمر. سأقذف إليك بواحدة لتتأكد بنفسك.» وقذف براوني التفاحة بعيدًا جدًّا عن الذئب الذي جرى نحوها ليلتقطها، فنزل الخنزير الصغير على عجل عن الشجرة وجرى إلى البيت بأسرعِ ما يستطيع.

استشاط الذئب غضبًا وأخذ يُفكر ويفكر، إلى أن اهتدى إلى خُطة مُبتكَرة للإيقاع بالخنزير الصغير. جاء إلى بيته في صباح اليوم التالي وقال له: «أيها الخنزير الصغير، سيُقام بعد ظهر اليوم سوقٌ في المدينة، فهل ترغب في الذَّهاب معي إلى هناك؟»

ردَّ براوني: «أوه، نعم. يُسعدني ذلك حقًّا. متى تُريدني أن أكون جاهزًا للذهاب معك؟»

قال الذئب: «الساعة الثالثة.»

لكن براوني ذهب إلى السوق في الساعة الواحدة واشترى من هناك وعاءً نُحاسيًّا كبيرًا. ولكن للأسف، بينما كان عائدًا من السوق، شاهد الذئب وهو يصعد التل.

تحيَّر براوني الصغير المسكين ماذا يفعل. وفجأة لمعت في ذهنه فكرة ذكية حقًّا. قفز إلى داخل الوعاء النُّحاسي ودفع نفسه بكل قوة في داخله. ثم بدأ الوعاء يتدحرج نحو أسفل الطريق وبراوني في داخله. وعندما رأى الذئب الوعاء يتدحرج نحوه، شعر بالخوف الشديد، وأخذ يجري بقوة عائدًا إلى البيت دون أن يذهب إلى السوق.

وفي صباح اليوم التالي ذهب إلى بيت براوني ليُحدِّثه عن الخوف الشديد الذي شعر به عندما رأى شيئًا كبيرًا يلمع تحت أشعة الشمس يتدحرج نحوه بقوة بينما كان يصعد التل.

حينها، ضحك براوني كثيرًا وقال للذئب: «ها! قد أخَفتُك، يا سيد ذئب. لقد ذهبتُ إلى السوق واشتريتُ وعاءً نُحاسيًّا، وعندما رأيتك تصعد التل وضعتُ نفسي في داخل الوعاء ودفعتُه بكل قوةٍ ليتدحرج أسفل التل.»

شعر الذئب بالغضب الشديد، لدرجة أنه قفز إلى سطح بيت الخنزير الصغير وبدأ في النزول عبر المدخنة. وعندما رأى براوني ذلك، أشعل على الفور نارًا كبيرة في المدفأة ووضع فوقها الوعاء النحاسي المليءَ بمياه مغلية. وما إن وصل الذئب إلى أسفل المدخنة حتى قام براوني الصغير برفع غطاء الوعاء ليسقط الذئب في وسطه.

وهكذا تمكن براوني الصغير من إيقاع الذئب في داخل الوعاء المليء بالمياه المغلية، ليُسارع بعدها إلى إنقاذ أخَوَيه وايتي وبلاكي من بيت الذئب وسط الغابة حيث كان يحتجزهما. وعاشوا بعدها جميعًا معًا في هذا البيت الصغير المبنيِّ من الطوب في سعادة غامرة إلى الأبد.

الساحر خزر

كان ملك بلاد فارس يشعر باضطراب شديد. كان شعبه يتضوَّر جوعًا وقد أصاب الجفافُ بلاده لفترة طويلة. وفي الوقت نفسِه كان أعداءُ المملكة يُهاجمون حدودها، وقطَّاع الطرُق يُهاجمون مُسافريها ويسلبون ما في حوزتهم. كان الملك يتوق بشدة إلى زيارةٍ من الساحر خزر، وهو ساحر معروف عنه أنه يظهر بشكل غامض في أوقات الشدة والأزمات؛ ليُهدئ من رَوع الناس ويُرشدهم لما فيه الصالح. قال الملك: «إذا كان هناك وقتٌ مناسب لظهور الساحر خزر، فهو حقًّا الآن!»

وأعلن الملك بدافعٍ من اليأس أن أي شخصٍ يستطيع أن يُريَه الساحر خزر فسوف يحظى بجائزةٍ كبيرة تُقدَّر بألف تومان.

وكان يعيش في المملكة رجلٌ فقير يُعاني من مشاكلَ عديدة. كانت الديون تتراكم عليه يومًا بعد يوم، ويُساوره قلق دائم بأن عائلته لن تتمكن يومًا من التخلُّص من حياة الفقر والحرمان. وعندما سمع بإعلان الملك، توجَّه على الفور نحوَ القصر.

قال الرجل الفقير: «سوف أُريك الساحر خزر، ولو أن الأمر يتطلَّب بعض الوقت.»

سأله الملك: «وكم من الوقت يتطلَّب ذلك؟»

أجاب الرجل: «أربعين يومًا، بيد أنني لكي أتمكَّن من ذلك أحتاج إلى الحصول على الألف تومان مقدمًا.»

ردَّ الملك: «حسنًا. بالطبع أنت تعلم جيدًا أنك إذا فشلت في ذلك خلال فترة الأربعين يومًا، فسوف أقطع رأسك.»

ردَّ الرجل الفقير: «أعلم ذلك.» وهكذا تمَّت كتابة اتفاق بهذا الخصوص والتوقيعُ عليه. وأصدر الملك الأمرَ بصرف المبلغ، وقام مسئولو البلاط بتسليمه إلى الرجل الفقير.

عاد الرجل الفقير إلى البيت بمشاعر مُختلطة. وسدَّد على الفور كل الديون المتراكمة عليه لأصحابها، وأعطى ما تبقَّى من المبلغ لزوجته لتُنفق منه على عائلته. وعمل جهدَه قدر المُستطاع على تمضية الفترة المتبقية من مُهلة الأربعين يومًا مع عائلته بأسعدِ ما يكون.

وبحلول صباح اليوم الأربعين، قال الرجل الفقير لزوجته: «يا عزيزتي، سيُقطَع رأسي اليوم.»

صاحت زوجته في جزع شديد: «وا حسرتاه! يبدو أن هذا هو الحال.»

صاحبَ استقبال الرجل الفقير في القصر الكثير من الجلَبة، وذهب به الحُرَّاس بسرعة لرؤية الملك في القاعة الكبرى. وقال الملك في صوت هادر: «والآن، لقد انتظرتُ بما فيه الكفاية. لقد انتهت مُهلة الأربعين يومًا اليوم. أين خزر؟»

أجاب الرجل التعيس: «إنه ليس هنا كما ترى. أيها الملك، هل كنتم حقًّا تعتقدون بأنني أستطيع إحضار الساحر خزر؟ كانت الديون تُثقِل كاهلي ولم أعُد نتيجةً لذلك أرغب في العيش. وها أنا ذا ساقَتني قدَماي إليك بملء إرادتي لتقطع رأسي.»

صاح الملك متعجبًا: «ماذا؟» واستدعى، بعد أن شعَر بهول المفاجأة، وُزراءه الأربعة للتشاور. وما إن جلسوا حول الملك، حتى دخل رجل عجوز إلى القاعة وجلس في نهايتها.

قال الوزير الأول: «هذا الرجل يستحق فعلًا تقطيع جسده بالمقص.» وقال الوزير الثاني: «سيكون من الصواب حقًّا أن يُوضَع في داخل فرن الخبز ويُترَك يحترق حتى الموت.»

ثم نهض الوزير الثالث وقال: «يستحق هذا الرجل فعلًا تقطيع جسده بشفرة.»

وقال الوزير الرابع: «أيها الملك، لقد صدقَك الرجلُ القول. وها هو قد وفَّى بوعده، وعاد إليك في الوقت المُحدد وهو يعلم تمامًا المصيرَ المحتوم الذي ينتظره. القليل من الناس يفعلون ذلك. وأنا أميل إلى إطلاق سراحه مع إعطائه مبلغًا آخرَ من المال ليستطيعَ أن يبدأ به حياته من جديد.»

عبس الملك، والتفت نحو وزرائه وقال: «لقد استمعتُ لآراءٍ مختلفة. ولكن كيف لي أن أنظر فيها لأختار المناسبَ منها؟» ثم لمح الرجل العجوز الذي يجلس في نهاية القاعة، فنادى عليه قائلًا: «وأنت يا هذا؟ ما رأيك؟»

نهض الرجل العجوز وقال: «أستطيع أن أقول بأن وزيرك الأول كان خياطًا فيما مضى؛ لأن كل حديثه يدور حول المقصَّات، كما أن الوزير الثانيَ كان خبازًا؛ لأن كل حديثه يدور حول الأفران، وكانت مهنة الوزير الثالث السابقة الحِلاقة؛ لأن كل حديثه يدور حول

شفرات الحلاقة. وبالنسبة للوزير الرابع، فقد تحدَّث بما يليق بمنصب وزير الملك كما لو أنه كان سليلَ عائلة توارثَت هذا المنصب عبر الأجيال. الحقيقة أن هذا الرجل خاطر بحياته بدافعٍ من اليأس، وعاد بملء إرادته إلى بلاطك وهو يعرف تمامًا المصيرَ المحتوم الذي ينتظره. وعِوضًا عن أن تُنزِل به العقاب لما فعله، رأى وزيرُك الرابع أن تُقدِّم له بعض المال ليستطيع أن يبدأ به حياةً كريمة من جديد.» وتحرَّك الرجل وبسَط رداءه وقال: «انظر، ها أنت ذا قد رأيتَ الآن الساحر خزر.» وسرعان ما اختفى المُتحدِّث عن الأنظار، وأخذ الجميع يلهثون من هول المفاجأة قائلين: «كان هذا هو الساحر خزر بعينه دون أدنى شك!»

وعلى الفور طلب الملكُ من حُرَّاسه أن يُفتشوا في كل أرجاء القصر بحثًا عن الساحر خزر، لكنه كان قد اختفى تمامًا. لذا، قال الملك في تأوُّه: «أكاد لا أُصدِّق أن يختفيَ الساحر خزر قبل أن أتمكَّن من طلب مشورته! لماذا لم أُمسك به عندما كان لا يزال واقفًا أمامي؟»

كان الرجل الفقير لا يزال يقف خارج القاعة في انتظار أن يُقرر الجمعُ مصيره النهائي. ورأى الملك أن أقلَّ شيءٍ يُمكن أن يقوم به هو تنفيذ أي رأي، ولو كان سريعًا، كان قد قدَّمه له الساحر خزر قبل أن يختفي. وهكذا أعطى الملكُ الرجل البائس قطعة أرضٍ كبيرةً وبعضَ المال، وما إن رأى الرجل تطوُّر الأحداث غيرَ المتوقَّع حتى أطلق ساقَيه للريح، متوجهًا نحو بيته ليُبشِّر عائلته بنجاته وبالثروة التي حصل عليها.

وعزل الملكُ بعد ذلك الوزراء الثلاثة، وأبقى فقط على الوزير الرابع. وكان من نتيجة المشوراتِ الصحيحة التي تقدَّم بها الوزيرُ الرابع أن تبدَّلَت أحوال المملكة من الشدة إلى الرَّخاء. وقد ساعدت النصائحُ الجيدة التي ظل يتقدم بها الوزير الرابع للملك في حكم الأخير للمملكة بحِكمة وعدل.

قصة ثورة قرية فوينتي أوفيخونا

«هذه هي القصة الحقيقية لإحدى أولى الثورات ضد النظام الإقطاعي في أوروبا؛ ثورة الفلاحين الإسبان في عام ١٤٧٦ في قرية فوينتي أوفيخونا. وهي قائمة على مسرحية «فوينتي أوفيخونا».»

قالت لورينسيا لخطيبها الوسيم فروندوسا: «إذا كنَّا نعتزم الزواجَ فدَعْنا لا نُضيِّع أيَّ وقت.»

ردَّ فروندوسا وهو يُمَسِّد شعرها: «نعم، الأفضل أن يتمَّ الزواج في أقرب وقت. ولكن لماذا هذا الاستعجال؟»

قالت لورينسيا: «أنت تعلم كما أعلم بأن قائدَ المنطقة يضع عينَه عليَّ. وقد حاول رجالُه إغرائي بإهدائي ثوبًا جديدًا وقِلادةً غالية وحذاءً فاخرًا، مُعتقدًا أنه يستطيع شرائي بهذه الأشياء. لقد تسبَّب هذا القائد في أذًى شديدٍ لنساء فوينتي أوفيخونا؛ فهو يحصل على أي امرأةٍ تُعجبه، وعندما يقضي حاجته منها، يرميها كعَظْمةٍ مأكولة. ونحن جميعًا لا نستطيع فعلَ أي شيءٍ حيال ذلك.»

قال فروندوسا وهو يُمسك بذراعها: «لا أحد يستطيع أن يأخذكِ مني.»

صاحت قائلة: «كم أتمنَّى أن يكون ذلك صحيحًا! قل ذلك لجاسنتا المسكينة أو لماريا أو إينس!»

أضاف فروندوسا وهو مُتجهم: «أو زوجة أنطوان.»

تنهَّدَت لورينسيا، وقالت: «لا أحد فينا في فوينتي أوفيخونا في مأمنٍ منه.»

في ذلك اليوم جاء فروندوسا إلى والد لورينسيا، عُمدة فوينتي أوفيخونا، وطلب منه أن يتزوَّج ابنته في نفس هذا الأسبوع. وافق الأب وبدأ الإعدادُ بسرعةٍ لحفل الزفاف. وجرى

تزيينُ ساحة القرية بأكاليل الزهور وألَّف المُوسيقيون بعض الأغنيات الجديدة. وفي يوم الزفاف، عندما كان الحبيبان على وشك تبادُل قَسَم الزواج، جاء قائد المنطقة مع عددٍ من رجاله.

كان هذا القائد عائدًا مُنتصرًا للتوِّ من معركةٍ لم يُحارب فيها من أجل مَلِك بلاده إسبانيا؛ الملك فردناند وزوجته الملكة إيزابيلا، اللذين أقسَم أن يَدين لهما بالولاء، بل عِوضًا عن ذلك حارب من أجل عَدوِّهما ملك البرتغال ألفونسو. كان قائد المنطقة الماكر يعرف أنه في حال نجاح ملك البرتغال في إزاحة الملك فردناند والملكة إيزابيلا عن عرش إسبانيا، فسوف تتمُّ مكافأته بتعيينه حاكمًا لمنطقة قشتالة بأسرها. وبدَت هذه المكافأة قريبةَ المنال أكثرَ من أيِّ وقتٍ مضى بعد أن سيطرَت قوَّاته للتوِّ على مدينةٍ حدودية هامة لصالح ملك البرتغال. وكان قائد المنطقة يعرف كيف سيحتفل بطريقته الخاصة بهذا الانتصار الذي حقَّقه.

نظر في وجوه المَدعوِّين التي علاها الذهولُ لقدومه، وقال في صوتٍ سلسٍ وصارم: «لا تدَعوني أُفسِد عليكم هذه المناسبة. ولا داعيَ لأن يشعر أحدٌ بالفزع، إلا من آذاني أو كان يعتزم ذلك.»

أشار عمدة القرية إستيبان بتوتُّرٍ شديد إلى ابنته لورينسيا وفروندوسا بالهرب، والتفت بعدَها إلى قائد المنطقة وقال له في صوتٍ مُهادِن: «أيًّا كان ما تقوله يا سيدي. هلَّا جلست؟ هل هزَمَ جنودك العدو؟ كيف يُمكن لنا أن نحتفل بانتصارك؟»

فردَّ عليه قائدُ المنطقة بغضب: «يا لك من عجوزٍ أحمق! أنت تعرف جيدًا لماذا أنا هنا.» والتفتَ نحو لورينسيا وقال بابتسامةٍ ملتوية: «تعالَي إلى هنا أيتها الفتاة الوقِحة.»

قال العمدة: «سيدي! اليوم هو يوم زفاف ابنتي.»

«اخلعوه من مكانه وخُذوا منه عصا العمادة!»

قال إستيبان وهو يُعطيه عصا العمادة: «يمكن أن تأخُذَها!»

أخذ أحد رجاله العصا من يد العمدة وسلَّمها إلى قائد المنطقة الذي كان غاضبًا بشدَّةٍ وكسرَها فوق رأس العمدة إلى نصفَين، وقال: «وسوف أفعل بها ما أشاء!»

ردَّ إستيبان بصوتٍ مُنخفض أكثر: «أنت مولاي وسيدي.»

ونادت لورينسيا مُستغيثةً بأبيها عندما أبعدَها رجالُ قائد المنطقة عن فروندوسا وساقوهما بعيدًا خارج الساحة.

في تلك الليلة، اجتمع إستيبان على عجلٍ مع رجال فوينتي أوفيخونا الآخرين في ساحة القرية، وقال لهم وهو يئنُّ من شدَّة الحزن: «ابنتي لورينسيا في خطرٍ شديد، وسوف أُصاب بالجنون نتيجةً لذلك لا محالة. لقد حبسوا فروندوسا في سجن برج القلعة.»

قال شقيق إستيبان: «لا تتحدَّث بصوتٍ مرتفع. يجب أن يكون اجتماعنا هذا سريًّا.»

ردَّ إستيبان: «ولكن يجب علينا القيامُ بشيءٍ ما!» ثم أخذ يذرع الأرض جيئةً وذهابًا، وأضاف: «كلنا هنا بدون استثناء تعرَّضنا للأذى على يد هذا القائد المُتوحِّش.»

قال أحد الفلاحين مقترحًا: «يجب أن نطلُب من الملك فردناند والملكة إيزابيلا أن يُنصفانا من عسْف هذا القائد المُتوحش. نستطيع أن نذهب إلى قلعتهما، ونُقدِّم لهما عريضةً تحمل جميع أسمائنا.»

قال إستيبان: «لا يُوجَد لدينا الوقتُ لنقوم بذلك! ثم لماذا تعتقد أن الملك والملكة سوف يقبلان العريضة؟ هما سيرفضانها على الأغلب، ويُبيدان قريتنا عن بَكرة أبيها بتهمة العصيان.»

قال فلَّاح آخر: «يجب أن نهجُر القرية. نستطيع أن نحمل الطَّحين معنا ونذهب للعيش في كهوف الجبال.»

قال فلاح آخر: «لكن الوقت قد فات للقيام بذلك! لقد جرى تحطيمُ عصا العمادة فوق رأس العمدة، وخُطِفَت ابنته. إننا نُعامَل كما لو أننا عبيد، لا بل أسوأ من ذلك.»

صاح إستيبان: «يجب القيام بشيءٍ ما! ممَّ نحن خائفون؟»

وفجأة ظهرت أمامهم لورينسيا وهي تترنَّح وشعرها أشعث وعلى وجهها جروح وكدمات.

أسرع إستيبان نحوَ ابنته وقال: «ابنتي! كيف تمكنتِ من الهرب؟»

تراجعت لورينسيا قليلًا إلى الوراء وأخذت تُحدِّق بجميع الرجال بنظرة استنكار، وقالت: «أنا لم أعُد ابنتك. لقد ساقَني قائد المنطقة رغمًا عني ولم يُحاول أي أحد إنقاذي. اكتفيتم جميعًا بالوقوف ومشاهدة ما يجري، كما لو أن القائد كان يملك أذرُعًا وأرجلًا أكثرَ ممَّا تملكون، أو أنَّ لديه قوةً سحرية أكبرَ من القوة البشرية. إنه مجرد رجل! رجل عادي، رجل ضعيف. هل أنت بالفعل أبي؟ وهل أنت بالفعل عمِّي؟ ألا يُشكِّل ذلك إهانةً لكم أن ترَوني بهذا الحال؟ يا لكم من جُبناء! أعطوني السلاح وسوف أنتقِم لنفسي ولجميع نسائكم بينما تقفون أنتم بلا حَراك، ولا تفعلون شيئًا سوى الكلام والكلام والكلام بدون

أي أفعال. أنتم مَن يجب أن يقوم بأعمال طهي الطعام وغزل الصوف في البيوت. نحن النساء سوف نقتل هؤلاء الطغاةَ حتى ولو تطلَّب الأمر منَّا أن نرجُمهم بالحجارة بأنفسنا! وسنقوم بعدها بمناداتكم بالمُخنَّثين والجبناء، ونضع المساحيق على وجوهكم ونُرسلكم جميعًا لتعملوا في خياطة الملابس.»

وأضافت وهي تُحاول التقاط أنفاسها: «لقد أمر القائد بشنق فروندوسا بدون محاكمة، وسوف يُطبَّق ذلك عليكم جميعًا بلا استثناء. كم سأكون سعيدةً لرؤية القرية وقد أصبحت خاليةً من نسائها العجائز! وربما يعقب ذلك عودة عصر الأمازونيات المُحاربات الأسطوريات!»

قال إستيبان بصوتٍ خفيض: «تمهَّلي يا ابنتي، نحن لا نستحقُّ منكِ مثل هذا الخطاب المليء بالازدراء. سأذهب بمفردي، حتى ولو كان الأمر يعني مواجهة العالَم كله.»

قال أحد الفلاحين: «سأذهب معك!»

«وأنا أيضًا.»

وهكذا انطلق الرجال وهم يُردِّدون: «الموت للطاغية.» وقامت لورينسيا على عجلٍ بجمع كافة نساء القرية، وقالت لهن: «جميع الرجال والأولاد يبحثون عن السلاح ليُقاتلوا به. ولكن لماذا نترك لهم كل هذا العمل ليقوموا به وحدَهم؟ ألسنا نحن النساء الأكثر تضرُّرًا من شرور هذا القائد؟»

قالت النساء بصوتٍ واحد: «بالطبع! ولكن ما الذي نستطيع عمله؟»

قالت لورينسيا: «يجب أن نُهاجم قلعته، وليكن ما يكون بعد ذلك.»

بينما كان الرجال يُهاجمون قلعة القائد، كانت جموع النسوة تمشي وراءهم عن قُرب. وفي غضون وقتٍ قصير، قُتل القائد وسُجن جميع رجاله.

همس أحد المهاجمين قائلًا: «ماذا سنفعل الآن؟»

قال آخرُ بصوتٍ يرتجف من شدة الخوف: «مِن المؤكد أننا سنموت جميعًا بسبب ما قُمنا به!»

وقال إستيبان: «اسمعوني جيدًا. أنا أتحدَّث بما فيه مصلحة القرية كلِّها. من المؤكد أن الملك فردناند والملكة إيزابيلا سوف يأمران بإجراء تحقيقٍ حول ما حدث، ويجب علينا من الآن أن نتَّفِق جميعًا على ما سنقوله حينها.»

قال فروندوسا بعد أن تمَّ تحريره عقب الاستيلاء على القلعة: «وماذا تنصحنا أن نقول؟»

قال: «إذا لزم الأمر، يجب أن نقول دون تراجُع: «قرية فوينتي أوفيخونا هي التي قتلَت القائد.» وعلينا ألَّا نُسمِّي أحدًا بالذات. هل تُوافقون جميعًا على ذلك؟»

قال الجميع بصوتٍ واحد: «نعم.»

كما هو مُتوقَّع، أرسل الملك فردناند والملكة إيزابيلا قاضيًا للتحقيق في هذه القضية التي جرى فيها قتلُ القائد وحبسُ رجاله بشكلٍ غير مُتوقَّع. وكانت المفاجأة أن جميع الفلاحين الذين جرى التحقيق معهم، وحتى بعد جلدِهم بالسياط، لم يذكُروا مَن الذي قتل القائد، بل كانوا يقولون: «قرية فوينتي أوفيخونا هي التي فعلت ذلك.»

عاد القاضي إلى البلاط ولم يجد مَفرًّا سوى أن يُقدِّم التقرير التاليَ عن الحادثة: «جلالة الملك والملكة، توجَّهتُ بناءً على أوامركما إلى قرية فوينتي أوفيخونا وقمتُ بتحقيقاتي. ولم أعثُر على أي دليلٍ يكشف ملابسات الحادثة. كان جميع الفلاحين يتصرفون بطريقةٍ واحدة وبإصرارٍ شديد لم أعهَدْه من قبل. وكان جواب كل واحدٍ منهم بلا استثناء، عند سؤالي عن اسم الشخص الذي قتل القائد، هو: «قرية فوينتي أوفيخونا هي التي فعلت ذلك.» وأستطيع يا سيدي أن أُؤكد لجلالتكم بأنني قد قمتُ بممارسة كل الصلاحيات الممنوحة لي، ولكن لم تنجح لا الوعود ولا التهديدات ولا حتى عمليات التعذيب. ومن ثَمَّ فإنَّ الحكم الذي أستطيع إصداره هو أن تأمروا بإعدام جميع أهل القرية، أو أن تعفوا عنهم. وهم جميعًا هنا الآن لإجراء أي تحقيقاتٍ أُخرى معهم حول القضية، إذا أردتُم ذلك.»

هزَّ الملك فردناند رأسه بالموافقة، وقال: «دعوهم يدخلون.»

وهكذا احتشد كل رجال ونساء القرية في البلاط الملكي.

وقالت الملكة إيزابيلا مُتسائلة وهي تجول بنظرها بين الجمع القلق الواقف أمامها: «هل هؤلاء هم القتَلة؟»

تقدَّم والد لورينسيا من بين الجمع وقال: «جلالة الملك والملكة، نحن أهل قرية فوينتي أوفيخونا، جئنا نسعى لطلَبِ حمايتكما ولخدمة جلالتكما. لقد كنا نرزح تحت وطأة الاضطهاد، ولم نُعامَل كبشَرٍ بل كعبيدٍ يجب عليهم أن يُعانوا من حظهم العاثرِ في صمت. ونحن اليوم نُناشد جلالتكما الرحمة لنستطيع بعد ذلك أن نستعيد كرامتنا وشرفنا. لقد كان القائد ضحيةَ طُغيانه. لقد سلَبَنا أرضنا ومَحاصيلنا، وانتهك حُرمة نسائنا ولم يُبدِ تجاهنا أي رحمة.»

قال فروندوسا: «جلالة الملك والملكة، هذا صحيح تمامًا. هل تريان هذه الفتاة التي جعلتْني أسعدَ إنسانٍ في العالَم؟ لقد خطفها منِّي في ليلة الزفاف وأخذها إلى بيته.»

انحنى إستيبان وقال: «جلالة الملك والملكة، نحن نطلُب من جلالتكما الصفحَ والغفران. نحن ندين لكما بالولاء، وسبق أن وضعْنا شعار النبالة خاصتكما على باب مجلس القرية.»

قال الملك: «حسنًا. ليس لدينا إثباتاتٌ خطِّية تُدينكم نتيجة عدم اعتراف أيٍّ منكم. لقد كانت الجريمة التي ارتكبتموها بحقٍّ خطيرةً، ولكن مُعاناتكم الفظيعة قد تُبرِّرها.»

وقالت الملكة: «أتفق معكم في ذلك. إن مثل هؤلاء الفلاحين الأقوياء الذين يتحمَّلون الصعاب سوف يكونون جنودًا أكفاءَ في جيوش المملكة لقتال المغاربة.» ثم أضافت وهي تفتح ذراعَيها على اتساعهما لتشمل كل أهل القرية أمامها: «سوف نصفح عنكم جميعًا، ونضع القرية تحت حمايتنا المباشرة. كونوا على استعدادٍ للاستدعاء للجيش والقتال تحت راية إسبانيا.»

وهكذا صفَح الملك فردناند والملكة إيزابيلا عن أهل قرية فوينتي أوفيخونا. وقد شعروا بسعادةٍ كبيرة نتيجة لذلك، وعادوا إلى قريتهم ليُتابعوا حياتهم.

وليمة الدببة

كان هناك رجل عجوز في ألاسكا يعيش حزينًا. لقد فقد كلَّ أفراد عائلته وأصدقاءه منذ فترةٍ طويلة. وبدأ يُفكر في ترك قريته والانتقال إلى مكانٍ آخر ليبدأ هناك حياةً جديدة. قال في نفسه: «إذا رحلتُ إلى مكانٍ آخر جديد، فعلى الأقل لن أكون مُحاطًا بكل تلك الذكريات التي تُذكِّرني بأحبائي.» لكنه عاد وشعر بالقلق وقال في نفسه ثانيةً: «إذا انتقلتُ إلى قريةٍ أُخرى ورأى الناسُ هناك أنني وحيد، فقد يُساورهم الشك بأنني كان عليَّ أن أهرب من قريتي لذنبٍ ارتكبته.» لذا، عوضًا عن ذلك، قرَّر أن ينطلق نحو الغابة ليعيش فيها وحيدًا.

وبينما كان العجوز يسير وحيدًا وحزينًا عبر الغابة، خطر بباله أن يذهب إلى الدِّببة ويدَعها تقتُله. كانت قريةُ الدببة تقع بالقُرب من جدولٍ كبير مليء بأسماك السلمون؛ لذا، في صباح اليوم التالي، توجَّه مُبكرًا نحوَ الجدول حتى وجد دَرْبًا للدببة، فتمدَّد الرجل العجوز عبر نهاية هذا الدرب. وظنَّ أن الدببة عندما تعود وتسير عبر هذا الدرب، فإنها ستجده وحينها ستكون نهايته.

بعد فترةٍ قصيرة، وبينما هو مُستلقٍ هناك، سمع أصواتَ تَكسُّر الشجيرات. ورأى مجموعةً كبيرة من الدببة البُنِّية تسير باتجاهه. وكان كبيرُ الدببة، الذي كانت أطراف شعره بيضاءَ اللون، يقود بقيةَ أفراد المجموعة. حينها، دبَّ الذُّعر في قلب الرجل العجوز. وأدرك فجأةً أنه لا يُريد أن يموت على الإطلاق، وبالتأكيد ليس على يد الدببة. وهكذا عندما وصل كبيرُ الدببة إليه، وقف الرجل العجوز. وقال: «جئتُ لدعوتكم إلى وليمة.»

وقف شعر جسد الدب من هول المفاجأة لدى سماعه ذلك. واعتقد الرجل العجوز أنه هالكٌ لا محالة، لكنه أضاف قائلًا: «أتيتُ لدعوتكم لوليمة، ولكن إذا كنتَ تُريد قتلي، فأنا مُستعدٌّ للموت. إنني أعيش وحيدًا بعدما فقدتُ كل عائلتي وأصدقائي.»

وحالَما انتهى الرجل العجوز من قول ذلك، التفت كبير الدببة نحو المجموعة التي كانت تتبعه، وأصدر صوتًا هادرًا وقادهم للعودة من حيث أَتَوا. وبعد ذلك التفت الرجل وسار بسرعةٍ كبيرة نحو قريتِه. وأخذ يسأل نفسه ما إذا كان كبيرُ الدببة قد طلب من المجموعة التراجُع والاستعداد لأنهم مَدعوُّون عنده إلى وليمة.

قال في نفسه: «حسنًا، إن كان هذا هو الحال، فمن الأفضل أن أستعدَّ لإقامة وليمة.» وبمجرد أن وصل البيتَ بدأ في تنظيف المكان وترتيبِه، واستبدل بالرمل القديم الموجود حول المدفأة الجدارية رملًا جديدًا ونظيفًا، ثم ذهب ليُحضر كومةً من الحطب. وعندما قال لأهل قريته ما يعتزم فعله ولماذا، شعر الجميع بالخوف الشديد. وقالوا له: «وما الذي يحملك على فعل ذلك؟ إن هؤلاء الدببة هم أعداؤنا. أنت بالطبع لا تُريد دببةً في منزلك.» وعندما عاد الرجل إلى منزله، نزع قميصه وقام بِطلاء صدره؛ رسم خطوطًا حمراءَ على عضلات العضُد ورسم خطًّا أحمرَ على قلبه، وآخر على الجزء العلوي من صدره.

وفي الصباح الباكر وبعد أن أنهى الترتيبات اللازمة، وقف خارج باب بيته ينتظر قدوم ضيوفه الدببة. وأخيرًا رآهم عند مُقدِّمة الجدول يتقدَّمُهم الدبُّ الكبير نفسُه، ذلك الذي أطرافُ شعره بيضاء. وعندما رأى سكان القرية الدببةَ دخلوا بيوتهم على وجه السرعة، وأغلقوا على أنفسهم الأبواب وهم يشعرون بخوفٍ شديد. لكن الرجل العجوز وقف عند باب بيته لاستقبالهم. وعندما وصلوا قام بإدخالهم إلى البيت وأجلسهم، جاعلًا كبيرَهم في المنتصف عند مؤخرة البيت والبقية حوله.

في البداية أحضر الرجلُ العجوز صوانيَ كبيرةً من التوت البرِّي المحفوظ في مادةٍ دُهنية. وبدا كبير الدببة في أثناء ذلك وكأنه يقول شيئًا إلى المجموعة، وحالَما بدأ كبيرُ الدببة في تناول التوت البرِّي بدأ الآخرون في ذلك. كانوا ينظرون إليه طيلةَ الوقت ويفعلون ما يرَونه يفعل. وقام المُضيِّفُ العجوز بعد ذلك بتقديم صَوَانٍ من السلمون المُزيَّن ببعض البرسيم والهِنْدباء البرية. ثم قدَّم صوانيَ من لحم الغزلان المُضاف إليه الصنوبر. وللتحلية، قدَّم توتَ عُلَّيقٍ بالعسل. وبعد أن انتهَوا من الأكل، تحدَّث كبير الدببة مُطوَّلًا مع الرجل العجوز وبدا كما لو أنه يُلقي كلمةً بهذه المناسبة باسم المجموعة؛ ذلك لأنه كان ينظر بين الفينة والأخرى نحوَ مدخنة البيت، ويتصرَّف كما لو أنه يتحدَّث لمن حوله. وما إن انتهى من ذلك، حتى ذهب إلى مُضيفه ولعقَ الطِّلاء الأحمر من على ذراعه وصدره. وهكذا فعل كلُّ فردٍ في المجموعة بالترتيب. وشعر الرجل كما لو أنهم بذلك يُزيلون أحزانه وآلامه من داخله.

وبعد يومٍ من انتهاء الوليمة، جاء أصغر الدببة المَدعوِّين إلى بيت الرجل العجوز في شكلٍ بشري وتحدَّث إليه. قال له إنه قد وُلِد إنسانًا لكن الدببة خطَفوه وتبنَّوه. وسأل هذا الدبُّ الإنسانُ الرجلَ العجوز ما إذا كان قد فهم ما كان يقوله كبير الدببة، فقال الرجل العجوز: «لا.»

قال الدبُّ الإنسانُ: «كان يقول لك إنه يمرُّ بنفس الظروف الصعبة التي تمرُّ بها أنت الآن. إنه أيضًا مثلُك عجوز، وقد فقد كل أصدقائه. وقال إنه قد سمع عنك قبل أن يراك. وقال لك بأن تتذكَّره عندما تندب فقدان الأهل والأصدقاء؛ لأنه يعرف أيضًا كيف يكون هذا.»

وعندما سأله الرجل العجوز عن السبب في عدم قيامه بقول كلِّ ذلك أثناء الوليمة، أجاب بأنه لم يكن مسموحًا له بأن يتحوَّل إلى شكله البشري، أو يتحدَّث بلغته الأصلية في حضور كبير الدببة.

بعد ذلك، كلما كان أهل القرية يُقيمون وليمة، كانوا دائمًا ما يُوجِّهون الدعوة إلى أحد أعدائهم الذي سرعان ما يُصبح من بعدِها صديقًا لهم، تمامًا كما حدث بين هذا الرجل العجوز وكبير دببة الغابة.

البحث عن البحيرة السحرية

منذ خمسمائة عام وبالقُرب من كوسكو، عاصمة إمبراطورية الإنكا، كانت تعيش فتاة تُدعى آمباتا مع والدَيها وأخَوَيها. كانت العائلة فقيرةً وتقوم بزراعة الأرض بكل جهدها لخدمة الإمبراطور، ملك الشمس.

صُدِمَت العائلة عند معرفتها بأن حالة الأمير، الذي لم يكن يتمتع بصحة جيدة منذ ولادته، قد تدهورت، وخشي ملك الشمس كثيرًا على حياة ابنه الوحيد.

وقال ساحر بلاط الملك: «سيِّدي، إنَّ الأمل الوحيد لإنقاذ ولَدِكم الأمير هو أن يشرب من مياه البحيرة السحرية الموجودة في أقصى الأرض؛ حيث تنخفِض السماء كثيرًا، لدرجةٍ تتلامس فيها مع مياه البحيرة، وتضع فيها قوةَ شفاءٍ سحريةً.»

أعلن ملك الشمس أن مَن يستطيع أن يجلب مياهًا من البحيرة السحرية الموجودة في أقصى الأرض فسوف ينال مكافأةً ثمينة. وكان الذهب والمجوهرات بالنسبة لشعب الإنكا مُتوفِّرَين بكثرة، ولم تكن قيمتُهما تتعدى قيمةَ جوالٍ من الذُّرة. وكانت المكافأة الحقيقية التي يُمكن أن يسعَوا إليها، وتُعَد ثروةً حقيقية هي حيازة الأرض، وشرف الانضمام إلى العائلة الملكية.

ولكن هذا الإعلان شكَّل بالنسبة لشقيقَيْ آمباتا فرصةً حقيقية لخدمة مَلِكهم؛ مما دفَعهما إلى التوسُّل إلى والدَيهما للسماح لهما بالذَّهاب للبحث عن البحيرة السحرية. وقالا لهما بإصرار: «نحن مُتأكِّدون من أننا نستطيع العثور عليها.»

قال الأب وهو يعقد ذراعَيه: «ولكن أقصى الأرض بعيدٌ جدًّا.» أيَّدَت الأم كلام زوجها وأضافت: «هناك فهودٌ وأفاعٍ ضخمة بالقُرب من الحواف الصخرية. ومن يدري ما المخاطر التي يُمكن أن تتعرَّضا لها!»

ردَّا: «ولكن أميرنا سوف يموت إذا لم يحصل على مياه البحيرة السحرية! يجب علينا أن نُحاول.»

وافق الوالدان في النهاية على السماح لابنيهما بالذَّهاب، وهكذا انطلق شقيقا آمباتا في رحلتهما. سارا لأشهُرٍ عبر سلاسلِ جبالٍ شاهقة لا نهاية لها، وكانا يظنَّان أن كل جبلٍ يصعدان إليه لا بدَّ أنه هو آخِرُ واحد على الأرض، وأن فيما وراءه سيجدان في مكانٍ ما البحيرةَ السحرية. ولكن ذلك لم يحدُث.

وفي يومٍ من الأيام، وبعد أن تمكَّنا من صعود جبلٍ آخر، أملًا أن يكون هو الأخير على الأرض، لكنهما وجدا عندما وصلا إلى القمَّةِ أن هناك في الأفق البعيد العديد من قمم الجبال الأخرى. وهنا قال أحدهما للآخر في يأس: «لن يُمكننا العثور على البحيرة السحرية.»

ردَّ الآخر: «أعرف ذلك؛ لا أمل لنا في الوصول إليها.»

«وماذا يتعيَّن علينا أن نفعل الآن؟»

«سيحلُّ عما قريب مَوسمُ الحصاد وسيكون والدانا في حاجةٍ إلينا في المزرعة. ونحن الآن بعيدان جدًّا عن كوسكو. دعْنا نأخُذ بعض الماء من بحيرة هذا الجبل إلى الأمير ليشرب منها. فمن يدري فقد تُساعده في الشفاء؟»

ساوَرَتهما الشكوك في البداية وتردَّدا كثيرًا فيما يفعلانه، ولكنهما أخيرًا ملَآ الجَرَّة بماء البحيرة، وأحكَما إغلاقها، وقاما بتقديمها إلى ملك الشمس في القلعة.

ولكن عندما قام ساحر البلاط الملكي بصبِّ الماء في قارورته، سمع لها صوتًا غريبًا وتبخَّرت في الحال. اكفهرَّ وجه الساحر على الفور.

وقال: «قارورتي السحرية لا تحتفظ إلا بمياه البحيرة السحرية. هذا الماء زائف. وهذان الرجلان مُحتالان!»

قال الملك في صوتٍ هادر: «كيف تتجرَّآن على خداع العائلة الملكية؟! ألقوا بهما في السجن!»

وسرعان ما انتشر خبر مصير هذَين الشابَّين في جميع أرجاء المملكة. وعلى الرغم من أن شقيقَي آمباتا قد ساءت صحَّتُهما كثيرًا في السجن، فإن آمباتا كان لديها أملٌ في خروجهما ما دام أنهما على الأقل ما زالا على قيد الحياة.

عندما توسَّلَت آمباتا لوالدَيها للسماح لها أيضًا بالذهاب للبحث عن البحيرة السحرية، قالا: «لن نُوافق على هذا أبدًا! لن يتبقَّى أحد من الأبناء في البيت إذا وافقنا على ذهابك.»

حاولت آمباتا إقناعَ والدَيها بضرورة ذهابها لكون ذلك الطريقة الوحيدة المتاحة لإخراج شقيقَيها من السجن. إضافة إلى ذلك فقد تدهورت صحة الأمير أكثرَ من ذي قبل حتى إنه دخل في غيبوبة. لقد أصبحَت حالته حرجة وميئوسًا منها.

وافق والداها أخيرًا على ذَهابها، وقاما بإعطائها كيسًا مليئًا بحبَّات الجوز والذرة المحمصة، وحيوان لاما صغيرًا تُؤنِس به وحدتها. تنهَّد الأبوان طويلًا وهما يُودِّعان أصغر أبنائهم.

في الليلة الأولى من رحلتها، حضنَت آمباتا بقوةٍ رفيقَ رحلتها اللاما الصغير، واستمتعَت بالدفء في حضنه. ولكن في الليلة الثانية لم تتمكَّن من النوم بسبب صيحة أحد الفهود. لم تكن تُريد أن تُعرِّض اللاما الصغير للخطر، ولذلك أشارت له على طريق العودة للبيت، وحثَّته على الذَّهاب والإسراع في ذلك. في تلك الليلة، صعدت آمباتا أعلى شجرةٍ لتُمضي ليلتها في أمانٍ بعيدًا عن الخطر.

وكان انحناء جذع الشجرة بالكاد يُوفر لها مكانًا مُريحًا للنوم، ولكن النوم هناك يُمكن أن يُقدِّم لها فوائدَ غير مُتوقَّعة. في صباح اليوم التالي، شاهدَت آمباتا بسعادةٍ بالغةٍ زوجَين جميلَين من الببغاوات القرمزية يُحلقان فوقها، وهما يُصدِران أصواتًا جميلة، ولاحظت البُقَع البيضاء على وجهَيهما والبُقعَ الزرقاء والصفراء على أجنحتهما. وبينما كانت تُراقب كل ذلك، كانت تتناول عددًا من حبات الذرة المحمصة والجوز، وعندما هبط الطائران على الغُصن القريب منها قدمَت لهما بعضًا مما تأكله.

اقترب الطائران من آمباتا وأخذا يتناولان ما قدَّمَته لهما، وقال أحدهما للآخَر: «كوا! كوا! ما الذي تفعله هذه الفتاة هنا في أعلى الأشجار؟ كوا!»

كان هذان الطائران الجذَّابان والحسَّاسان، اللذان يُعَدَّان أكثرَ ذكاءً مما يعتقد معظم الناس، يستمتعان بالحديث والتواصُل مع الآخرين. قصَّت عليهما آمباتا قصتها، وحكَت لهما عن مرض الأمير الغامض، ومحاولة شقيقَيها الفاشلة لإنقاذه، وعن عزمها العثور على البحيرة السحرية.

وقال أحد الببغاوَين: «لن تتمكَّني أبدًا من الوصول إلى هناك بمفردك! كوا!» وقام الطائران بهزِّ مِنقارَيهما وطارا إلى فرع الشجرة المقابلة.

وبعد عدة لحظاتٍ عاد أحدهما إلى آمباتا وقال لها: «لقد استمتعنا كثيرًا بما قدَّمْتِه لنا من طعامٍ طيبِ المذاق! ونحن نعرف كيف نُساعدك.»

وقام كلٌّ من الطائرين بفرك ظهر الآخَر كنوعٍ من الرقص. وبعد أن تساقط على إثر ذلك ثلاثُ ريشات، قاما بالتقاطها وطارا بها إلى حيث تُوجَد آمباتا.

وقال أحدُهما وهو يضع الريشات في حجر آمباتا: «تلك الريشات الثلاثُ لها قوة سحرية خارقة. أمسِكيهن بيدك مثل مِروحة، وسوف تأخُذك إلى حيثُ تريدين، كما ستَحميكِ من الخطر.»

أمسكَت آمباتا بسرعةٍ بالريشات الثلاث وبسطَتْهن في كفِّها، بعد أن عقَدَتهنَّ على شكل مِروحة بشريطٍ من الصوف أخذَته من شعرها. وقالت للزوجَين: «لن أستطيع أن أشكركما بما فيه الكفاية مهما فعلتُ.» ووضعت المروحة أمامها وقالت: «من فضلِك، هلَّا أخذتِني إلى البحيرة السحرية التي في أقصى الأرض؟»

ارتفعت آمباتا مباشرةً فوق الأشجار كما لو كانت هي نفسها ريشةً. وطارت، وهي تُمسك المروحة وتشعر بتوتُّرٍ شديد على ارتفاعاتٍ كبيرة وبسرعة البرق نحو الجبال، ورأت من الأعلى قِمم جبال الإنديز المُغطَّاة بالثلوج، وهي أطول سلسلة جبال في العالَم. وأخيرًا أخذ ارتفاعها يقلُّ شيئًا فشيئًا بالقُرب من قمة آخِرِ جبل في السلسلة الطويلة إلى أن لامسَت قدَماها الأرضَ بسلام. وهناك وجدت مياه البحيرة السحرية تتلألأ أمام ناظِرَيها. في الواقع، كانت مياه البحيرة تتلألأ؛ حيث كانت السماء تُلامسها وتَصدُر عنها أصواتٌ مثل خرير الماء في الجداول. أدركت آمباتا على الفور بأنها قد وصلت بالفعل إلى أقصى الأرض. وقامت بوضع المروحة على رباط خصرِها المَجْدول بإحكام.

وفجأةً خرجَت من الغابة أفعى جرسيةٌ ضخمة، كانت أكبرَ من حجم آمباتا بعدة مرات. كانت تهزُّ الجزء الهزَّاز في ذيلها بقوةٍ وتُحرك لسانها الأحمر الطويل بسرعةٍ كبيرة، ثم أخذت تتحرَّك نحو آمباتا بسرعةٍ كما لو أنها تطير. شعرت آمباتا بخوفٍ شديد، وسارعت على الفور بتناول المروحة من خصرها وفتحِها أمام وجهها على جَناح السرعة، وأغلقت بعدَها عينَيها، وهي تُدرك تمامًا أنه إذا لم تُنقذها المروحة الآن فهي هالكةٌ لا محالة. وفجأة سمعت صوت ارتطامٍ كبير، فأبعدَت المروحة قليلًا عن وجهها لتتبيَّن حقيقة ما حدث، فوجدت لدهشتها الشديدة الأفعى الكبيرة مُلقاةً على الأرض وقد كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة، والجزء الهزَّاز الذي يُوجَد في مؤخرة ذيلها يتحرَّك في ضعفٍ يمنةً ويسرة.

ولم يَمضِ وقتٌ قصير على ذلك، حتى فاجأها من الخلف عقربٌ كبير أحمرُ اللون وقد أخذ يُحرِّك مِخلبَيه الأمامِيَّين الحادَّين نحوَها. وعَدا باتجاهها بسرعةٍ كبيرة على أرجله العديدة، حتى إنها بالكاد استطاعت أن تفتح المروحة. وحالَما تمكَّنَت من القيام بذلك، اختفت عن مسامعها أصواتُ عَدوِه السريع على الأرض نحوها. وانقلب العقرب على ظهره

كما لو أنه كان مُستغرقًا في النوم، وأخذت أرجلُه العديدة تتخبط بسرعة في الهواء قبل أن تتوقف نهائيًّا عن الحركة.

توجَّهت آمباتا نحو شاطئ البحيرة السحرية بعد أن قامت بالالتفاف بحذرٍ حول الأفعى والعقرب. وفجأةً سمعت من ورائها صوتَ همهمةٍ خفيفة. وعندما التفتَت، وجدَت ما يُشبه غيمةً سوداء منخفضة. وسرعان ما أصبحَت الهمهمة عاليةً والغيمةُ أكبر وأكثرَ سوادًا. وأدركَت في رعبٍ شديد أنَّ جيشًا من النمل المُتوحِّش على وشك أن يُحيط بها. لذا، قامت بسرعةٍ شديدة بفتح المروحة أمام وجهها وهي غيرُ متأكدة ممَّا إذا كانت ريشاتُ المروحة سوف تحميها هذه المرة من هذا العدد الهائل من النمل الذي يُهاجمها من عدة اتجاهاتٍ مختلفة. ومع ذلك في الثواني القليلة التالية لم يتمكن أيٌّ من النمل من وَخْز قدمَيها أو تسلُّق رجلَيها. وعندما قامت، وهي ترتعد من الخوف، بالنظر عبر المروحة، رأَت سِرب النمل المتوحش مُستلقيًا حولها صريعًا في صمت.

تركَت آمباتا المروحة أمامها وهي تُسرع الخُطى نحو طرف البحيرة السحرية، وقامت باليد الأخرى بغمْر الجرَّة في داخل المياه السحرية. وعندما امتلأت الجرَّة وأحكمت آمباتا إغلاقها، قالت للمروحة: «من فضلِك، خُذيني على جَناح السرعة إلى قلعة ملك الشمس.»

وما هي إلا لحظات حتى وجدَت نفسها أمام قلعة ملك الشمس بجدرانها الصخرية العالية والمُتشابكة.

وعندما أعلنت بأنها قد أحضرت الماء من البحيرة السحرية، قام الحرَّاس على الفور بمرافقتها إلى الطابق العلوي في القلعة حيث يرقد الأمير المريض في غرفته. وقامت آمباتا بإعطاء جَرَّة الماء إلى ساحر القلعة الذي أخذ ينظر إليها من بعيدٍ في شكٍّ شديد. ولكنه عندما صبَّ الماء من الجَرَّة في القارورة السحرية ولم يتبخَّر أو تصدُر عنه أيُّ أصوات، ارتسمت على مُحيَّاه ابتسامة، ورمق آمباتا بنظرةٍ مليئة بالإعجاب. وقام بوضْع إصبَعِه في داخل القارورة، وجعل بضع قطراتٍ من الماء الموجود بها تتساقط على شفتَي الأمير الشاب ذي الوجه الشاحب. بدأت شفتا الرجل المريض تنفتِحان وأخذ لسانه يتحرك خارجَ فمه للحظةٍ ليتذوق طعم الماء، وسرعان ما فتح عينَيه. هلَّل كلُّ مَن كان في غرفة الأمير، وابتسم هو في سرور.

وقال ساحر البلاط وهو يُقدِّم للأمير القارورة المملوءة بمياه البحيرة السحرية التي جلبَتها آمباتا: «اشرب هذا يا سموَّ الأمير.» وقام الأمير بأَخْذِ شربة ماءٍ طويلة، ونهض بعدها جالسًا. وقال: «أشعر الآن بتحسُّن كبير.» وعادت إلى وجنتَيه نضرة الحياة.

غمر سرورٌ كبير قلب ملك الشمس، وقال مُتعجبًا لآمباتا: «هل أنتِ التي فعلتِ ذلك، وأحضرتِ الماء من البحيرة السحرية؟» قامت هي برواية ما حدث معها للملك مما أثار إعجابه. وقال لها: «يُمكنكِ أن تعيشي من الآن هنا وتنضمِّي إلى العائلة الملكية.»

قالت آمباتا: «جلالة الملك، هل لي أن أتقدَّم لجلالتكم بثلاثة مطالب عوضًا عن ذلك؟»

«بكل تأكيد. اطلُبي ما شئتِ.»

«الطلب الأول هو أن تسمحوا بإطلاق سراح شقيقَيَّ من السجن. إنني متأكدة من أنهما يشعران بالأسف الشديد على الخطأ الذي بدَر منهما، ولا يرغبان بأكثرَ من منحِهما فرصةً أخرى لخدمة جلالتكم.»

قال الملك: «لكِ ما تُريدين. وماذا بعد؟»

«أرغب في إعادة هذه الريشات الثلاث السحرية إلى صديقَيَّ الببغاوَين.» وفي أقلَّ من لمح البصر، انطلقت المروحة من عِقالها في وسط خصر آمباتا، وارتفعت في الهواء إلى الأعلى وأخذت تدور بسرعةٍ كبيرة لتنطلق بعدها وتطير خارج نافذةٍ مفتوحة في قاعة الملك.

ابتسم ملك الشمس وقال: «يبدو وكأنه قد تمَّ تنفيذ ذلك أيضًا. ما أُمنيتك الثالثة؟»

«هل لكم أن تمنحوا والدَيَّ قطعانًا كبيرة من حيوانات اللاما والألبكة والفكونة، وما يكفي من الأراضي لرعايتها؛ حتى تُوفِّر لهما حياةً كريمة في مرحلة الشيخوخة، وبذلك يُمكن لي ولشقيقَيَّ الاعتناء بهما ورعايتهما كما يجب؟»

«يُسعدني يا عزيزتي أن أُحقِّق لك هذه الأمنية بشرطٍ واحد، وهو أن تَعِدي بزيارتنا دائمًا في القلعة كصديقةٍ عزيزة؛ ما دُمتِ قد اخترتِ عدمَ الانضمام إلى العائلة الملكية الإنكية في الوقت الراهن.»

ولكن كما تبيَّن بعد ذلك بسنوات، انضمَّت آمباتا إلى العائلة المالكة في نهاية المطاف؛ فبعد القيام بزياراتٍ عديدة إلى الأمير، تعمَّقَت الصداقة الحميمية بينهما، حتى وصلَت إلى مرحلة الحُب المُتبادَل. وكان والدا آمباتا وشقيقاها الأكبر سنًّا منها أكثرَ الناس شعورًا بالفخر والسعادة خلال زفافهما الملكي.

القط البارع

شارل بيرو

كان يا ما كان في قديم الزمان؛ طحَّان عنده ثلاثة أبناء.

عندما مات الطحَّان، ورث الابن الأكبرُ مطحنة أبيه، وورث الابن الثاني حِماره، وورث الابنُ الأصغر الشابُّ ما تبقى من مُمتلكات الأب؛ والذي كان مُجرَّدَ قِط.

شعَر الابنُ الأصغر بالحزن الشديد بسبب نصيبه من إرث أبيه. وعندما رآه القطُّ حزينًا، اقتربَ منه وأخذ يمسح رأسه برفقٍ بطرف رجله وهو يتحدَّث إليه.

شعر الشاب بالدهشة. وقال له القط: «نعم. أستطيع أن أتكلم، وإذا استطعتَ أن تشتريَ لي حذاءً جيدًا وحقيبةً جلدية كبيرة، فسأتكفَّل بأن أجعلَك إنسانًا غنيًّا وسعيدًا.»

على الرغم من أن الشابَّ كان فقيرًا، وأن حفنة العملات المعدنية التي في جيبه كانت هي كل ما يملكه، فقد كان مندهشًا للغاية من قُدرة القط على التكلُّم، فذهب واشترى للقط الحذاء والحقيبة اللذَين يُريدهما.

ارتدى القط حذاءه الجديد وقام بوضع طُعْمٍ في أسفل حقيبته الجلدية وألقاها على كتفه، وانطلق يسير في الحقول.

تمكن القط باستخدام ذكائه وسَعة حيلته من اصطياد أرنبٍ سمين. ربما اعتقدتم أعزائي الأطفال أن القط كان سيعود إلى سيده الشاب ليُقدم له الأرنب ليأكُله لكونه جائعًا؛ ولكن لا؛ كان لدى القط خططٌ أكبر من ذلك.

قام هذا القط البارع، بجُرأة أسد، بأخذ الأرنب السمين مباشرة إلى الملك وقدَّمه كهديةٍ من قبل سيده، ماركيز كاراباس.

وبينما كان يقوم بالانحناء أمام الملك، لاحظ وجود بنت الملك الشابة تجلس إلى جانبه على العرش.

كانت الأميرة جميلة، وعندما ابتسمت، أضاءت القاعة بأكملها.

انحنى القطُّ أمام الأميرة الشابة التي ردَّت التحية بابتسامة رقيقة.

وأخذ القطُّ يذهب كل يومٍ إلى قصر الملك لتقديم الهدايا من سيده ماركيز كاراباس.

وكان ينحني كلَّ يومٍ أمام الأميرة الشابة التي ترُدُّ التحية بابتسامةٍ رقيقة.

وسرعان ما غدا القطُّ من الزوار المُفضَّلين في قصر الملك.

سمع القط في أحد الأيام بأن الملك يعتزم القيام برحلةٍ برِّية بالعربة الملكية على طول ضفَّةِ النهر بصُحبة ابنته الشابة.

قام القط على جناح السرعة بالعودة إلى بيت سيده وقال له: «افعل ما سأقول لك وسوف يبتسم لنا الحظ بشدة. الفرصة تدقُّ بابنا.»

أخذ القط سيده الشاب إلى ضفة النهر، وقال له: «اخلع ثيابك واقفز في النهر.»

وما إن أصبح الشابُّ في النهر، قام القط على الفور بحمل ثيابه المُمزَّقة والبالية وأخفاها تحت صخرةٍ كبيرة.

وجلس ينتظر مرور عربة الملك. وما إن اقتربت عربة الملك حتى قام القط بالتلويح بيدَيه في الهواء وبمُناداة سائق العربة، قائلًا: «النجدة! النجدة! سيدي الماركيز كاراباس يغرق في النهر.»

عندما سمع الملك الاسم؛ الماركيز كاراباس، أمر سائق العربة بالتوقُّف، وبالإسراع لإنقاذ الأمير الشاب من الغرق في النهر.

قام سائق العربة بانتشال الشابِّ المندهش إلى خارج النهر.

حاول الشاب أن يُغطي نفسه، وسأل الملك: «أين ملابس الماركيز؟» أجاب القط: «سيدي الملك، لقد هاجمه رجال أشرار وسلَبوا منه كل ما يملك.»

قال الملك: «إذن يتعيَّن علينا في هذه الحالة أن نُحضِر له ملابسَ مناسِبة من القصر.»

وبعد فترة قصيرة، جرى تقديم الشاب، بعد أن ارتدى أفخر الملابس التي خاطها له خياط الملك الخاص، إلى الملك وإلى ابنته الأميرة الشابة في قاعة القصر.

أُخِذ الشاب بجمال ابنة الملك الشابة. وهي وقعت أيضًا في غرامه على الفور، بعد أن لاحظَت ثيابه الفاخرة ومنظره الوسيم.

ووُجِّهَت الدعوة إلى الشاب لمشاركة الملك وابنته في رحلةٍ بالعربة الملَكية.

وبينما كانت العربة الملكية تُواصل طريقها، جرى القط البارع بسرعةٍ وسبَقها. وقابل مجموعةً من الفلاحين الذين يعملون بجِدٍّ ونشاط في أحد الحقول.

أشهر القطُّ البارع سيفه وخاطب الجميع قائلًا: «عندما يسأل الملك لمن هذه الحقول، قولوا إنها للماركيز كاراباس. وإلا فسوف يحلُّ بكم سوءٌ عظيم.» وافق الفلاحون على الفور بعد أن تملَّكَهم رُعب شديد.

ثم أتى القط على إحدى القرى، وقال للفلاحين: «عندما يسأل الملك لمن هذه الأراضي، قولوا إنها للماركيز كاراباس. وإلا فسوف يحلُّ بكم سوء عظيم.»

وعندما توقَّفت عربة الملك، وسأل الفلاحين عن صاحب هذه الحقول، قالوا: «هذه الحقول يا سيدي وكل الأراضي المُحيطة بها يملكها الماركيز كاراباس.» حينها قال الملك: «يا إلهي! ما أروعَ هذا!»

وابتسمت ابنة الملك، ولمست برفقٍ يدَ الشابِّ في إعجاب.

وأصبح الشابُّ مُندهشًا أكثر فأكثر من ذكاء قِطِّه وجُرأتِه.

وجاء القط البارع أخيرًا إلى قلعةٍ وطرَقَ بقوة على الباب. سمع القط صريرَ فتح الباب الخشبي الكبير، وخرج منه غول ضخم ليسأله: «ماذا تريد؟» انحنى القط أمام الغول مُحييًا، وقال: «لقد سمعتُ بأنك شرس وقاسٍ، وبأن الناس تخاف منك.» قال الغول ناخرًا: «وماذا يعني هذا؟! قل ماذا تريد.» قال القط: «كما سمعتُ أيضًا بأنك تمتلك القدرة على تغيير نفسك إلى أشكال أخرى ...»

وفجأةً ظهر أسدٌ غضنفر حيث كان يجلس الغول. وقام القط على عجَل بالجري والاختباء في أعلى ستارةٍ قريبة، بعيدًا بما يكفي عن أنياب الأسد الحادة.

عادت ثقة القط بنفسه إلى ما كانت عليه بعد أن شعر بالأمان في أعلى الستارة، وقال له مُؤنبًا: «من السهل عليك أن تُحوِّل نفسك إلى شيءٍ كبير بهذا الحجم. ولكنك لا تستطيع أن تُحول نفسك إلى ... إلى ... دعنا نقول مثلًا، إلى شيءٍ صغير مثل الفأر، أليس كذلك؟»

قام الغول بابتسامةٍ ساخرة بتحويل نفسه إلى فأر.

قفز القط البارع بلمْحِ البصر من أعلى الستارة وانقضَّ بمخالبه الحادة على الفأر. وشكَّل الغولُ وجبة عشاءٍ جيدة للقط.

وفي هذه الأثناء سمع القطُّ صوت عربة الملك وهي تدخل ساحة القلعة.

هُرِع إلى الخارج ليُرحِّب بالملك وبابنته الشابة، وقال مُرحِّبًا: «أهلًا بكم أصحاب السيادة في قلعة سيدي، الماركيز كاراباس.»

قال الملك للشاب: «هذا إذن قصركم.»

توقف الشاب عن الاندهاش من أي شيءٍ يقوم به قطُّه الذكي.

وأصبح الشاب مشغولًا طيلة الوقت بصحبة الأميرة الجميلة.

سعِدَ خدَم الغول بسيدهم الجديد، وقاموا بإعداد حفلةٍ فاخرة للغاية.

وبعد انتهاء الحفلة جرَت خِطبة الشابِّ وزواجه من الأميرة في وقتٍ واحد بعد ظهر ذلك اليوم.

وهكذا أقام الشابُّ الماركيز كاراباس منذ ذلك الوقت، وزوجته الأميرة الشابة، والقط البارع في قلعة الغول في سعادةٍ بالغة ودائمة.

الجنِّيان الصغيران والإسكافي

كان يا ما كان؛ إسكافي فقير يعيش مع زوجته، ويصنع أحذيةً ممتازة. وعلى الرغم من أنه كان يعمل طوال الوقت بجِدٍّ ونشاط، فلم يكن يكسب ما يكفي لإعالة نفسِه وأسرته. ومع مرور الأيام اشتدَّ فقره كثيرًا لدرجة أنه لم يعُد قادرًا حتى على شراء الجلد الذي يحتاجه لصُنع الأحذية، وبقي عنده في النهاية منه ما يكفي لصناعة حذاءٍ واحد فقط. فقام بقصِّ الجلد إلى قِطَعٍ مناسبة بحرصٍ كبير وبوضعها على طاولة العمل حتى يتمكَّن من خياطتها في صباح اليوم التالي. وسألَتْه زوجته: «ماذا سيحدث لنا؟ الخزائن فارغة، وليس لدينا حطَب. حتى شمعتنا الأخيرة قد احترقت تقريبًا.» كانت الزوجة تشعر بقلقٍ شديد بسبب الظروف الصعبة التي تمرُّ بها هي وزوجها. وأجابها الإسكافي: «لا تقلقي. سنتدبَّر الأمر وتتحسَّن الأحوال إلى الأفضل. وسترين عندما أنتهي من صُنع هذا الحذاء في يوم الغد مَن سيأتي ويشتريه.» قام الإسكافي بقصِّ الجلد ثم ذهب إلى الفِراش على أن ينتهيَ من خياطة الحذاء كأول شيء يفعله في الصباح.

وفي صباح اليوم التالي، استيقظ مُبكرًا وذهب إلى مَتجره الصغير. ووجد على طاولة العمل حذاءً رائعًا مُتقَن الصنع بغُرَزٍ صغيرة ومنتظمة مُنتَجة بشكل بالغ الدقة، لدرجة أنه كان يعرف في قرارة نفسه أنه لا يمكنه أن يصنع أفضلَ منه. وبعد الفحص الدقيق، ثبت له أن الحذاء مصنوع من نفس قِطَع الجلد التي كان قد قصها في الليلة الماضية. نادى الإسكافي على زوجته لتأتي وترى بنفسها الحذاء الرائع. وكانت دهشتُها لا تقلُّ عن دهشته. وسألته: «مَن يُمكن أن يكون قد صنع هذا الحذاء؟»

قاما على الفور بعرض الحذاء الرائع في نافذة المتجر ثم إسدال الستارة.

سأل الإسكافي نفسه: «مَن في هذا العالَم يُمكن أن يُقدِّم لي مثل هذه الخدمة العظيمة؟» وحتى قبل أن يحاول الإجابة، دخل رجل غني إلى المتجر واشترى الحذاء بسعرٍ خيالي.

طار الإسكافي من الفرح؛ وخرج على الفور واشترى الكثير من الطعام لأسرته، والكثير من الجلد أيضًا. وقام بعد ظهر ذلك اليوم بقصِّ الجلد لخياطة حذاءَين اثنَين وبوضع جميع القِطع على طاولة العمل، كما فعل من قبل، بحيث يُمكنه خياطتُها في اليوم التالي. ثم ذهب إلى الطابق العلوي للاستمتاع بعشاءٍ جيد مع عائلته.

وفي صباح اليوم التالي، هتف الإسكافيُّ في فرحٍ غامر عندما عثر على حذاءَين جميلَين جاهزين على طاولة العمل في متجره: «يا إلهي! من يستطيع أن يصنع مثل هذه الأحذية الجميلة؛ وبهذه السرعة؟» وقام بوضعهما في نافذة المتجر، ولم يمضِ وقتٌ طويل حتى جاء اثنان من الأثرياء إلى المتجر واشترَياهما بمبلغٍ كبير من المال. ذهب الإسكافي السعيد على الفور إلى السوق واشترى المزيد من الجلد.

واستمرَّ هذا لعدة ليالٍ، حتى امتلأت نافذة ورفوف المتجر بأحذيةٍ جميلة لم يرَ أحد مثلها من قبل أبدًا.

وسرعان ما أصبح متجره الصغير مزدحمًا بالزبائن. وبدأ يقوم بصناعة أنواع عديدة من الأحذية: أحذية خشنة مُبطَّنة بالفِراء، وأحذية خفيفة للراقصات، وأحذية مناسبة للمشي للسيدات، وأحذية صغيرة للأطفال. كما بدأ يُزينها بالأربطة والإبزيمات والحليات الفِضية الجميلة. وازدهر المتجر الصغير كما لم يحدُث من قبل، وأصبح صاحبه بعد فترةٍ قصيرة رجلًا غنيًّا. ولم تعُد أُسرته في حاجةٍ إلى أي شيء.

وبينما كان الإسكافي وزوجته يجلسان بالقُرب من المدفأة في إحدى الليالي، قال لها: «لا بدَّ أن أعرف في يومٍ من الأيام مَن الذين يُساعدوننا.»

قالت زوجته: «نستطيع أن نختبئ خلف الخِزانة في غرفة العمل خاصتك. وبهذه الطريقة، يُمكننا أن نعرف من هم هؤلاء.»

وكان هذا ما فعلوه بالضبط. وفي مساء ذلك اليوم، عندما دقَّت الساعة مُعلنة منتصف الليل، سمع الإسكافي وزوجته ضجيجًا. كان هناك رجلان صغيران يحمل كلٌّ منهما حقيبةً مليئة بالأدوات، ويحشران نفسَيهما في فجوةٍ صغيرة تحت الباب مُحاوِلَين الدخول. كانت ملابسهما قديمةً وبالية، مما جعل الإسكافي وزوجته يشعران بالحزن. كان الجنِّيَّان الصغيران يرتديان سروالَين رقيقَين ومُمزَّقين ومليئَين بالرُّقَع. كما كانا حافيَي القدَمَين أيضًا على الرغم من أنهما كانا يصنعان الأحذية.

وفي اليوم التالي، قالت زوجة الإسكافي: «لقد قدم لنا هذان الجنيَّان الصغيران معروفًا كبيرًا. وينبغي لنا أن نُقدم لهما بعض الهدايا.»

ردَّ الإسكافي قائلًا: «نعم. سأصنع لهما حذاءَين يُناسبانِهما، وتقومين أنتِ بصنع بعض الملابس لهما.» وهكذا استمرَّا يعملان حتى الفجر. وقاما بوضع الهدايا على طاولة العمل: سُترتَين صغيرتَين، وسروالَين، وحذاءَين. كما وضعا لهما بعض الصحون المليئة بأنواع جيدة من الطعام والشراب. ثم أسرعا في الاختباء مرةً أخرى وراء الخزانة وانتظرا رؤية ما سيحدث.

مثل المرة الماضية، ظهر الجنيَّان الصغيران عندما دقت الساعة مُعلنة منتصف الليل. وسرعان ما قفزا إلى الطاولة ليبدآ بالعمل، ولكن عندما شاهدا كل هذه الهدايا بدآ يضحكان ويهتفان من الفرح، وقاما بارتداء الملابس، وبتناوُل الطعام والشراب. ثم قفزا وبدَآ يرقصان بفرحٍ غامر حول الغرفة قبل أن يختفيا من تحت الباب.

وبعد ذلك، قام الإسكافي بقصِّ الجلد كما كان يفعل دائمًا، ولكن الجنيَّين الصغيرين لم يعودا مرةً ثانية. قالت زوجته: «أعتقد أنهما قد سمعانا ونحن نهمس وراء الخزانة. والجن، كما تعلم، يتَّصِفون بالخجل الشديد عندما يتعلق الأمر بالبشر.»

وقال الإسكافي: «أعلم أنني سوف أفتقد مساعدتهما، ولكننا سنتدبَّر الأمر في النهاية. لقد أصبح المتجر الآن مزدحمًا بالزبائن بشكلٍ دائم، ولكن خياطتي للأحذية لن تكون قويةً وناعمة مثل خياطتهما.»

استمرَّ عمل الإسكافي في الازدهار، وبقي هو وزوجته يتذكران دائمًا الجنيَّين الصغيرَين الطيبَين اللذَين قدَّما يد المساعدة لهما خلال الأوقات الصعبة.

شبكة الويب الدولية

روبا باي

هل سمعتَ من قبل عن شبكة الويب الدولية؟ لا؟ حسنًا، لا عليك.

والآن، هل سمعت من قبل بالإنترنت؟ نعم؟ عظيم!

ولكن ما هي الإنترنت؟ هل قلت: «لستُ متأكدًا تمامًا، ولكن ما أعرفه هو أن لها علاقةً بأجهزة الكمبيوتر»؟ هذا صحيح؛ الإنترنت بالفعل هكذا. ولكن هذا لا يُشكِّل الجواب الكامل عن السؤال.

ما الجواب الكامل إذن؟ حسنًا، نحتاج إلى مُختص للإجابة عن هذا السؤال. بالمناسبة، أنا أعرف تمامًا مثل هذا الشخص! إنه عادة ما يكون موجودًا بالقُرب من جهاز كمبيوتر، ولذلك دعونا الآن نذهب مباشرة إلى الكمبيوتر.

مرحبًا يا نيتيكوتي! معي مجموعة من الأطفال يرغبون في لقائك! اخرجي إلينا، اخرجي إلينا، أين أنتِ؟

ها هي! هيا يا أطفال تقدَّموا وحيُّوها معي! ولا يغُرَّنَّكم لطفُها وحجمها؛ فهي تحتفظ بالكثير من المعلومات في رأسها الصغير!

«حسنًا، يا نيتيكوتي، هذا ما يريد الجميع هنا أن يعرفوه؛ ما هي الإنترنت؟»

أوه، هذا سؤال كبير. دعوني أرَ كيف يُمكنني تبسيط الإجابة عنه.

الإنترنت عبارة عن مجموعة كبيرة جدًّا جدًّا من أجهزة الكمبيوتر من مختلِف أنحاء العالَم مُرتبطة فيما بينها. وكلمة Internet هي اختصار لـ INTERconnected NETworks.

ويُمكن لهذه الأجهزة أن تكون أجهزةَ كمبيوتر ضخمةً (كتلك التي تستخدمها مراكز الأبحاث أو حكومات الدول)، أو أجهزة كمبيوتر مكتبية (كتلك الموجودة في البنوك ومراكز الكمبيوتر)، أو أجهزة كمبيوتر محمولة (كتلك التي يحملها الناس في حقائبَ على أكتافهم أينما ذهبوا)، أو هواتف محمولة (كتلك التي تطنُّ بصوتٍ عالٍ ومُزعج في قاعات السينما)، أو حتى مُشغلات الموسيقى الصغيرة ذات السماعات الصغيرة التي تُثبَّت في الآذان، وتبدو وكأنها نبتت من الداخل.

وترتبط جميع هذه الأجهزة بعضها ببعض إما عبر كابلاتٍ وأسلاك ظاهرة تمتدُّ فوق الأرض أو تحتها، أو حتى في أعماق البحار (وذلك في حالة أجهزة الكمبيوتر الكبيرة)؛ وإما عبر إشاراتٍ لاسلكية (وذلك في حالة أجهزة الكمبيوتر المحمولة، والهواتف المحمولة، ومُشغلات الموسيقى).

وهكذا كما ترون لا حاجة لأن تجلسوا في مكانٍ ما وتوصلوا جهاز الكمبيوتر خاصتكم بمأخذٍ كهربائي لكي تدخلوا على الإنترنت؛ فبإمكانكم الاتصالُ بالعالَم عبر الإنترنت حتى وأنتم تتنقَّلون من مكانٍ إلى آخر.

«إذن هذه هي الإنترنت. لقد اعتقدنا أن الإنترنت هي للحديث مع الأصدقاء، وتنزيل أغاني الأفلام، وحجز بطاقات السينما، والبحث عن معلوماتٍ للمشاريع الدراسية، ومعرفة رقم هاتف مُستشفًى ما!»

الإنترنت في الحقيقة ليست هذه الأشياء. إنَّ كل هذا يُشكل جزءًا من شيء سحري بالفعل؛ شيء يُدعى شبكة الويب الدولية World Wide Web؛ دعونا نُسمِّها بشكلٍ مُختصر W3. وهي عبارة عن مجموعةٍ كبيرة جدًّا جدًّا مما يُطلَق عليه «الصفحات» (إذ يُوجَد اليوم حوالي ٤٠ مليار صفحة عامة على شبكة الويب)!

يُمكن للصفحة الواحدة أن تحتويَ على معلوماتٍ في شكل كلمات، وأرقام، وصور فوتوغرافية، وأغانٍ، ومقاطع فيديو، وغير ذلك. ومجموعة الصفحات هذه موضوعة على الإنترنت، في ملايين أجهزة الكمبيوتر والهواتف المحمولة ومشغلات الموسيقى هذه. إذن الإنترنت هي شبكة تضمُّ شبكاتٍ عديدةً مؤلَّفة من أجهزة كمبيوتر، سواءٌ أكانت عاديةً أم محمولة أم لَوحية، وهواتف محمولة. أما شبكة الويب الدولية، فعبارة عن مجموعة من الصفحات المرتبطة مع بعضها البعض والموضوعة على الإنترنت.

وهكذا يُمكن القولُ إن شبكةَ الويب الدوليةَ ليست هي الإنترنت، ولكنها تُشكِّل جزءًا منها؛ لكنه الجزء الأكثر إثارة. وإذا ما قُمنا بتصوُّر الإنترنت كمطعم، فتكون عندئذٍ شبكة

الويب الدولية هي الطبقَ الأشهر في قائمة الطعام. وتُسمَّى الملعقة التي تُساعدكم في الحصول على الطعام الموجود بهذا الطبق، وتناوُلِ الأجزاء التي ترغبونها منه بـ «متصفح الويب».

«أوه! لقد جعَلتِنا يا نيتيكوتي نشعر بالجوع الآن! ولكن من فضلك أخبرينا بالمزيد حول ما يجعل شبكة الويب شهيرةً إلى هذه الدرجة الكبيرة.»

سأفعل ذلك بكل تأكيد! تُعتبر شبكة الويب في الحقيقة مصدرًا كبيرًا للإثارة؛ لكونها تتضمن التالي:

البريد الإلكتروني: يُمكن للمُستخدِم إرسالُ رسالةٍ إلى أي شخصٍ في أي مكان في العالَم، وسيستلمها المُرسَل إليه في أقلَّ من دقيقة! إن إرسال نفس هذه الرسالة في البريد العادي إلى شخصٍ ما في أمريكا، على سبيل المثال، يستغرق ١٥ يومًا على الأقل. ويُكلف أيضًا الكثير من المال في الوقت نفسِه، في حين أن استخدام البريد الإلكتروني مجَّاني بالكامل!

البحث: تُمكِّن هذه الميزةُ المُستخدِمَ من إيجاد معلومات مفيدة — أو غير ذلك — حول ملايين المواضيع المختلفة.

قد تُريدون على سبيل المثال أن تعرفوا الدول التي يمرُّ بها نهر الجانج، أو ترون كيف يبدو شكل تمثال الحرية. أو ربما تريدون أن تسمعوا إحدى الأغنيات السينمائية لمُطربك المفضَّل، أو تُشاهدوا حلقة فاتتكم مُشاهدتُها من مسلسلٍ ما. وقد ترغبون في أن تعرفوا نتائجَ بطولة العالم للكريكيت للرجال، أو ما إذا كانت لا تزال هناك تذاكرُ سفر متوفرة لرحلة القطار من مومباي إلى بونه ليوم الغد.

وإذا أراد شخصٌ ما في أي مكانٍ في العالم، مُتصل جهاز الكمبيوتر الخاص به بشبكة الإنترنت، أن يُشارك مع العالم هذه المعلومات ويقومَ بوضعها على شبكة الويب، فسيكون في مقدوركم أن تجدوها؛ على الفور! وبشكلٍ مجاني!

«ولكن، يا نيتيكوتي، كيف يُمكنك العثور على الصفحة التي تُريدينها من بين مليارات الصفحات الموجودة على الويب؟»

هذا سهل جدًّا! لكل صفحةٍ من الصفحات الموجودة على الويب «عنوان» فريد يُساعد متصفح الويب الخاص بي في العثور عليها تمامًا مثلما يساعد عنوانُ المنزل ساعيَ البريد على العثور على المنزل المطلوب لإيصال البريد. وهكذا إذا كنتُ أعرف عنوان الصفحة فيُمكنني العثور عليها على الفور وبمنتهى السهولة.

لكن ماذا في حال عدم معرفة عنوان الصفحة؟ لا يُوجَد مشكلة! يُمكنني استخدام خدمةٍ مدهشة تُسمَّى «مُحرك البحث» الموجود على الويب أيضًا لمساعدتي في ذلك.

المشاركة: تُساعد هذه الميزةُ المُستخدِمَ على مشاركة ما يريد مع الآخرين في العالَم؛ على سبيل المثال، أغنية يُحبها، أو صورة كلبه، أو طريقة مبتكرة لحل مسألة رياضيات عويصة، أو أفكاره الخاصة للمحافظة على نظافة الشوارع. لا أحد يملك الإنترنت أو الويب، كما أنه لا تملك الحكوماتُ أي سُلطة عليه، وهكذا لا يحتاج المُستخدِم إلى أي إذنٍ أو موافقة قبل أن يقوم بتبادل المعلومات مع الآخرين.

فكِّروا كم سيكون هذا مَدْعاةً للراحة والسرور! لديكم حتى الآن كتبٌ وأفلام وتلفزيون وصحف تُعطيكم معلوماتٍ عديدة، و«تتحدث» إليكم، ولكنكم لا تستطيعون أن تردُّوا وتتحدَّثوا إليها. الآن تغيَّر كل هذا مع الويب؛ فتستطيعون الآن أن تستمعوا وأن تُبدوا رأيكم أيضًا. وليس من المهم هنا أن يكون المستخدِم شخصًا هامًّا أو بالغًا للقيام بذلك. هذا هو بالضبط ما يجعل شبكة الويب رائعةً حقًّا؛ إنه حقًّا نظام مجاني ومفتوح وديموقراطي؛ فهو يمنح الفرصة لجميع المُتصلين بالإنترنت لقول ما يريدون.

«هذا عظيم ورائع حقًّا! والآن، يا نيتيكوتي، لدينا سؤال مختلف كليًّا؛ لقد عرَفْنا أن W3 يعني شبكة الويب الدولية، ولكن لماذا توصف بالشبكة؟ أليست الإنترنت هي بالفعل شبكة؟»

هذا سؤال جيد! أنت مُحقٌّ في قولك إن الإنترنت هي شبكة (لأن جميع أجهزة الكمبيوتر هذه مرتبطة بعضها ببعض)، ولكن هذا ينطبق على الويب أيضًا. دعني أوضح المسألة أكثر.

هل تذكرون مليارات الصفحات التي تتكوَّن منها الويب؟ إن هذه الصفحات كلَّها تكون مُرتبطة بشكلٍ «تشعُّبي» بعضها ببعضٍ أيضًا!! وهذا يعني أنك تستطيع الانتقال من صفحةٍ إلى أخرى بلا نهاية! هل فهمتم الآن كيف أن الويب هي شبكة أيضًا؛ مصدر كبير جدًّا جدًّا في متناول جميع سكان العالم للاستمتاع والحصول على مختلِف أنواع المعرفة والترفيه والمعلومات؟

«نعم، لقد فهمنا ذلك حقًّا! الآن يتعين علينا أن نعرف من هو صاحب هذا العقل الخارق الذي جاء بمثل هذه الفكرة الرائعة؟»

اعتقدتُ أنكم لن تسألوا أبدًا مثل هذا السؤال! لأن الإجابة عليه تتطلب العودة إلى الوراء لفترة ٢٠ سنة، إلى مركز أبحاث نووي في سويسرا يُسمَّى اختصارًا سيرن. كان العديد من العلماء هناك، وعبر مراكز أبحاث أخرى في أوروبا، يعملون على مشاريع مشتركة، ولم يكن هناك طريقةٌ سريعة وسهلة في ذلك الوقت لكي يَطَّلعوا على نتائج أعمالهم البحثية المشتركة. وكان عليهم في الواقع أن يذهبوا بأنفسِهم إلى مراكز الأبحاث الخاصة بكلٍّ منهم، أو أن يستخدِموا خدمات مراكز البريد ويرسلوا المندوبين لتحقيق هذا الغرض.

شعر أحد العلماء في مركز سيرن السويسري، ويُدعى تيم برنرز لي، بالضيق الشديد من تواصُله مع العلماء الآخرين بهذه الطريقة، وقرَّر أن يُحاول التوصُّل إلى طريقةٍ أفضل وأسرع للتواصُل مع العلماء الآخرين، وتبادُل المعلومات معهم. فجاء بفكرةٍ عظيمة مبتكرة للقيام بذلك تُسمَّى «النص التشعُّبي»؛ وهي طريقة لربط المعلومات الموجودة على أجهزة الكمبيوتر مع بعضها.

وجرى تطبيق الفكرة بشكل جيد بالفعل في مركز سيرن، وكان الكل بحقٍّ سعيدًا لذلك. وبعدها جاء تيم برنرز لي بفكرة عظيمة ثانية.

شعر تيم بأن اختراعه يُمكن أن يُفيد الآخرين أيضًا، وأنه سيكون تصرُّفًا يتَّسِم بالأنانية لو اقتصر استخدامُه فقط على مركز سيرن. فقام بمناقشة الأمر مع إدارة المركز، وأقنعهم بالسماح له بمشاركة فكرة النص التشعُّبي بشكلٍ مجاني مع العلماء الآخرين في مختلِف أرجاء العالم. وبدأ تيم في مشاركة فكرته، وحثَّ الجميعَ على العمل في الوقت نفسِه على تطوير الفكرة، أو إضافة أي ميزاتٍ أُخرى كما يرغبون.

وهكذا أصبحت فكرة الوصول إلى المعلومات ومشاركتها بشكلٍ فوري من أي مكان في العالَم فكرةً قوية جدًّا وجذابة للغاية؛ بحيث جعلَت الكثيرين يبدَءون في استخدام النص التشعُّبي.

وبما أنه في مقدور أي شخصٍ استخدامُ أفكاره لتحسين عمل الإنترنت، فقد شعر الجميع في مختلف أنحاء العالم بأنهم «يملكون» الإنترنت. وهذا شيء رائع بالفعل.

وبحلول العام ١٩٩٣، حدثت طفرة في استخدام الويب حيث بدأ الملايين في استخدامها. واليوم يُوجَد أكثر من مليارَي شخص يستخدمون الويب بطريقةٍ أو بأخرى؛ ويُشكِّل هذا الرقم ثلث سكان العالم تقريبًا!

«حسنًا، كانت ستكون الحياة مختلفة كثيرًا اليوم لو كان تيم برنرز لي قد قرَّر ألا يكون كريمًا جدًّا، أليس هذا صحيحًا؟»

بكل تأكيد! ألا تعتقدون أنه يتعين علينا أن نشكره شكرًا جزيلًا هو والويب معًا؟
«نعم! بالتأكيد يا نيتيكوتي!»
هل أنتم جاهزون؟ هيا اشكروا معي تيم برنرز لي والويب!
«شكرًاااااااا!»

جولديلوكس والدببة الثلاثة

كان يا ما كان في قديم الزمان فتاةٌ صغيرة تُدعَى جولديلوكس تعيش على أطراف الغابة مع عائلتها. وفي صباح أحد الأيام، وبينما كانت تقطف الزهور، تاهت في الغابة وضلَّت الطريق. وأصبحت خائفةً جدًّا، ولكنها رأَت عن بُعدٍ كوخًا صغيرًا ولطيفًا.

كان الكوخ الصغير اللطيف يملكه ثلاثةُ دِبَبة؛ الأول كان الأبَ وكان كبيرَ الحجم، والثاني كانت الأمَّ وكانت متوسطة الحجم، والثالث كان ابنَهما الدبَّ الصغير. قرَّرت العائلة في ذلك الصباح أن تتمشَّى في الغابة لبعض الوقت، ريثما تبرد العصيدة التي أعدَّتها الأم لوجبة الفطور. كانت العصيدة التي لها طعمُ الشوفان ساخنةً جدًّا ولا يُمكن تناوُلها حتى تبردَ قليلًا! وفي نفس الوقت الذي خرجَت فيه العائلة من الباب الخلفي للكوخ، دخلت جولديلوكس من الباب الأمامي بهدوءٍ شديد.

وكان أول شيء رأَته الفتاة الصغيرة وشمَّت رائحته العصيدة الحلوة المذاق التي يتصاعد منها البخار. وقالت: «مِن المؤكَّد أنني جائعة. ولذلك سأتناول القليلَ منها فقط.» في البداية، جرَّبَت ملعقةً من صحن الأب الكبير، ولكنها صرخت: «أوه! إنها ساخنة جدًّا!» وجرَّبَت بعد ذلك ملعقة من صحن الأم المتوسط الحجم؛ فقالت مُتذمِّرة: «أف! إنها باردة جدًّا.» وأخيرًا، جرَّبت الفتاة الصغيرة ملعقةً من صحن الطفل الصغير، وهتفت: «إنها طيبة المذاق! هذا مناسِب تمامًا!» وقامت بتناول كامل محتويات الصحن.

ونظرًا لأن الفتاة الصغيرة قامت بالتجوُّل في جميع أنحاء الغابة طيلة اليوم السابق، فقد كانت قدماها تؤلمانِها، وقالت لنفسها: «أحتاج إلى الجلوس لبعض الوقت لإراحة قدمَي!» قامت أولًا بالجلوس في كرسيِّ الأب الكبير ذي المسندَين. وحينها صرخت بصوتٍ عالٍ: «إنه صُلب جدًّا!» وتحوَّلت بعدها بغضبٍ إلى الكرسي التالي. وجلست على كرسي الأم المتوسط الحجم. ووجدت الكرسيَّ ليِّنًا جدًّا حتى إنها غاصت فيه! وقالت مُتذمِّرة وهي تنهض عن

وسادة الكرسي: «إنه ليِّن جدًّا!» وأخيرًا، جلست في الكرسي الهزَّاز الصغير الخاص بالطفل الصغير. وقالت وهي تضحك: «إنه مُناسب تمامًا!» ولكن الكرسيَّ سرعان ما انكسر تحتها.

وهكذا لم تجد الفتاة الصغيرة أي مكانٍ للجلوس، فصعدت الدرَج للعثور على مكانٍ للنوم. وكانت لا تزال مُتعبة جدًّا. حاولت في البدء الاستلقاءَ على سرير الأب الكبير. ولكنها صرخت قائلة: «إنه عالٍ جدًّا!» ثم، حاولت الاستلقاء على سرير الأم المتوسط الحجم، ولكنها صرخت بصوتٍ عالٍ: «إنه مُنخفِض جدًّا!»

وأخيرًا، جرَّبت سرير الطفل الصغير، وتنهَّدت قائلة: «إنه مناسب تمامًا!» وسرعان ما استسلمت الفتاة الصغيرة للنوم وأخذت تحلم بالزهور وبالبسكويت الساخن.

وفي هذه الأثناء بالضبط، عاد الدببة الثلاثة إلى الكوخ بعد أن أنهَوا جولتهم القصيرة في الغابة. وأُصيبوا بالدهشة الشديدة لرؤيتهم الملاعق في صحون العصيدة. وسأل الأب: «مَن الذي كان يأكل عصيدتي؟» وسألت الأم: «من الذي كان يأكل عصيدتي؟» وسأل الطفل الصغير: «من الذي كان يأكل عصيدتي والتهمها بأكملها؟» ثم رأى الدببة الثلاثة أن الكراسي في المنزل قد استُخدِمَت أيضًا. سأل الأب وهو يصرخ من الغضب: «من الذي كان يجلس على كرسيِّي؟» وتساءلت الأم: «من الذي كان يجلس على كرسيِّي؟» ثم تساءل الطفل وهو يبكي بصوتٍ مرتفع: «من الذي كان يجلس على كرسيِّي وقام بكسره؟»

ركَض الدببة الثلاثة إلى الطابق العلوي لتفقُّد غُرَف نومهم. وزمجر الأب قائلًا: «من الذي كان ينام في سريري؟» ودمدمت الأم وهي تسأل: «من الذي كان ينام في سريري؟» كانت تشعر بقليل من الغضب والقلق في نفس الوقت. وصرخ الطفل الصغير: «من الذي كان ينام في سريري ولا يزال هنا؟» وقال ذلك بصوتٍ عالٍ حتى استيقظت الفتاة الصغيرة من نومها.

شعرت الفتاة الصغيرة بالخوف الشديد حتى إنها قفزت من السرير، ثم قفزت بعدَها من النافذة، وأخذت تُسابق الريح في الغابة حتى سمعت صوتَ أُمِّها. كانت الفتاة الصغيرة سعيدةً جدًّا لرؤية أمها، ووعدت بألَّا تتجوَّل في الغابة أبدًا وحدَها مرةً أخرى.

ولكن جولديلوكس أدركت في اليوم التالي خطأها بتعدِّيها على كوخ الدببة واستخدام أغراضهم الخاصة دون إذن، لذلك شعرت بالأسف وقرَّرَت أن تعود للاعتذار لهم. وقامت هذه المرة بطرْق الباب بأدب، فظهرَت الدببةُ الأم أمامها على الفور، وقالت الفتاة الصغيرة والخوف يتملَّكها: «مرحبًا. أنا آسفة جدًّا لما حدث يوم أمس. إن ما فعلتُه كان خطأً. وقد هربتُ لأنني كنتُ خائفة.»

ردَّت الدبة الأم: «حسنًا يا عزيزتي. لا تقلقي أبدًا، ادخُلي للقاء بقية أفراد العائلة.» وقامت الدبة الأم على الفور بإعلامهما باعتذار الفتاة الصغيرة، وكانوا جميعًا سُعداء بوجودها معهم في البيت. وأصبحوا منذ ذلك اليوم أصدقاءَ جيدين، وواظبت الفتاة الصغيرة على زيارتهم في الكوخ بقدْر ما تستطيع.

بائعة الكبريت الصغيرة

كان الطقس شديدَ البرودة. كانت الثلوج تتساقط بغزارة، وكان الظلام وشيكًا، وذلك مع دخول المساء؛ مساء آخر يوم في العام. وفي ظل هذا البرد والظلام، كانت هناك فتاةٌ صغيرة فقيرة، حافية القدمَين وحاسرة الرأس، تسير عبر الشوارع. صحيح أنها حين غادرَت المنزل كانت مُنتعِلة خُفَّين؛ ولكن لم يكن لهما أي فائدة. لقد كانا كبيرَين جدًّا على قدمَيها؛ إذ كانا خاصَّين بأمِّها. وقد ضاعا من الفتاة الصغيرة المسكينة أثناء عبورها الشارع جريًا أثناء مرور عربتَين بسرعةٍ فائقة. وحين بحثت عنهما، كانت فردة منهما قد اختفَت، وأمسك صبي بالأُخرى وجرى بها، قائلًا إنه سيستخدمها كمَهدٍ ذات يومٍ حين يصير لديه أطفال. وهكذا مضت الفتاة الصغيرة بقدمَيها الحافيتَين، وقد أصابهما البرد باحمرارٍ وزُرقة. كان يُوجَد في المئزر القديم الذي ترتديه عدةُ حزَم من عيدان الثقاب، كما كانت تحمل واحدةً في يدها أيضًا. لكن لم يشترِ أحدٌ ولو حزمة واحدة طوال اليوم، ولم يُعطِها أحدٌ ولو بنسًا واحدًا.

يا لها من فتاةٍ صغيرة مسكينة! فهي صورة مثالية للبؤس وهي تُجرجِر قدمَيها مُرتجفةً من البرد والجوع. راحت ندفُ الثلج تتساقط على شعرها الأشقر الطويل، المُسترسِل في خصلاتٍ مُلتفَّة جميلة حول عنقها؛ لكنها لم تكن تُفكِّر في حُسنها ولا البرد. لقد كانت الأضواءُ تشعُّ خلف كل نافذة، وتسربَت إليها الرائحة الشهية لإوزة مشوية؛ إذ كانت ليلة رأس السنة. وكان هذا كل ما شغل بالها.

في زاوية بين منزلَين، تقدَّم أحدهما عن الآخر، جلست الفتاة مُنكمِشة. لقد ضمَّت قدَمَيها الصغيرتَين تحتها، إلا أنها كانت لا تزال تشعر بالبرد أكثر فأكثر، لكنَّها لم تجرؤ على العودة إلى المنزل؛ إذ لم تكن قد باعت أيَّ أعواد ثقاب ولم تستطع الحصول على أي بنسات. وكان أبوها قطعًا سيَضربها، كما أن الجوَّ كان باردًا للغاية في المنزل، فلم يكن

يسترهم سوى سقف المنزل، ورغم سدِّ أكبر الثقوب بالقشِّ والخِرَق، فقد بقي العديد من الثقوب التي كان بإمكان الرياح الباردة المرورُ من خلالها.

وها هي يداها الصغيرتان تكادان تتجمدان من البرد. يا للأسف! يكفيها عود ثقابٍ واحد إن هي أخذته من الحزمة وحكَّته بالحائط، ودفَّأت به يدَيها. وأخيرًا أشعلت واحدًا، وكم أخذ يتوهَّج ويحترق! لقد أعطاها شعلة ضوء دافئة كأنه شمعة صغيرة، حين أحاطته بيدَيها. كان بصيصًا رائعًا من الضوء. لقد بدا للفتاة الصغيرة بحقٍّ كأنها جالسة أمام موقدٍ كبير من الحديد ذي أقدامٍ نُحاسية مصقولة ومجرفة وملقط من النُّحاس. أخذ العود يحترق في يسرٍ شديد حتى إن الفتاة الصغيرة مدت قدمَيها لتُدفئهما أيضًا. كم شعرت بالراحة! لكن ويا للأسف، انطفأت الشعلة، واختفى الموقد، ولم يتبقَّ سوى عود الثقاب الصغير المحترق في يدها.

حكَّت عودًا آخر في الحائط، فأعطاها شعلةً متوهِّجة، وحيث سقط الضوء على الجدار صار شفَّافًا كالشاش، حتى إنها استطاعت أن ترى الغرفة من خلاله. رأت مفرشًا أبيض كالثلج مبسوطًا على طاولة، عليها صحون عشاء جميلة من الخزف الصيني، بينما كان البخار يتصاعد في روعة من إوزة مشوية، محشوة بالتفاح والبرقوق، ويُرسِل في الأجواء رائحة شهية للغاية. لكن ما كان أكثر بهجةً، بل وروعة، هو أن الإوزة قفزت من الصحن، وما زالت السكِّين والشوكة مغروستَين في صدرها، وتهادت على الأرض حتى عبَرَتها إلى الفتاة مباشرةً. إلا أن العود انطفأ حينذاك، ولم يتبقَّ لديها سوى الجدار السميك الرطب. أشعلت عودًا آخر؛ وعندئذٍ رأت نفسَها أسفل شجرة عيد ميلاد غاية في الجمال، أكبر حجمًا وأجمل تشذيبًا بكثيرٍ من التي كانت قد رأتها من خلال الباب الزجاجي لمنزل التاجر الثري. إذ كانت مئات الشموع تحترق على فروعها الخضراء، وتنظر إليها أشكال زاهية، كالتي رأتها في نوافذ المتاجر. مدَّت الطفلة ذراعَيها إليها، لكن انطفأ العود حينذاك. ظلَّت أنوار شجرة عيد الميلاد ترتفع أعلى فأعلى، حتى رأتها الآن كنجومٍ في السماء، ثم سقطت واحدةٌ منها، فخلَّفَت شريطًا طويلًا من اللهب.

تمتمَت الطفلة: «ثمة شخص يحتضر الآن.» فقد أخبرتها جَدَّتها، وهي الشخص الوحيد الذي أحبَّها، وقد تُوفِّيت، أنه متى سقطت نجمةٌ صعدت روح إلى الرب.

حكَّت الفتاة عودًا آخر بالحائط، فأضاء الدنيا مرةً أخرى؛ وفي الضوء لاحت أمامها جدتها العجوز، تشعُّ نورًا وبريقًا، لكن تقطر عذوبةً ورقَّة.

صاحت الطفلة: «جدتي، فلتأخذيني معكِ. أعلم أنكِ ستختفين حين ينطفئ العود. أنتِ أيضًا ستختفين مثل الموقد الدافئ، ووليمة عيد الميلاد الرائعة، وشجرة عيد الميلاد الجميلة.»

وحتى لا تختفيَ جدتها، حكَّت حُزمة أعواد الثقاب بالكامل في الحائط. اشتعلت أعواد الثقاب في لهيبٍ شديد الوهج حتى صار الضوء أشدَّ من ساعة الظهيرة. الجدة التي لم تبدُ بهذه الضخامة والجمال قطُّ ضمَّت الفتاة بين ذراعَيها، وطارتا معًا، في فرحٍ وعظَمة، صاعِدتَين إلى آفاقٍ أعلى وأعلى، بعيدًا عن الأرض، حيث لا يوجد جوع أو برد أو هَم؛ إذ صارتا مع الرب.

لكن كانت الفتاة المسكينة جالسة في الزاوية، مستندة إلى الحائط، بوجنتَين مُتورِّدتَين وثَغر مبتسم، بعد أن تجمَّدت حتى الموت في الليلة الأخيرة من العام المنصرم. كانت شمس العام الجديد قد سطعَت على جسدها الصغير المُثير للشفقة. وكانت هي قابعةً في مكانها مُتيبِّسة وباردة، معها حزَم أعواد الثقاب، التي احترقت منها حزمة واحدة.

قال الناس: «يا لها من صغيرةٍ مسكينة أرادت أن تتدفَّأ!» لكن لم يتخيل أحدٌ الرؤى الجميلة التي كانت قد شاهدتها، أو كيف رحلت في عظَمة مع جدتها لتعيش أفراح العام الجديد.

ملابس الإمبراطور الجديدة

كان يا ما كان؛ إمبراطور يُحب كثيرًا ارتداء الملابس الجديدة، حتى إنه كان يُنفق كل أمواله من أجل الحصول عليها؛ فقد كان طموحه الوحيد أن يرتديَ دائمًا أفخر الملابس. لم يهتمَّ الإمبراطور بجنوده، كما لم يكن يُمتعه المسرح. الشيء الوحيد الذي كان يُفكر فيه دائمًا، في الواقع، هو كيف يخرج لعامة الناس وهو يرتدي ملابس جديدة. كان لديه معطف لكل ساعةٍ من ساعات اليوم، وكما يقول المرء عادةً عن الملك بأنه «في غرفة المشاورات مع مُستشاريه.» يُمكن هنا للمرء أن يقول عنه: «إن الإمبراطور في حجرة الملابس خاصته.»

كانت المدينة الكبيرة التي يحكمها الإمبراطور مبهجة جدًّا؛ فكانت تستقطب في كل يومٍ العديدَ من الغرباء من جميع أنحاء العالم؛ لكثرة الفعاليات الموجودة فيها. وفي أحد الأيام جاء إلى المدينة اثنان من المُحتالين، وتمكَّنا من إيهام الناس بأنهما نسَّاجان يستطيعان صُنع أفخر قماشٍ يُمكن تصوُّره. وقالوا للناس إن ألوان وأشكال القماش الذي ينسجونه ليست فقط منقطعة النظير، ولكن الملابس المصنوعة منه أيضًا تملك خاصيةً عجيبة، حيث تكون غير مرئية لأي رجلٍ غير صالح لمنصبه، أو غبي بشكلٍ لا يُصدَّق.

قال الإمبراطور في نفسه: «لا بدَّ أن هذا القماش رائع. وإذا كان لي أن أرتديَ ملابسَ مصنوعة منه، فسأكون قادرًا على معرفة أي الرجال في إمبراطوريتي غير صالحين لمناصبهم، والتمييز بين الذكي والغبي. لا بدَّ أن يتم نسجُ هذا القماش لي بدون تأخير.» وأعطى مبلغًا كبيرًا من المال مُقدمًا إلى هذَين المحتالَين لكي يتمكَّنا من البدء في العمل دون إضاعة المزيد من الوقت. أقام هذان المحتالان نولَين في إحدى غرف القصر، وتظاهرا بنسج القماش المزعوم بكل جهدهما، لكنهما في الواقع لم ينسجا أي شيءٍ على النولَين. وقد طلبا أرقى أنواع الحرير وأغلى أنواع القماش المذهَّب، وكانا يبيعان كل ما يحصلان عليه

ويضعان ثمنه في جيوبهما، ويُواصلان العمل على النولَين الفارغَين حتى وقتٍ متأخِّر من الليل.

اعتقد الإمبراطور أنه من المُستحسَن أن يُرسِل واحدًا من حاشيته أولًا، وألَّا يذهب هو بنفسه لمعرفة كيف تسير الأمور. وقال في نفسه: «سأُرسل وزيري الأمين والمُحنَّك لهذَين النسَّاجَين؛ إنه يستطيع أن يحكم على أفضل وجهٍ على مادة القماش لأنه ذكي، ولا أحدَ يفهم عمله أفضل منه.»

ذهب الوزير المُحنك الأمين إلى الغرفة حيث يعمل المُخادعان على نولَين فارغَين. وقال في نفسه وهو يُحملق بعينَيه في النولَين: «فليرحمنا الرب! أنا لا أستطيع أن أرى أي شيءٍ على الإطلاق.» لكنه لم يقُل ذلك بصوتٍ عالٍ. طلب منه المُحتالان أن يقترِب أكثر، وسألاه، وهما يُشيران إلى النولَين الفارغَين عما إذا كان يُعجبه شكل القماش الرائع وألوانه الجميلة. حاول الوزير المحنَّك المسكين أن يُمعِن النظر في النولَين، لكنه لم يرَ شيئًا لأنه لم يكن هناك شيء يُمكن رؤيته. وحدَّث نفسه قائلًا: «يا إلهي! هل يُمكن أن أكون غبيًّا جدًّا لهذه الدرجة؟ ما ينبغي لي أن أفكر على هذا النحو، كما لا ينبغي أن يعرف ذلك أحد! هل من الممكن ألا أكون صالحًا لمنصبي؟ لا، لا. لا أستطيع أن أقول إنني لم أتمكَّن من رؤية القماش.»

وقال الوزير المُحنَّك وهو يُثبِّت نظارته: «أوه، إنه جميلٌ جدًّا؛ جميل لأبعدِ حد. يا له من شكلٍ جميل، ويا لها من ألوانٍ رائعة! سأقول للإمبراطور إنني أُعجِبتُ بالقماش كثيرًا.»

قال المُخادعان: «نحن سعيدان لسماع ذلك.» وقاما بوصف الألوان وتوضيح شكل القماش العجيب.

في هذه اللحظة طلب المُخادعان المزيدَ من المال والمزيدَ من الحرير والقماش المُذهَّب اللازمَين لنسج القماش. ووضعا ثمن كل ذلك في جيوبهما، ولم يستخدِما ولا حتى خيطًا واحدًا على النولَين، ولكنهما واصلا، حتى اللحظة، العمل على النولَين الفارغَين.

أصبح جمال القماش وروعة تصميمه مثارَ حديث الناس في المدينة. ورغب الإمبراطور في النهاية في رؤيته بنفسه، بينما لا يزال يتمُّ نسجُه على النولَين. وذهب في نفرٍ من حاشيته إلى المُحتالَين الذكيَّين اللذين كانا يعملان بكل ما في وسعهما على النولَين الفارغَين ولكن دون استخدام أي خيوط.

قال الإمبراطور في نفسه: «ما هذا؟ أنا لا أرى أي شيءٍ على الإطلاق. هذا أمر فظيع! هل أنا فعلًا غبي؟ هل أنا غير مناسب لكي أكون إمبراطورًا؟ ستكون كارثة مُحقَّقة عليَّ إن صح أيٌّ من الزعْمَين.»

التفتَ الإمبراطور نحو المُخادعَين وقال: «في الواقع هذا القماش حاز على إعجابنا الشديد.» وقام بإيماءةٍ مليئة بالرضا وهو ينظر إلى النولَين الفارغَين لأنه لم يرغب في القول بأنه لا يرى شيئًا. وأخذ كل أفراد الحاشية الذين كانوا برفقته يُحملِقون بإمعانٍ في النولَين الفارغَين، وعلى الرغم من أنهم لم يتمكَّنوا من رؤية أي شيءٍ أكثرَ من الآخرين، قالوا، مثل الإمبراطور: «إنه جميل جدًّا.» ونصحوا الإمبراطور بارتداء الملابس الرائعة الجديدة في موكبٍ كبير سينطلق بعد فترةٍ قصيرة. وقال أحد أفراد الحاشية: «إنه رائع، وجميل، وممتاز.» وبدا الجميع سعداء، وعيَّن الإمبراطور كلًّا من المُحتالَين في منصب كبيرِ نسَّاجي البلاط الملكي.

طوال الليلة التي سبقَت انطلاق الموكب الكبير واصل المُخادعان التظاهرَ بالعمل، وأحرقا أكثر من ١٦ شمعة. وكانا يرغبان في أن يعتقد الناس بأنهما كانا مَشغولَين جدًّا لإنهاء ملابس الإمبراطور الجديدة. وتظاهرا بأنهما أخذا القماش من النول، وقاما بقصِّه في الهواء بمِقَصٍّ كبير، وقاما بخياطته بإبرٍ بدون خيوط، وقالا أخيرًا: «أصبحَت ملابس الإمبراطور الجديدة جاهزة الآن.»

ثم جاء الإمبراطور وجميع البارونات إلى الغرفة. وقام المُخادعان برفع ذراعَيهما كما لو كانا يحملان شيئًا في أيديهما وقالا: «هذا هو السروال! وهذا هو المعطف! وهذه هي العباءة! وكل هذه الملابس خفيفة مثل شبكة العنكبوت، ولذلك يجب أن يشعر المرء وكأنه لا يرتدي شيئًا على الإطلاق عندما يرتديها. وهذا هو بالضبط موطن الجمال فيها.»

وقال كل أفراد الحاشية: «فعلًا!» ولكنهم لم يتمكنوا من رؤية أي شيء، لأنه لم يكن هناك شيءٌ يُمكن رؤيته. وقال المخادعان: «هل يسمح صاحب الجلالة الآن بأن يخلع ملابسه لكي نقوم بمساعدته في ارتداء الملابس الجديدة أمام المرآة الطويلة؟»

قام الإمبراطور بخلع ملابسه، وتظاهر المخادعان بوضع الثياب الجديدة على الإمبراطور القطعةَ تلوَ الأخرى، وأخذ الإمبراطور ينظر إلى نفسه في المرآة الطويلة من كل جانب.

وقال الجميع: «كم تبدو جيدة! كم تبدو مناسبة تمامًا! يا له من شكلٍ جميل! يا لها من ألوانٍ زاهية! هذه ملابس رائعة!»

أعلن رئيس المراسم بأن حاملي المظلة الإمبراطورية، التي كان من المُقرَّر أن تُحمل في الموكب، أصبحوا جاهزين.

قال الإمبراطور: «أنا مُستعد. ألا تُناسبني ملابسي الجديدة بشكل رائع؟» ثم تحوَّل مرة أخرى للنظر في المرآة، إذ يجب أن يعتقد الناسُ بأنه معجب بالملابس الجديدة.

سار الإمبراطور في الموكب تحت المظلة الجميلة، وهتف كل من رآه في الشارع أو من خلال النوافذ: «فعلًا، إن ملابس الإمبراطور الجديدة لا تُضاهى حقًّا! ما أطولَ ذيل هذه الملابس! كم تبدو ملائمة له!» لم يكن أحد يرغب في أن يعرف الآخَرون بأنه لم يرَ شيئًا؛ لأنه سيُعتبَر غير مناسبٍ لمنصبه أو غبيًّا جدًّا. ولم تكن ملابسُ الإمبراطور أبدًا محل الاعجاب أكثر من هذا اليوم. ولكن في النهاية، كان هناك طفل برفقة أبيه فقال: «لكنه لا يرتدي أي شيء على الإطلاق.» هنا قال أبو الطفل: «يا إلهي! استمعوا إلى ما قاله الطفل البريء.» وهمس أحد الحضور إلى الآخر بما قاله الطفل. وبعدها خرجت الرعية بأسرِها عن صمتها وصاحت بصوتٍ واحد في نهاية المطاف: «لكنه لا يرتدي أي شيء على الإطلاق.» ترك ذلك انطباعًا عميقًا لدى الإمبراطور، لأنه بدا له أنهم على حق، ولكنه قال في نفسه: «يجب عليَّ أن أُتِمَّ الموكب الآن، وأن أتحمَّل الأمر حتى النهاية.»

مولان

منذ سنوات طويلة، كانت الصين تخوض غمار حربٍ كبيرة. وأعلن الإمبراطور أنه يتعيَّن على كل عائلة أن تُرسِل أحد أبنائها للانضمام إلى الجيش. سمِعَت مولان، وهي فتاة شابَّة تعيش في قرية نائية في الصين، بهذا الخبر، بينما كانت تقوم بغسيل الملابس على ضفَّة النهر.

أسرعت مولان في العودة إلى البيت. كان والدها يجلس على كرسي وهو يقوم بالحفر على قطعةٍ من الخشب. وقالت: «يا أبي، هل سمعتَ بقول الإمبراطور حول ما يتعين على كل أسرةٍ أن تقوم به؟»

أجاب الأب: «نعم. لقد سمعتُ ذلك عندما كنتُ في المدينة. حسنًا، سأقوم بحزم حاجاتي والاستعداد للالتحاق بمعسكر الجيش.» وتوقف عن الحفر على قطعة الخشب التي بين يدَيه، ونهض عن الكرسي وسار ببطءٍ شديد نحو غرفته.

قالت مولان: «مهلًا يا أبي! إنك لا تبدو على ما يُرام. وإذا جاز لي القول، كيف لك وأنت في هذه السن مواكبةُ كل هؤلاء الشباب؟»

قال الأب العجوز: «وما عساي أن أفعل غير ذلك؟ أخوك لا يزال صغيرًا ولا يستطيع أن يلتحق بالجيش.»

قالت مولان: «بالطبع هذا صحيح. إنه لا يزال صغيرًا جدًّا. ولكن لديَّ فكرة.» وقامت بصبِّ بعض الشاي في قدحٍ صغير وقدَّمته لوالدها، وقالت له: «تناوَل بعض الشاي يا أبي. من فضلك اجلس لدقيقة، وسأعود بعد قليل.»

قال الأب: «حسنًا يا عزيزتي.»

ذهبت مولان إلى غرفتها، وقامت بقص شعرها الأسود الطويل بسيفها، كما قامت بارتداء رداء والدها، وعادت إليه وقالت له: «انظر إليَّ. أنا ابنك الآن، وسوف أذهب بدلًا منك، وأقوم بواجبي تجاه وطني الصين.»

وقال الأب العجوز: «لا يا بُنيتي! إنك لا تستطيعين القيام بذلك!»

قالت مولان: «من فضلك اسمعني يا أبي؛ لقد درَّبتَني لسنواتٍ على رياضة الكونغ فو، وعرَّفتَني كيفية استخدام السيف.» وقامت بتحريك السيف بقوةٍ في الهواء، واستعراضِ مهاراتها في استخدامه.

قال الأب: «لقد فعلتُ ذلك فقط بقصد أن تتمكَّني من حماية نفسك! ولم يكن ذلك قطُّ بغرض أن تُشاركي في الحرب. وكما تعلمين فإنهم إذا اكتشفوا أنك امرأةٌ فسوف تموتين في الحال!»

قالت مولان: «يا أبي، لن يكتشفَ ذلك أحد.» وأمسكَت بسيفها.

قال الأب: «مولان!» وحاول أن يقف ولكنه لم يتمكَّن من ذلك من شدة ضعفه وبقي جالسًا على كُرسيِّه.

وقامت الفتاة بوداع والدها وقبَّلَته على جبينه وهي تقول: «أحبُّك كثيرًا يا أبي. اهتمَّ بنفسك. وقل لأخي إنني كنتُ أُريد أن أُودِّعه أيضًا.» وقامت بعد ذلك بامتطاء ظهر جوادٍ خاص بالأسرة. وسارت بعزمٍ للانضمام إلى جيش الإمبراطور.

أثبتَت مولان في الجيش شجاعتها وقدراتها القتالية. ومع مرور الوقت تمَّ ترقيتُها لتُصبح قائدةً على مجموعة من الجنود. وشاركت بإقدام في العديد من المعارك ليتمَّ بعد ذلك ترقيتها لتُصبح قائدة على المزيد من الجنود. واستمرت مولان في المشاركة ببسالةٍ في العديد من المعارك. وبعد بضع سنواتٍ تبوَّأت أعلى منصبٍ في الجيش، وهو منصب القائد العام.

ولم يمضِ وقتٌ طويل حتى تفشَّت حُمَّى وبائية في صفوف الجيش. وأُصيب العديد من الجنود بهذه الحُمَّى، وكان مِن ضمنهم مولان نفسها، القائد العام للجيش.

وعندما قام الطبيب بمعالجة مولان في خيمتها، عرَف حقيقة أمرها.

وصرخ الجنود: «هل القائد العام للجيش امرأة؟ كيف يُمكن أن يحدُث هذا؟» وصاح بعض الجنود بصوتٍ مرتفع: «لقد خدَعَتنا! لن نُقاتل وراء امرأة! عاقِبوها! دعوها تدفع ثمن فعلتها هذه! الموت هو الثمن، ولا أقلَّ من ذلك!» وكان هناك في نفس الوقت جنود آخرون أخَذوا يصرخون بأصواتٍ مرتفعة أيضًا: «لقد كسبنا مع القائد مولان جميعَ معاركنا! ابتعدوا عن قائدتنا ولا تتدخَّلوا في هذا الأمر!»

وسرعان ما جاء جندي من بعيدٍ مُسرعًا وقال: «الجميع انتباه! هناك هجومٌ مفاجئ!»

سمعت مولان ما قاله هذا الجندي وهي لا تزال في داخل خيمتها. فارتدَت ملابسَها وخرجت إليهم. لم تكن قد تعافت تمامًا بعد، لكنها جاهدَت لتقف شامخةً أمامهم. وقامت بتوجيه الجنود على الفور بالانتشار بشكلٍ خفي في نقاطٍ مُتفرقة لينقضُّوا منها على العدو لحظةَ بدء الهجوم. ولكن كان يتعيَّن عليهم الإسراعُ في الذَّهاب إلى هذه الأماكن التي حدَّدتها لهم. وسرعان ما أدرك جميعُ الجنود، ومن ضمنهم أولئك الذين كانوا يُعارضون أن يكونوا تحت قيادة امرأة، أن القائد العام مولان تعرف تمامًا ما كانت تطلب منهم القيام به.

ونجحت الخُطة! وكسب الجنود المعركة. وكان انتصارًا ساحقًا أدَّى في النهاية إلى استسلام العدو. ووضعت الحرب أوزارها وتمَّ إنقاذ الصين، ولم يعُد أحد يُهِمُّه بعد هذه المعركة الكبرى الأخيرة أن يكون القائد العام للجيش امرأة.

شعر الإمبراطور بسعادةٍ بالغة لتمكُّن مولان من كسب هذه الحرب الطويلة، وقام بالتغاضي عن شرط أن يكون كلُّ من يُشارك في الجيش رجلًا. وقال لها: «ابقَي معي في القصر يا مولان. إن شخصًا ذكيًّا مثلكِ يصلح لأن يكون مستشارًا ملَكيًّا رائعًا.»

انحنت مولان بشدةٍ أمام الإمبراطور. وقالت له: «هذا لُطف كبير من جلالتكم. ولكن بعد إذنكم، ما أريده الآن أكثر من أي شيء آخر هو العودة إلى بيتي وعائلتي.»

قال الإمبراطور: «في هذه الحالة خذي معك على الأقل هذه الهدايا الجميلة والفاخرة؛ لكي يعرف جميع سكان قريتك مقدارَ احترام وتقدير الإمبراطور لكِ.»

وهكذا عادت مولان إلى قريتها ومعها ستة من الخيول الأصيلة، ومثلها من السيوف الفاخرة. واحتفل جميع سكان قريتها بعودتها سالمةً وهم يشعرون بالفخر الكبير؛ لكون التي أنقذت بلادهم الصين هي ابنة قريتهم، مولان.

الرهان

كان هناك في الدنمارك في قديم الزمان أبٌ فقير يعيش مع ولده في كوخ صغير. كان يتعيَّن عليهما أن يعملا بكدٍّ ليكسبا قوتَ يومهما. كان الأب يعمل كأجير، في حين كان ابنُه، جون، يقوم بتوصيل الرسائل والطُّرود.

وفي يومٍ من أيام الصيف الحارة، كان على الابن السيرُ لمسافة طويلة لتوصيل رسالةٍ ما. وبعد أن سار لوقتٍ طويل، لاحظ شجرة صفصافٍ قريبةً من بِركة ماء، وكانت جذورُها مكشوفةً وعلى وشك أن تموت، فقام على الفور بوضعِ كمية من التراب عليها وغطَّاها بالماء.

وفجأةً لاحظ وجود شيءٍ ما في التراب. تبيَّن له بعد أن التقطَه بأنه بلا شك محفظة، وكانت مليئةً بالنقود.

عاد جون إلى المدينة وأخذ يسأل كل من يلتقيه إذا كان قد ضاعت منه محفظة مليئة بالنقود.

ولم يمضِ وقتٌ طويل حتى التقى بفارسٍ يعدو بجواده. وعندما سأله جون إن كان قد فقد محفظةً مليئة بالنقود، أجاب الرجل بأنه في واقع الأمر قد فقد محفظته في صباح ذلك اليوم عند خروجِه من البيت، ووصف لجون شكل المحفظة بالتفصيل، فقام جون على الفور بإرجاعها إليه.

وتبيَّن لاحقًا أن هذا الفارس يملك ضيعةً كبيرة في مدينة أوسترجارد المجاورة، وقد شعر بعظيم الامتنان لاسترجاع محفظته، وأعطى جون على الفور مكافأة مُجزية، كما عرَض على جون العملَ في ضيعته مقابل الطعام والسكن، إضافةً إلى الراتب الشهري.

ردَّ عليه جون وهو يشعر بالسرور لتمكُّنِه من إيجاد عمل دائم: «نعم، أرغب في ذلك حقًّا.» وقام على الفور بإيصال الرسالة التي سُلِّمَت له في الصباح إلى أصحابها. وانطلق

عائدًا إلى البيت بأقصى سرعةٍ ممكنة ليزفَّ هذا الخبر السعيد إلى والده. وبعد مضيِّ ثلاثة أيامٍ انتقل جون إلى مدينة أوسترجارد ليبدأ عمله الجديد هناك.

وحدث في اليوم التالي أن زار صاحبَ الضيعة في بيته بعضُ أصدقائه. وأخذ صاحب الضيعة ولورد المدينة يتفاخر أمام ضيوفه بخادمه الجديد والأمين. وقال إنه يتصف بالأمانة والإخلاص والشرَف، حتى إنه لا أحد يستطيع حملَهُ على الكذب بأي طريقةٍ كانت.

قال أحد الضيوف: «لو كنتُ في مكانك لما كنتُ متأكدًا كثيرًا من ذلك.» وكان هذا المُتحدث أيضًا من اللوردات، ويملك ضيعةً كبيرة في مدينة نيبيجارد المجاورة.

وأضاف المتحدث: «أعتقد أنه لو جرى إغراؤه بشكلٍ كافٍ، فسوف يقوم بالكذب لا محالة.»

لكن لورد مدينة أوسترجارد كان متأكدًا لدرجةٍ كبيرة مما يقوله حول صفة الصدق المُتأصِّلة في شخصية خادمه الجديد، لدرجة أنه قال بأنه مُستعد للرهان بأي مبلغ يُحدِّده جاره لورد مدينة نيبيجارد إذا نجح في حمل خادمه جون على الكذب، وأضاف أن أي لورد يكسب الرهان سوف يكسب أيضًا ضيعة اللورد الخاسر.

وأخذ لورد مدينة نيبيجارد يُفكِّر في خطةٍ للإيقاع بالخادم، وقرَّر أن يقوم بكتابة رسالة إلى ابنته الشابة البكر والجميلة؛ على أن يقوم الخادم جون بإيصالها إليها في مدينة نيبيجارد، وأن يطلُب فيها من ابنته أن تُحاول خداع جون حتى يُعطيَها جواد سيده. وهكذا عندما يعود الخادم إلى سيده بدون الجواد، فإنه من المؤكد سيكون مُضطرًّا إلى اختلاق كذبة من نوع ما لتبرير فقدان الجواد!

وهكذا قام لورد مدينة نيبيجارد بكتابة الرسالة إلى ابنته على هذا النحو، وأعلمها أيضًا بموضوع الرهان، مؤكدًا على الأهمية الكبيرة التي يُوليها لكسب هذا الرهان. وأوضح في الرسالة لابنته أن حامل الرسالة اسمه جون، وأنه يتعين عليها أن تُعامله بمودَّة قدْر ما تستطيع لكسب ثقته. واختتم رسالته بالقول بأن مهمتها هي حمل الخادم على إعطائها الجوادَ الذي سيمتطيه وهو قادمٌ إليها لإيصال الرسالة.

وهكذا قام لورد مدينة نيبيجارد بطيِّ الرسالة ووضعها في ظرفٍ مُحكَم الإغلاق، وسلَّمها للورد مدينة أوسترجارد الذي دعا على الفور خادمه الجديد جون، وطلب منه أن يقوم بإيصال الرسالة إلى وِجْهتها في ضيعة نيبيجارد.

وقال له: «جون، هذه أول مهمة أُكلفك بها في عملك الجديد. خذ جوادي حتى تتمكن من العودة بسرعةٍ أكبر، وقم بإيصال الرسالة إلى ضيعة ضَيفي في نيبيجارد. وعليك ألا

تُجهِد الجواد بالعدْوِ السريع، أو أن تَفقده بأي طريقة؛ فهو أفضل وأغلى الخيول الموجودة لديَّ في الإسطبل.»

وقال جون إنه سيقوم بما أمره به سيده.

وبعد فترة، نزل عن الجواد وسار أمامه مُمسكًا بلجامه، وبذلك يستطيع أن يُريح الجواد من ثقل وزنه. لكن ذلك أدَّى بالطبع إلى إطالة فترة الرحلة. وعندما وصل مدينة نيبيجارد، كان الظلام قد أوشك على الحلول على المدينة.

قرأت الفتاة الشابة رسالة والدها، فقامت على الفور بالتصرُّف مع جون بطريقةٍ وُدية بأقصى ما تستطيع. في الواقع لم يكن من الصعب عليها القيامُ بذلك؛ لأنها منذ اللحظة الأولى التي رأت فيها الشاب شعرت بنفسها تنجذِب إليه. ومع ذلك، كان يتعين عليها في كل الأحوال أن تتصرَّف على النحو الذي طلبه منها والدها في الرسالة.

ولذلك قامت باستقبال الشاب بترحابٍ شديد. وبقيا يتحدَّثان ويضحكان طوال فترة المساء. وما إن حلَّ منتصف الليل حتى قامت بتقديم شرابٍ في كأس مُرصَّعة بالجواهر تحتوي على مادة تدفع بشاربها إلى النوم. وعندما بدأ الشاب يشعر بالتعَب والنعاس الشديد في هذه الأجواء العاطفية توسَّلت إليه ليسمح لها بالاحتفاظ بالجواد.

وافق جون على طلبها وهو يتثاءب، وبعدها أخذ يغطُّ في نومٍ عميق.

وفي صباح اليوم التالي اكتشف جون بأنه لم يعُد معه الجواد. وهكذا حمَل — وهو يشعر بحزنٍ كبير — السرج وخطام الجواد على كتفه، وعاد أدراجَه إلى مدينة أوسترجارد. وكان يُؤنِّب نفسه طيلة طريق العودة على سوء تصرُّفه وحماقته بالتخلي عن جواد سيده.

وأخذ يُحدِّث نفسه طوال الطريق قائلًا: «ماذا يجب عليَّ أن أقول عندما أصل البيت ويكتشف سيدي بأنني رجعتُ بدون الجواد؟ سيقول لي بالطبع: «حسنًا يا جون، هل قمتَ بإيصال الرسالة كما طلبتُ منك؟» عندئذٍ سأُجيبه: «نعم.» وبعدها سيقول سيدي: «وماذا حلَّ بجوادي الذي عهدتُ به إليك؟» ماذا سأقول حينها؟ ربما يجب عليَّ في هذه الحالة أن أقول: «اعترضني في الطريق عصبة من اللصوص وسرقوه مني».»

توقف جون في طريقه وهو يهزُّ رأسه تعبيرًا عن الرفض قائلًا: «لا، لا، لا يُمكن أن يحدث هذا أبدًا. لم يسبق لي في حياتي أن كذبتُ على الإطلاق؛ ولذلك لن أكذب الآن مهما كانت العاقبة.»

ثم أخذ جون يتخيَّل مقدار خيبة أمل والده عندما يعلم بمدى سوء تصرُّفه وحماقته في عمله الجديد وخلال المهمة الأولى التي كلَّفَه بها سيدُه. وجالت في ذهنه فكرة

أخرى: «سأقول إن الجواد سقط ومات من شدة التعب وقمتُ بدفنه في خندق ... ولكن لا، هذا لن يُجْديَ نفعًا أيضًا.»

ولم يمضِ وقتٌ طويل حتى قرَّر جون أن يقول لسيده بأن الجواد أفلَت من يده فجأة بعد أن سقط عنه السرج والخطام، ولم يتمكَّن من استعادته، وهذا هو السبب في كونه قد رجع من المهمة وهو يحملهما على ظهره.

وقبل أن يصل جون للباب الأمامي لضيعة سيده في أوسترجارد، رآه ضيوف سيده قادمًا من بعيدٍ على قدمَيه وهو يحمل السرج والخطام على ظهره.

قال لورد مدينة نيبيجارد مُتعجبًا: «ها هو خادمكم الأمين قد أتى. انظر كيف يسير ببطءٍ شديد وبدون أن يكون معه الجواد. إنك تعلم التعليمات التي أرسلتُها إلى ابنتي في الرسالة. مَن تعتقد أنه سيكسب الرهان الآن؟»

رأى لورد مدينة أوسترجارد جون أيضًا، وشعر بغضبٍ شديد لرؤية خادمه يعود بدون الجواد. وحالَما دخل الخادم البيت، جرى استدعاؤه على الفور للمثول أمام سيده وجميع ضيوفه، وبادره سيدُه على الفور بالسؤال بصوتٍ هادر: «حسنًا يا جون، هل أنجزتَ المهمة التي أرسلتُك من أجلها وأوْصلتَ الرسالة؟»

أجاب جون وهو يرتجف من الخوف: «نعم يا سيدي الكريم.»

«وماذا حل بجوادي الأصيل الذي استخدمتَه خلال المهمة وعهدت به إليك وأمرتُك أن تهتمَّ به بشكلٍ جيد؟»

لم يتجرَّأ جون على النظر في عينَي سيده، وأطرق ببصره نحو الأرض، وقال في صوت منخفضٍ وحزين:

«طوَّقَتني الفتاة بذراعَين مفتوحتَين وناعمتَين، وعاملَتني بمودَّة شديدة؛ فشربتُ كأسها، فذهب عني عقلي وغطَطتُ في نومٍ عميق، وهكذا فقدتُ جوادَ سيدي.»

وما إن انتهى من قول ذلك حتى سارع سيده نحوَهُ وعانَقه في سعادة كبيرة.

والتفت نحوَ ضيفه وقال: «أترى؟ كنتُ متأكدًا بما فيه الكفاية بأن هذا الشابَّ سيقول الحقيقة. والآن من منَّا كسب الرهان؟»

اندهَش جون بشدة. كيف يكون سيده مسرورًا منه بعد كل ما فعله؟ وأخذ سيده يُربِّت برفقٍ على ظهره وهو يقول له: «كن يا بني دائمًا طيب القلب! واصل السير على طريق الحق والصواب، وعندما تكبر بالقدْر الكافي، سأُعطيك منزلًا وأرضًا وخيولًا أيضًا.»

شعر لورد أوسترجارد بسعادة بالغة لكسبه الرهان، لدرجة أنه سمح للورد نيبيجارد بأن يحتفظ بضيعته في نهاية المطاف. ودعا والد جون للعيش معهما في البيت.

ومن جهتها شعرت الفتاة الشابة بفرحٍ غامر لدى سماعها ما جرى في البيت بعد عودة جون، وكيف أنه استطاع أن يُثبت صدقه وأمانته. وشعرَت بالأسف الشديد للدَّور الذي قامت به في حملِه على التخلِّي عن جواد سيده. وسرعان ما غفر الشابُّ جون للفتاة الشابة ما فعلته، ولم يمضِ وقتٌ طويل حتى تزوَّجا.

وبعد مرور فترةٍ من الوقت، ونظرًا لكون لورد مدينة أوسترجارد لم يُرزَق بأبناء، فقد أعلن أن جون سيكون الوريثَ الشرعيَّ لكامل ضيعته. وهكذا عاش جون وزوجته، الوفيَّان دائمًا كلٌّ منهما للآخر، في سعادة دائمة.

الشتاء الطويل

قبل ظهور الإنسان، وحين كانت الأرض كلُّها مِلكًا للحيوانات، جاء فصل شتاءٍ طويل، ولم تُشرِق الشمس لمدة ثلاث سنوات. وكان الهواء دائمًا مُسودًّا، والغيومُ الكثيفة تُغطي السماء وتقترب من الأرض. وكان الثلج يتساقط طوال الوقت. وعانت الحيوانات بشدةٍ في هذا الشتاء الطويل، كما كانت نُدرة الطعام وانعدام الدفء مثارَ قلقٍ شديدٍ لهذه الحيوانات؛ الأمر الذي جعل ظروفَ الحياة لا تُطاق بالفعل. وأُصيب الجميع بفزعٍ شديد.

دعت الحيواناتُ لعقد مؤتمر جامعٍ للنظر في هذا الوضع، ووُجِّهَت الدعوات لجميع الحيوانات والطيور والأسماك من جميع الأشكال والأحجام. وعند انعقاد المؤتمر وبينما كان المَدعوُّون يتبادلون النظرات، لاحظوا غياب حيوانٍ واحد فقط في عالَمهم الكبير، وهو الدُّب، ثم سرعان ما أدركوا ألا أحد منهم قد التقى بأيٍّ من الدببة منذ ثلاث سنوات.

اتفق المجتمعون على الفور على أن أهم شيءٍ الآن هو معرفة سبب غياب الطاقة الحرارية؛ لأنه بدونها لن تنتهي معاناتهم أبدًا. نعم، كان يجب العثورُ على الطاقة الحرارية ليعود الدفء إلى عالَمهم! وقرَّروا أن يقوم فريق من الحيوانات الشجاعة والسريعة بمهمة بحثٍ عاجلة في العالَم العُلوي؛ فقد كانوا يعتقدون أن الطاقة الحرارية قابعة هناك. وهؤلاء هم الحيوانات الذين اختيروا لتنفيذ هذه المهمة: الوشَق، والثعلب، والذئب، والولفارين، والفأر، وسمكة الكراكي (وهي سمكة تعيش في المياه العذبة)، وكلب البحر (وهو سمكة قرش صغيرة؛ إن كلب البحر اسم مضحك لنوع من أسماك القرش، أليس كذلك؟) وبعد الكثير من السفر لمسافاتٍ طويلة في الهواء، اكتشف فريقُ البحث أخيرًا المدخلَ الخفيَّ المؤديَ إلى العالَم العُلوي. وهكذا دخله جميع أعضاء الفريق بحماسٍ شديد.

وبعد أن قام الفريق باستكشاف العالَم العلوي لبعض الوقت، شاهدوا بُحيرة، ووجدوا هناك خَيْمةً ونارًا. وكان يُوجَد بجانب الخيمة دبَّان صغيران. سألوهما عن مكان وجود أُمِّهما، فقالا إنها ذهبت للصيد. وعندما دخلوا الخيمة وجدوا عددًا من الأكياس الكبيرة المُستديرة مُعلَّقة في الداخل، وأشار أعضاء فريق البحث نحو أول هذه الأكياس وقالوا: «ماذا يُوجَد في داخل هذا الكيس؟»

ردَّا قائلَين: «هنا في هذا الكيس تحتفظ أمُّنا بالمطر.»

وسألت الحيوانات ثانيةً وهي تُشير إلى الكيس الثاني: «وماذا يُوجَد في هذا الكيس؟»

أجاب الدبَّان الصغيران: «هنا في هذا الكيس تحتفظ أمنا بالريح.»

«وهذا الكيس؟»

«هنا في هذا الكيس تحتفظ والدتُنا بالضباب.»

قالت الحيوانات: «وماذا يُمكن أن يُوجَد في هذا الكيس أيضًا؟»

قال الدبان الصغيران: «أوه، لا نستطيع أن نُخبركم بهذا؛ فهو سرٌّ كبير حذَّرَتنا أمُّنا من البَوح به لأي أحد، وإذا ما أخبرناكم بذلك فسوف تغضب منَّا كثيرًا عندما تعود، وتلطمنا على وجهنا.»

قال الثعلب: «أوه، لا تخافا؛ تستطيعان أن تقولا لنا ما في داخل هذا الكيس، ولن تعرف هي أبدًا أنكما فعلتما هذا.»

قال الدبان الصغيران بصوتٍ هامس: «هنا في هذا الكيس تحتفظ أمُّنا بالطاقة الحرارية.»

تنفَّس الزائرون الصُّعداء عند سماعهم لذلك، ونظر بعضهم إلى بعض، وغادروا وهم يُودِّعون الدبَّين الصغيرَين. وما إن خرجوا من الخيمة، حتى توجَّهوا بسرعة إلى مكانٍ مخفي وعقدوا اجتماعًا سريعًا. وقرَّروا على إثره التحرُّك بسرعة، خاصة أن الدبَّة الأمَّ يُمكن أن تعود إلى الخيمة في أي وقت. ونفذوا قرارهم، ووجدوا مكانًا آمنًا بالقُرب من الخيمة يختبئون فيه. وكانت الخطوة التالية تتَّصِف بصعوبةٍ أكبر؛ كيف يُمكن لهم الاستيلاءُ على الكيس الذي تحتفظ فيه الدبة الأم بالطاقة الحرارية؟

قال الثعلب: «يتعيَّن علينا بطريقةٍ أو بأخرى أن نُشتِّت انتباه الدبة الأم.»

وقال الوشَق: «عندي فكرة. سأُحوِّل نفسي إلى غزالٍ في الطرف الآخر من البحيرة.»

قال الولفيرين: «يا لها من فكرة رائعة! ستراك الدبَّة الأم عبر البحيرة وستُحاول اللَّحاقَ بك لتصطادك، وعليها في هذه الحالة أن تجدف بقاربها عبر البحيرة لتصِل إليك، وهذا سيُعطينا الوقتَ الكافيَ لنأخذ كيس الطاقة الحرارية.»

وقال الفأر: «وأنا عندي أيضًا فكرة أُخرى جيدة. سأقوم بعمل شقٍّ كبير في مجداف الدبة الأم بالقُرب من نهايته، وبذلك سيستغرق عبورها البحيرة وقتًا أطول.»

قال الباقون: «اتفقنا! لنُنفِّذْ هذا!»

وهكذا ذهب الوشَق سريعًا إلى الجانب الآخر من البحيرة، وحوَّل نفسه على الفور إلى غزال، وأخذ يتجوَّل بالقُرب من حافة البحيرة لجذب انتباه الدبة الأم. وفي نفس الوقت تسلَّل الفأر إلى داخل قارب الدبة الأم وقام بقضم المجداف مُخلفًا شقًّا عميقًا في نهايته، في الوقت الذي كان فيه بقية أعضاء الفريق يختبئون في مكانهم الآمن قُرب الخيمة.

وعندما لمح أحد الدبَّين الصغيرين الغزال المزعوم في الطرف الآخر من البحيرة نادى على أمِّهِ وطلب منها النظر إلى الغزال في الطرف المقابل من البحيرة. وعلى الفور قفزت الدبة الأم إلى قاربها وبدأت تُجدف باتجاه الغزال، وأخذ الغزال يسير الهُوَينى على طول ضفة البحيرة، مُتظاهرًا بعدم رؤيته لقارب الدبة العجوز؛ بهدف أن يُغري الدبة العجوز للاقتراب منه. وقام بعد ذلك بالانعطاف بشكلٍ مفاجئ، والجري في الاتجاه المعاكس. قامت الدبة العجوز بالتجديف بكل قوتها لجعل القارب يسير بشكلٍ أسرع، ولكنَّ المجداف تحطم فجأةً في نفس المكان الذي صنع فيه الفأر شقًّا كبيرًا. ووجدت الدبة العجوز نفسها في مياه البحيرة بعد أن فقدَت توازنها بسبب وضعها لكامل ثقلها على المجداف. وكان أعضاء الفريق الآخرون يُراقبون ما يجري من الطرف الآخر للبحيرة، وحالما رأَوا الدبة الأم تتخبَّط في مياه البحيرة، انطلقوا بأقصى سرعةٍ نحو الخيمة وقاموا بإنزال الكيس الذي يحتوي على الطاقة الحرارية. وحملوه بالتناوب نحو الفتحة المؤدية إلى العالَم الأرضي من حيث أتوا.

لقد عملوا كلَّ جهدهم للإسراع في العودة نحو الفتحة الهوائية، لكن الكيس كان كبيرًا جدًّا ولم يتمكن أي واحدٍ من أعضاء الفريق من الاستمرار طويلًا بسحبه نحوَ الفتحة الهوائية. وهكذا كان كلما شعر أحدهم بالتعَب كان الثاني يأتي مُسرعًا ليحلَّ مكانه في سحب الكيس، وبذلك تمكنوا أخيرًا من التعجيل في العودة بأسرع ما يستطيعون؛ وذلك لأنهم كانوا يعلمون بأن الدبة الأم سرعان ما ستصِل إلى ضفة البحيرة وتعود إلى الخيمة، وتكتشف وقتها عدم وجود كيس الطاقة الحرارية. وستُصبح عندئذٍ غاضبةً جدًّا، وتقوم باقتفاء آثار أقدامهم للَّحاق بهم واستعادة الكيس. وهذا ما حصل بالفعل، وسرعان ما اكتشفوا أن الدبة الأم قد شرعت في مطاردتهم، وكادت أن تُمسك بهم وهم يتلمَّسون طريقهم نحو بداية الفتحة الهوائية ويستعدون للدخول فيها إلى العالَم الأرضي. في ذلك الوقت أصبح جميع أعضاء الفريق الأقوياء مُنهَكين من شدة التعَب حتى أصبحوا بالكاد

يستطيعون الحركة، لكن كلب البحر (سمكة القرش الصغيرة) أخذت تعمل بمُفردها على سحْب الكيس قبل أن تُساعدها في ذلك سمكة الكراكي (تلك السمكة التي تعيش في المياه العذبة).

وفي هذه الأثناء اندفعت الدبة الأم نحوَهم بقوةٍ كبيرة. وعمل جميع أعضاء الفريق بيدٍ واحدة على دفع الكيس حتى بدأ ينزلق عبر الفتحة الهوائية نحو العالَم الأرضي، وقاموا بعدها تِباعًا بالقفز وراءه حتى وصلوا بسلامٍ في الوقت المناسب. وما إن وصل الكيس إلى العالم الأرضي، حتى تمزَّق وخرجت منه كل الطاقة الحرارية المحبوسة فيه، وعمَّ الدفء على الفور في جميع أنحاء العالم؛ مما أدى إلى إذابة الجليد والثلوج التي شكَّلَت سيولًا جارفةً وفيضاناتٍ كبيرةً طيلة أسابيعَ عديدة تراجعَ بعدها منسوبُ ارتفاع وسرعة المياه. وهكذا أينعَت وأزهرت جميع الأشجار والشجيرات والزهور التي كانت تُغطِّيها الثلوج لسنواتٍ عديدة مُجددًا، وجاء مِن بعدها الربيعُ من جديد. ومنذ ذلك الوقت وحتى يومِنا هذا، انتظم تعاقُب الفصول بشكلٍ دائم كما نراه في يومِنا هذا، بحيث يأتي فصلٌ دافئ بعد آخرَ بارد.

المرآة السحرية

أُعلِنَ في مملكة جرنادا أن الملك قد قرَّر الزواج. وصل هذا الخبرُ إلى حلَّاق القصر أولًا، ثم إلى الحرَّاس الليليِّين، ومِن بعده إلى النساء العجائز في المدينة.

ذكَر الحلاقُ الخبرَ أمام كل زبائنه، الذين قاموا بدَورهم بنقله إلى كلِّ أصدقائهم. وبالليل، أعلَن الحراس الليليُّون أيضًا هذا الخبر بصوتٍ مرتفع في ساحات المدينة؛ مما أبعد النومَ عن أعيُن جميع الفتيات. وفي النهار، كانت العجائزُ تُذكِّر الفتيات باستمرارٍ بقرار الملك بالزواج.

وكان السؤالُ الذي يطرح نفسه بقوةٍ هو: «كيف سيختار الملكُ زوجته؟» أجاب الحلَّاق على ذلك بالقول: «أخشى أن أُواجه الكثير من المتاعب لكي أجدَ فتاةً تكون جديرةً بالزواج من الملك.»

قال الجميع في استغرابٍ شديد: «ماذا؟! وما شأنُك أنت بإيجاد زوجة للملك؟»

قال: «أنا الرجل الوحيد المسموحُ له بالاتصال بأفراد العائلة الملَكية. كما أنَّ لديَّ مِرآةً سحرية عندما تقف أمامها أيُّ فتاةٍ وتنظر فيها وكانت قد ارتكبَت أخطاء في الماضي، فستظهر على سطح المرآة اللامعِ نقاطٌ سوداءُ بعدد هذه الأخطاء.»

سأل الجميع بصوتٍ واحد: «وهل هذا هو أحدُ الشروط المطلوبة؟»

أجاب الحلَّاق وهو يضع إبهامَيه في فتحتَي الذراعَين في صدريته، ويبدو بمظهر الرجل الحكيم والعارف ببواطن الأمور: «إنه الشرط الوحيد.»

سألوه: «هل هناك حدٌّ مُعين للعمر؟»

أجاب صاحبُ المرآة السحرية: «أي امرأة تبلغ من العمر ١٨ سنةً فما فوق، تُعتبَر مؤهلةً للزواج من الملك.»

استغرب الجميع ذلك وقالوا: «إذن في هذه الحالة سيكون من حقِّ أي فتاةٍ في جرنادا أن تُطالب بأن تُصبح الملكة.»

ردَّ الحلاق: «نعم، ولكن يتعيَّن عليها في هذه الحالة تقديمُ ما يُؤهلها لذلك؛ فعليها أن تقف أمام المرآة السحرية وتنظر فيها، بينما أكون واقفًا بجانبها.»

وهكذا تمَّ الكشفُ عن الشرط الوحيد المفروضِ على أي فتاة تطمح لأنْ تُصبح ملكة جرنادا. ضحك الكثيرون لسماع ذلك، وهذا أمرٌ من الطبيعي أن يحدُث في مثل هذه الحالة، ولكن الغريب في الأمر كان عدمَ ذَهاب أي فتاةٍ إلى الحلاق لتقوم بالنظر في المرآة السحرية.

مرَّت الأيام والأسابيع، ولم يكن الملكُ قريبًا خلالها من تحقيق هدفه في الحصول على الزوجة المناسبة. حاولت بعضُ السيدات إقناع صديقاتهن الشابات بالذَّهاب إلى الحلَّاق والنظر في مرآته السحرية، لكن لم تُبدِ أيُّ واحدةٍ منهن الرغبةَ أو الاستعدادَ لاتخاذ هذه الخطوة.

يجب أن تعلموا أن الملك كان وسيمًا جدًّا، ومحبوبًا من قِبَل كل رعاياه بسبب الخصال الحميدة العديدة التي يتحلَّى بها. ولذلك كان عدمُ محاولة أيٍّ من الفتيات الجميلات اللواتي يحضرن إلى البلاط الملكي بأن تُصبح زوجةً للملك أمرًا يبدو على درجةٍ كبيرة من الغرابة.

وتمَّ تقديم العديد من الأعذار والتفسيرات لهذا. بعض الفتيات قُلنَ بأنهن مخطوباتٌ بالفعل وعلى وشك الزواج. ورأى البعض الآخر أن دخول مكانٍ مثل دكان الحلاق لا يُناسب مكانتهنَّ الاجتماعية. وأكدت أُخرَيات لصديقاتهن أنهنَّ قرَّرن أن عدم الزواج هو الخيار الأفضل بالنسبة إليهن.

وسرعان ما أصبح مِن المُلاحَظ أيضًا عدمُ إقدام الرجال على الزواج؛ لأنهم وجدوا أنه من غير اللائقِ التفكيرُ بذلك والملكُ نفسُه لم يتمكن من الزواج بعدُ، وهذا على الرغم من أن المشكلة الحقيقية كانت في عدم رغبة الفتيات بالنظر في المرآة السحرية.

وشعَر الآباءُ بغضبٍ شديد من بناتهم؛ لأنهم لم يلمسوا لديهنَّ وجودَ أي طموحٍ واضح في أن تُصبح واحدةٌ منهنَّ ملكةَ البلاد، في حين التزمَت الأمهاتُ الصمتَ بشكلٍ غريب ومُريب حيالَ هذا الأمر.

وفي صباح كل يومٍ كان الملكُ يسأل الحلاق عما إذا جاءت أيُّ فتاة للنظر في المرآة السحرية، وكان جوابُ الحلاق دائمًا هو نفس الجواب؛ أن الكثيراتِ منهنَّ قد جئنَ بالفعل ونظَرنَ إلى داخل الدكان من الخارج ليعرفن إذا ما كانت إحدى الفتيات قد أتَت قبلَهن، ولكن لم تُغامر أيُّ واحدةٍ منهنَّ بالدخول.

صاح الملك في حنق: «أوه يا جرنادا! أليست هناك فتاةٌ في هذه المملكة ترغب في أن تَعرض نفسَها لتكون عروسَ الملك؟ الملوكُ في البلدان الأخرى، كما أعلم، لا يُواجهون أيَّ مشكلةٍ في الزواج. لماذا أُواجهها أنا؟»

ثم قال بنبرةٍ صارمة: «أيها الحلاق! أُريدك أن تختار لي فتاةً تكون مُشرِقةً كوجه النهار، ونقيةً كقطرات النَّدى، ونفيسة كالذهب؛ فتاةً لا تخشى الوقوفَ أمام مرآتك السحرية والنظر فيها.»

ردَّ الحلاق: «جلالة الملك، هناك احتمال واحد؛ قد تكون لدى راعيةِ الغنم على سفح الجبل القدرةُ على تحدِّي القوة السحرية للمرآة، ولكن هل يُمكن لجلالتكم أن تتزوَّجوا فتاةً من عامة الناس كهذه؟»

ردَّ الملك: «اعرض عليها أن تأتي، ودَعها تقف أمام المرآة السحرية وتنظر فيها في حضور حاشيتي في البلاط، وذلك بعد أن تكون قد حذَّرتَها أنت من مَخاطر القيام بذلك.»

بعد وقت قصير، جاءت راعيةُ الغنم إلى البلاط، وجرى بعد ذلك الإعلانُ في أرجاء المدينة أنه ستجري عمَّا قريب أُولى محاولات اختيار زوجةٍ للملك، وامتلأَت القاعة الملَكية بكِبار سيدات المجتمع وجميعِ فرسان الأسرة الملكية.

وعندما دخلَت راعيةُ الغنم القاعةَ الملكية شعَرَت بالخجل الشديد بعد أن وجدَت نفسها مُحاطةً بهذا الجمع الكبير. كان مظهرها يَسُرُّ العين، وكان الملك سعيدًا بذلك، فأحسن استقبالَها وأخبرها أنه إذا كانت ترغب في أن تكون زوجةً له فعليها أن تقف أمام المرآة السحرية وتنظرَ فيها. وستكشف هذه المرآةُ على الفور إذا كانت قد قامت بأي أخطاءٍ في الماضي لا تنسجمُ مع الصفات الحميدة التي يجب أن تتحلَّى بها كلُّ فتاة، وذلك عن طريق تشكُّل نقاطٍ سوداء على سطحِ المرآة بعدد الأخطاء في ماضيها إن وُجِدت.

ردَّت الفتاة: «سيدي، كل واحدٍ منَّا يرتكب أخطاءً وأنا منهم. لقد ارتكبتُ بالفعل أخطاءً فيما يتعلق بقطيع الغنم الذي أرعاه في سَفح الجبل، ولكني أعتقد أن القطيع سيغفر لي ذلك ما دام يطلُب منِّي في كلِّ يوم أن أهتمَّ به وأن أرعاه، وإذا ما شعَروا بالخطر فإنهم يأتون إليَّ طلبًا للحماية. لقد أحببتُ القطيع وأبذل كلَّ جهدي في رعايته. في الواقع لا يُوجَد لديَّ طموحٌ في أن أُصبح ملكة، ولكني لستُ خائفةً من الوقوف أمام المرآة السحرية والنظرِ فيها.»

وبعد أن قالت هذا، تقدَّمَت بكل هدوءٍ وثقة نحوَ المرآة السحرية ونظرَت فيها، وشعرت على الفور بشيءٍ من الخجل؛ ربما بسبب رؤيتها انعكاسَ صورتها على سطح المرآة.

وقامت سيدات المجتمع بالوقوف حولها. وعندما رأين عدمَ وجود نقاطٍ سوداء على سطح المرآة السحرية قُمنَ بخطف المرآة من يد الراعية وبتمريرها فيما بينهن. وقُلنَ لبعضهن البعض في استغرابٍ شديد: «انظرن! ليس هناك سحرٌ في هذه المرآة. إنها مجرد خدعة مُورِسَت علينا جميعًا!»

لكن الملك قال: «لا يا أيتها السيدات، عليكنَّ أن تَلُمْنَ أنفسَكن فقط؛ لأنكن لو كنتنَّ واثقاتٍ من أنفسِكن مثل هذه الراعية التي ستُصبح زوجتي، ما كنتنَّ خفتنَّ جميعًا من النظر في المرآة.»

بوتس وأخَواه

كان يا ما كان في قديم الزمان؛ أبٌ فقير يعيش مع أولاده الثلاثة، بيتر وبول وبوتس. كانوا فقراءَ لدرجة العُدم.

وفي أحد الأيام، قرَّر الأبُ ماذا ينبغي عليه فعلُه. وطلب من أولاده الثلاثة الاقتراب منه.

وقال لهم: «لم يبقَ إلا القليل جدًّا من الطعام في البيت. وعمَّا قريب لن يبقى منه أيُّ شيءٍ على الإطلاق.» وأخبرهم أنه لم يَعُد من مصلحتِهم البقاءُ في المنزل. وأضاف: «هناك شيءٌ واحد يجب عمله. يا أبنائي، لقد حان الوقت لأن تنطلقوا لكسْبِ الرزق بأنفسكم.»

كان الأولاد يعيشون في أرضٍ يحكمها ملكٌ يعيش في قصرٍ يقع على قمة تلٍّ عالٍ للغاية. اعتاد الملك أن يقف أمام نافذة غرفة نومه في بعض الأوقات وينظر فيما يحدُث في الأرض التي يحكمها. ولكن نمَت شجرة بلوط عظيمة بسرعة كبيرة حتى غطَّت كاملَ نافذة غرفة نومه. كانت هذه الشجرة عريضة جدًّا لدرجةٍ مُنعَت معها أشعة الشمس من دخول الغرفة. ولم يكن الملك سعيدًا بذلك على الإطلاق!

أعلن الملك بأنه سيُقدِّم مكافأةً مُجزية لمن يستطيع أن يقطع هذه الشجرة. ولكن لم يتمكن أحدٌ من القيام بذلك؛ لأنه كلما قام أحدهم بقطع جزءٍ من جذعها نما عوضًا عنه مباشرةً اثنان آخَران.

هناك أيضًا شيء آخر يتعيَّن قوله في هذا السياق. كان التلُّ الذي يقع عليه قصرُ الملك وعرًا ومُشكَّلًا من صخورٍ صُلبة. وعليه لم يكن من الممكن حفرُ أيِّ بئر عليه. وهكذا لم يكن هناك مصدرٌ لتزويد قصر الملك بالمياه العذبة. ولم يستطع الملكُ أن يتقبل وجود مياه آبار عذبة ونظيفة عند كل أفرادِ رعيته يشربون منها إلا هو، وهو الملك.

ولذلك أعلن ونشر على الملأ أيضًا أن مَن يستطيع أن يقطع شجرة البلوط ويحفر بئرًا للمياه العذبة في ساحة القصر فسوف يحصُل على مكافأةٍ مُجزية وهي نصفُ أرض المملكة.

يُمكنكم أن تتخيَّلوا أعزائي الأطفال أن كثيرين جاءوا وجرَّبوا حظوظهم، ولكن ذهبت كلُّ محاولات قطع الشجرة، وأعمال الحفر سُدًى. وأصبحت شجرة البلوط تزداد طولًا وعرضًا بعد كل محاولة لقطعها، كما أن صخور التل المُقام عليه القصر لم تتأثَّر بأعمال الحفر على الإطلاق.

وعندما سمع بيتر وبول وبوتس بإعلان الملك، قفَزوا من شدة الفرح. وعزموا على أن يُحاولوا كما حاول الآخرون. وشعر الأب بالسعادة لسماعه ذلك لأنه حتى لو لم يحصُل أولاده على المكافأة المُعلَنة وهي نصف أرض المملكة، فقد يلتقون بالصدفة في الطريق إلى هناك بمن يُوفِّر لهم فرصةً للعمل. وفي حال كان هذا صاحبَ عملٍ جيد فقد يستطيعون أن يعيشوا حياةً كريمة أكثر مما يُوفِّرها لهم الآن. وهكذا قام الأبُ بوداع أولاده مُتمنيًا لهم النجاح في سعيهم. ثم انطلق الإخوة الثلاثة يَحْدوهم الأملُ في مستقبل أفضل.

لم يبتعد الإخوة الثلاثة كثيرًا في رحلتهم حتى وصلوا إلى غابةٍ كثيفة من أشجار التنوب. وكان يُوجَد على أحد جوانبها تلٌّ شديد الانحدار. وبينما كانوا سائرين، سمعوا صوتًا يُشبه صوت تقطيع الحطب على الجهة المقابلة للتل.

قال بوتس متسائلًا: «ما هذا الصوت الذي يصدُر عن التل ويُشبه صوت تقطيع الحطب يا تُرى؟»

قال بيتر وبول: «منذ متى كان الحطابون يعملون على سفوح التلال؟»

أجاب بوتس قائلًا: «ولكن هذا الصوت يختلف عن الأصوات المعتادة للحطَّابين. أريد أن أعرف ماهيَّةَ هذا الصوت.»

قال أخَواه وهما يضحكان: «يبدو أنك تعتقد نفسك ذكيًّا أكثر منَّا!»

أجاب بوتس: «لا. ولكن كالمعتاد أريد أن أعرف حقيقة هذا الصوت.»

صعد بوتس إلى أعلى التل وتوجَّه نحو مصدر الصوت. هل يُمكنكم أعزائي الأطفال أن تُخمِّنوا ماذا رأى عندما وصل إلى هناك؟ لقد كانت هناك فأسٌ تقوم وحدَها بتقطيع جذع شجرة تنوب.

قال بوتس: «نهاركِ سعيد. إنكِ تعملين بمُفردك هنا في تقطيع الحطب، أليس كذلك؟»

أجابت الفأس: «بلى. أنا هنا منذ زمنٍ سحيق، أُقطِّع جذوع الشجر ثم أحولها إلى قطع حطب منتظرةً قدومك.»

قال بوتس: «حسنًا. ها أنا هنا أخيرًا.» وقام بأخذ الفأس ودسَّها بعنايةٍ تحت حزامه الجلدي. ثم سارع في العودة للَّحاق بأخوَيه.

وبعد ذلك سار الثلاثة لبعض المسافة. وسرعان ما وجدوا أنفسهم يسيرون أسفل تلٍّ صخري شديد الانحدار. وسرعان ما سمعوا صوتًا فوق الصخور يُشبه صوت الحفر.

قال بوتس متسائلًا: «ما هذا الصوت الذي يصدُر عن أعلى التل الصخري، ويُشبه صوت الحفر في الصخر؟»

قال أخَواه وهما يضحكان ثانيةً: «ها أنت ذا مرة ثانية بتساؤلاتك الحمقاء! ألم تسمع من قبلُ صوت طائر نقَّار الخشب؟»

أجاب بوتس: «ولكن هذا الصوت الذي أسمعه مختلف. سأذهب بنفسي لأعرف حقيقة الأمر.»

وهكذا انطلق بوتس وبدأ يتسلَّق التل، بينما كان أخواه يضحكان ويسخران منه، ولكن بوتس لم يدَعْ ذلك يُؤثِّر على عزيمته.

صعد بوتس إلى أعلى التل. وعندما اقترب من قمَّته، ماذا تظنون أعزائي الأطفال أنه رأى؟ لقد كانت هناك مجرفة تقوم وحدَها بالحفر.

قال بوتس لها: «نهارك سعيد. إذن أنت تعملين هنا بمفردك في الحفر، أليس كذلك؟»

أجابت المجرفة: «بلى، هذا هو ما أفعله بالفعل، وهذا ما كنتُ أقوم به هنا منذ زمنٍ طويل في انتظار قدومك.»

ردَّ عليها بوتس: «حسنًا، ها أنا هنا أخيرًا.» وقام بأخْذ المجرفة وحملها بعناية فوق كتفه، ثم سارع في العودة للحاق بأخوَيه.

تابع الإخوة الثلاثة سيرهم حتى وصلوا إلى غَديرِ ماء. كان الثلاثة يشعرون بعطشٍ شديد بعد سيرهم الطويل؛ ولذا وقَفوا هناك ليشربوا ويرتاحوا قليلًا.

قال بوتس متسائلًا: «من أين تنبع كلُّ مياه الغدير هذه؟»

ردَّ أخواه بيتر وبول: «أنت تتساءل من أين تنبع هذه المياه؟ نحن نتساءل ما إذا كان قد ألمَّ بك مكروهٌ! من يهتمُّ بمعرفة من أين تنبع مياهُ الغدير هذه، وما هي أهمية معرفة ذلك؟»

أجاب بوتس: «كالمعتاد، أُحِب أن أعرف ذلك.»

وانطلق بمفرده يتتبَّع مسارَ جريان ماءِ الغَدير، ولاحظ أن حجم المياه المُتدفقة يتناقص رُويدًا رويدًا إلى أن وصل أخيرًا إلى مصدر المياه. هل يُمكنكم أعزائي الأطفال أن

تُخمِّنوا ماذا رأى عندما وصل إلى هناك؟ لقد رأى ثمرةَ جوزٍ كبيرة جدًّا يخرج من خلالها تيارُ ماء مُتدفِّق.

قال بوتس مرةً أخرى: «نهارك سعيد. إذن أنت ترقدين هنا بمفردِك ليتدفَّق الماء وحدَه بقوةٍ منك في الغدير؟»

أجابت ثمرة الجوز: «نعم، هذا ما أقوم به. وقد تَرَكتُ الماء ينبع بقوة مني طيلةَ أيامٍ كثيرة في انتظار قدومك.»

ردَّ بوتس: «ها أنا هنا.» وقام بوضع الطحالب في فتحة ثمرة الجوز لتمنع تدفُّق الماء منها. ودسَّ الثمرة في جيبه ليُسارع بعدَها في العودة للَّحاق بأخوَيه.

لكنَّ أخوَيه هذه المرة كانا قد سبَقاه في السير ووصلا المدينة التي كانت تعجُّ بالكثيرين من أمثالهم بعدما سمعوا بالمكافأة التي أعلن عنها الملك، ورأَوا في ذلك، في الوهلة الأولى، أمرًا يسيرًا، فجاءوا يُجربون حظوظهم، خاصة أن المكافأة كانت مُجزية بالفعل وتستحقُّ المحاولة. ولكن أصبح حجم وطول شجرة البلوط الآن مُضاعَفًا تقريبًا عما كان في السابق. كما لم تُحْدِث أعمالُ الحفر السابقة أيَّ تأثيرٍ على الإطلاق في التل الصخري الذي يقع عليه قصر الملك.

شعر الملك بالغضب الشديد، وقال: «لماذا يُضيعون وقتي؟» وأكَّد أن كل من يُحاول ويفشل في قطع شجرة البلوط سوف يُرَحَّل مُهَانًا على متن سفينةٍ إلى جزيرة نائية.

وفي الوقت الذي وصل فيه بوتس المدينة، كان أخواه، بعد أن جرَّبا حظَّهما وفشلا في تحقيق المطلوب، يجلسان على متن سفينةٍ وفي طريقهما إلى الجزيرة النائية.

صعد بوتس إلى قصر الملك وطلَبَ أن يُعطى فرصته مثل الآخرين لتلبية طلب الملك.

ردَّ الملك في سخرية: «ما الذي يحملك على الاعتقاد بأنَّ أداءك سيكون أفضلَ من أخَوَيك؟ ربما يكون من الأفضل ألا تُضيع وقتنا. اتجه الآن نحو السفينة مباشرةً!»

قال بوتس: «أرجو جلالة الملك أن تسمحوا لي بالمحاولة قبل ذلك.»

وهكذا وافق الملكُ على الطلب، خاصة أن الأمر لن يستغرق وقتًا طويلًا. أخرج بوتس الفأس من تحت حزامه الجلدي.

وقال للفأس: «هيا، اقطعي الشجرة!» وهكذا بدأت الفأسُ تعمل بكل طاقتها وبدأت قِطعُ الخشب الصغيرة تتطاير في الهواء. ولم يَمْضِ وقتٌ طويل حتى كانت شجرة البلوط بكامل طولها وعرضها تتمدَّد على الأرض والفأس تُواصل قَطْعها وتحويلها إلى حطب.

وبعد انتهاء هذا، تناول المجرفة من فوق ظهره.

وقال لها: «هيا، احفري!» وبدأت المجرفةُ في الحفر بسرعةٍ كبيرة لتبدأ شظايا الصخر تتطاير في الهواء. ولم يَمْضِ وقتٌ طويل حتى أكمَلَت المجرفة حفر بئرٍ بجانب القصر.

ثم سارع بوتس وأخرج ثمرةَ الجوز ووضَعها في داخل فوهة البئر بعد أن نزع عن فتحتِها الطحالب التي كان قد وضعها لمنع تدفُّقِ الماء منها.

وقال لها: «هيا، دَعي الماء يتدفَّقُ الآن.» وهكذا بدأ الماء يتدفق بشدةٍ من الجوزة. وفي وقتٍ قصير، أخذ الماءُ الصافي والبارد يندفع لأعلى مثل النافورة. وهكذا تمكَّن الملك من الحصول على كل المياه التي كان يحلم بها ويحتاجها في قصره.

إن بوتس هو الذي تمكَّن من قَطْع شجرة البلوط التي حجَبَت عن غرفة نوم الملك ضوءَ الشمس، وكان هو أيضًا الذي فجَّر الماء من الصخر في ساحة القصر. وهكذا كان بوتس هو مَن حصل في النهاية على المكافأة المُعلَنة وهي نصف أرض المملكة، كما وعد الملك.

ارتسمَتْ على وجه الملك على الفور ابتسامةٌ عريضة. وقال بوتس له: «جلالة الملك، هل تعلمون أن كلَّ من جاء قبلي كان هدفهم خدمة جلالتكم قبل كلِّ شيء. فهل لكم أن تسمحوا بعودتهم من الجزيرة النائية؟»

وافق الملك؛ فقد كان سعيدًا بعودة ضوء الشمس إلى غُرفة النوم خاصته، وبتفجُّر الماء العذب في ساحة القصر. وهكذا عاد بول وبيتر للديار.

ومع مرور الوقت بعد انتهاء رحلتهم، كان بول وبيتر يتساءلان في بعض الأحيان ما إذا كان حالهما سيُصبح أفضل لو ظلَّا في الجزيرة البعيدة؛ ذلك لأنهما لن يَسمعا هناك من يقول لهما طيلةَ اليوم: «كان بوتس ذكيًّا بالفعل في تساؤلاته حول ما صادَفَه من أمور، وفي ذَهابه للبحث عن أجوبة لها.»

العريس الإمبراطوري

انتهت مراسم الزفاف الإمبراطوريِّ ووجدَت الأميرة نفسَها أخيرًا بمفردها مع عريسها. كان خِمارها الحريري الأحمر سميكًا جدًّا، لدرجة أنها لم تستطع من خلاله أن تتبيَّن بوضوحٍ معالم وجه عريسها، أو أيٍّ من وجوه الضيوف في هذه المناسبة. الآن بالكاد تستطيع أن تتبيَّن معالم وجه عريسها، وكل ما كانت تراه هو خيال زوجها وهو يذرع الغرفة جَيئةً وذَهابًا بالقُرب من النافذة. فهل كان وسيمًا حقًّا كما كان شقيقاتها وأخوها، الإمبراطور، يقولون لها؟

تقضي التقاليدُ في هذه المناسبة أن يقوم العريس برفع خِمار العروس الآن، وأن يُقدِّم لها نخبًا بهذه المناسبة. ومع ذلك فقد بقِيَ يتمشى أمام النافذة. فتنحنحت برفقٍ لِتَلفت انتباهَه. التفت نحوَها وتنهَّد. وبعد ذلك رأت خيال زوجها يقترِب منها ويرفع خِمارها بلُطف. كان العريس وسيمًا بالفعل. ابتسمَت وأرسلت بصرَها نحو قدحَي النبيذ أمامهما. وقالت له: «هل سنشرب نخبًا؟»

قال لها: «نعم، ولكن ليس قبل أن أرويَ لكِ قصة.»

ردَّت وقد خيَّم العبوسُ قليلًا على وجهها: «ماذا تقصد بذلك؟» لقد كانت التقاليد في هذه المناسبة أن يتناولا معًا أول نخبٍ لهما؛ تفاؤلًا بمستقبل سعيد.

«سأروي قصةً أولًا، هل لديكِ مشكلة في ذلك؟»

«حسنًا، تفضَّل.» وشعرَت بالقلق وقالت في نفسها: هل ما يقوم به زوجُها الآن دلالةٌ على أنه سيكون مختلفًا عن الآخرين طيلةَ حياتهما الزوجية؟

بدأ العريس في رواية القصة، فقال: «كان يا ما كان موظفٌ كبيرٌ أراد، أكثرَ من أي شيءٍ آخر، أن يُرزَق بولد، وحذَّر زوجته من أنها إذا ما أنجبت بنتًا عوضًا عن ذلك، فعليها أن تقوم بالانتحار. ويُمكن للمرء بسهولةٍ أن يتصوَّر مقدار القلق والاضطراب الذي

كانت تشعر به الزوجةُ عندما أصبحَت حاملًا؛ إذ إنها كانت لا تعرف ما إذا كان هذا الحمل سيكون مدخلًا لسعادتها المُستقبلية أم لموتها بشكلٍ فوري. ووصل مقدارُ قلقها واضطرابها ذروتَه عندما وضعت في نهاية حملها بنتًا. ولم يكن أمامها من خيارٍ سوى الكتابة لزوجها في العاصمة لتُخبره بوضعِها ولدًا. وقامت بانتقاء ملابسَ خاصةٍ بالأولاد وألبسَتْها لابنتها، وأصرَّت دائمًا أن تكون هي الوحيدة التي تقوم على تحميمها. وعندما كبر الطفل أظهر قدراتٍ استثنائيةً في المدرسة وفي مهارات الإدارة.

وعندما بلغ الثامنة عشرة من العمر، وطلب منه والدُه الحضور إلى العاصمة ليُشارك في الامتحانات الإمبراطورية، تفوَّق فيها على جميع المشاركين الآخَرين. ووجدَت الأم نفسها مُضطرةً إلى إيجاد الأعذار لرفض العروض المقدَّمة إليها من الخاطبين بالنيابة عن بناتهم للزواج من ابنها. ومع مرور الزمن أصبح الشابُّ مشهورًا في العاصمة بشكلٍ كبير؛ لِما يُحقِّقه من إنجازات، وانهالت عروض الزواج على والدته من كبار المسئولين بالنيابة عن بناتهم، وكان رفضُ هذه العروض بلباقةٍ أكثرَ صعوبةً بسبب المكانة الاجتماعية لأصحابها. وأخيرًا، أصدر الإمبراطور قرارًا يقضي بزواج ابنته من هذا الشابِّ الواعد. وكان من الصعوبة رفضُ الأمر الإمبراطوري. وهكذا جرَت مراسم الزفاف الذي شكَّل حدثًا كبيرًا في العاصمة. الآن يا عزيزتي قولي لي إذا كنتِ في مكان الأميرة، ماذا كنتِ ستفعلين في حال اعترف لك زوجُك بأنه في الواقع ليس إلا امرأة؟»

ردَّت وقد استعذبَت قصة زوجها: «حسنًا، دعْني أرد على سؤالك. من المؤكد أنه ليس خطأ الزوج أنها — أعتقد أنه يتعين عليَّ هنا أن أقول «أنها» — جرَت تربيتها كولدٍ لينتهيَ بها الأمر بالزواج من أميرة. إن أيَّ أميرةٍ أحسنَ أهلُها تربيتها سوف تغفر لها ذلك.»

«وهل تَعِدينني كأميرةٍ أن يكون هذا بالضبط ما ستفعلينه إذا واجهتِ الموقفَ نفسَه؟»

«دون أدنى شكٍّ! لقد كانت قصةً شيقة بالفعل، الآن هل لنا أن نبدأ في تناول نخب الزفاف؟»

«أيتها الأميرة، انظري إليَّ. إنني هذه الابنةُ التي حدَّثْتُك عنها. أنا امرأة مثلك.»

قالت: «ماذا؟» ووقفَت في دهشةٍ شديدة، وأضافت: «أنت تمزح بلا شك!»

ردَّ العريس بكل وقارٍ وجدِّية: «كم كنتُ أتمنَّى ذلك. أنا ...»

«وكيف تجرؤ على ذلك؟ كيف تجرؤ على إهانتي بهذه الطريقة؟»

«ولكنك قلتِ لي بأنكِ ستُسامحينني!»

«لم أقُل أبدًا مثل ذلك! كانت هذه قصةً خيالية! ونحن هنا نعيش حياة واقعية!» وانتصبَتْ واقفةً وهي تشدُّ من قامتها وقالت وهي تُلوِّح بإصبعها مُهدِّدةً: «أنت بالطبع

تُدرك جيدًا أنَّ انتحال شخصية رجلٍ في البلاط الإمبراطوري تُعتبر جريمةً عقوبتها الموت! سأعمل على تطبيق هذه العقوبة بحقك؛ لقيامك بمثل هذا الجُرم.»

«لقد أعطيتِني وعدًا كأميرة.»

توقفَت فجأةً عن الحديث، وقالت: «حسنًا كان ذلك ... أقصد ...»

ثم رفعَت يدَيها عاليًا في الهواء، وأطلقَت ضحكةً قصيرة. وقالت وهي تتنهَّد: «يا إلهي، لماذا يحدُث هذا معي أنا؟ الجميع قالوا بأن ليلة زفافي هذه ستكون ليلةً سيذكرها الجميع. ولكن هذا الذي يحدث الآن قد أفسد عليَّ كلَّ شيء.» ولكن بعد لحظةٍ أخذَت تلهث بقوةٍ وهي تقول: «أوه، لا!»

«ما الأمر؟»

«من المؤكد أن أخي الإمبراطور لن يتفهَّم ذلك بعد حفل الزفاف الكبير الذي أقامه لي اليوم. كما أنه يتعيَّن علينا أن نستقبل وفود المُهنِّئين في البلاط الإمبراطوري في صباح يوم الغد.»

«أعلم ذلك. ولكن ماذا سنفعل الآن؟»

«هناك طريقةٌ وحيدة للخروج من هذه المشكلة. ربما أستطيع إذا رويتُ له الحكاية نفسَها كما رويتِها لي أن أحمله على الموافقة على تقديم الصفح والغفران لمن يُمكن أن يكون في مكانك، وبالتالي سيتعيَّن عليه أن يغفر لك.»

«نعم، أيتها الأميرة، شكرًا لك.»

وفي صباح اليوم التالي، قام العروسان بالجلوس في القاعة الإمبراطورية لاستقبال وفود المُهنئين، وقام الإمبراطور بتقديمهما للمُهنِّئين كعروسَين جديدَين بكل اعتزازٍ وفخر.

وقالت الأميرة: «لو سمحتم لي يا جلالة الإمبراطور.»

قال شقيقها الإمبراطور: «ما الأمر يا عزيزتي؟»

«لقد سمعتُ مؤخرًا قصةً مُسلِّية، فهل يُمكن لي أن أرويَها لكم؟»

أجاب الإمبراطور: «ولِمَ لا؟» كان يعتقد أن شدة فرحها بزواجها قد أطلقت روح الدعابة في داخلها، ورأى أن يترك العروس تتسلَّى برواية الحكاية.

وهكذا روَت الأميرة القصة. وقالت في نهايتها: «وإذا كنتَ والِدَ هذه الأميرة، فماذا كنتَ ستفعل؟»

توجَّهَت الأنظار كلُّها نحو الإمبراطور الذي أخذ يقول بصوتٍ قوي ولهجةٍ آمرة: «إن الحاكم الذي جرى إعدادُه ليكون قائدًا كبيرًا، مثلي أنا، يعرف كيف يُبدي الرحمة والغفران

لمن جرى اتهامُه بجريمة ليست في الواقع من صُنع يده. إن تطبيق العدالة كما يجب هو الذي يُميز كبار القادة عن القادة الآخرين العاديِّين. وفي قصتك يا أختي العزيزة، وكما رويتِها لنا، يجب أن يُصبح الزوج في حِلٍّ من الزواج، وأن يتم العفوُ عنه، وتبَنِّيه من قبل الإمبراطور كأختٍ إمبراطورية.»

قالت الأميرة: «أخي الرحيم والعادل، إذن اعفُ عن زوجي، لأنه — أو لأنها — هي بطلة القصة. كيف يُمكِن لأي أحدٍ منا أن يعرف بأنه قد جرى تربيتها كولد؟»

شَهق كلُّ مَن في البلاط الإمبراطوري من هول المفاجأة. وفقدَت بعضُ الوصيفات الوعي. وأصبح وجهُ الإمبراطور مُحتقنًا من هول المفاجأة أيضًا، وقال وهو يُلوِّح بالصولجان في يده: «لن أسمح لأحدٍ بأن يخدَعَني في بلاطي. كيف يُمكن لهذا أن يَجرؤ على إهانة العائلة الإمبراطورية!» وبينما كان حرَّاس القصر يضعون القيد في يدَي «الزوج» المنحوس، وبدَءوا يسوقونها إلى خارج القاعة، قالت الأميرة بصوتٍ مرتفع: «ولكن يا أخي العزيز، نحن جميعًا نتطلَّع لأن تكون ذلك الحاكمَ العادل المُستنير الذي حدثتَنا عنه منذ قليل.»

قال في تبجُّح وغرور: «لا علاقة للقصة بهذا الأمر.» ولكنه ما إن رأى ملامح القلق والجزَع تظهر على وجه أُخته الوفية وزوجها التعيس، بالإضافة إلى نظرات الصدمة البادية على وجوه الحاضرين في القاعة، حتى غيَّر من لهجته وقال: «أنا ... أنا كنتُ أريد فقط أن أُظهِر لكِ ... أقصد لكِ وللبلاط ... كيف يُمكن للحاكم غير المُستنير أن يتصرَّف في مثل هذه الحالات. أنا لا أعتزم في الواقع إعدامَ زوجك؛ أقصد هذه الفتاة البريئة. في الواقع أرغب بشدة بأن أصفح عن هذه المُخالفة.» صفَّق كل مَن في البلاط بقوة إعجابًا بما أظهره الإمبراطور من رحمةٍ وعدل تُثيران الإعجاب، وأخذ الإمبراطور يبتسم بفخرٍ في وجوههم.

وهكذا جرى إلغاءُ الزواج وتبنِّي الزوج السابق كأختٍ إمبراطورية. ولم يَمضِ وقتٌ طويل حتى عُقد قِران البنتَين على اثنَين من كبار المسئولين في حفل زفافٍ مزدوج، بكامل مظاهر الفخامة والأبهة الإمبراطورية.

كيف تطير الطائرات؟

أديتي ساراواجي

كانت سارلا تُحِب رؤية الطيور وهي تطير.

وفي أحد الأيام، وأثناءَ حصةِ العلوم، نظرَت من النافذة ورأت عُقابًا يُحلِّق في السماء. قالت في نفسها: لا شك أن هذا الطائر كان سعيدًا جدًّا بذلك! وكانت تُحب أيضًا رؤية الطائرات وهي تطير في السماء.

نظرَت مُعلمةُ الصف الجديدةُ إلى سارلا وقالت لها: «أنتِ، ما اسمُكِ؟ ألا ينبغي لك أن تنظري في السبورةِ التي أمامك؟»

وقفَت سارلا على عجلٍ وقالت: «أنا آسفة يا مُعلمتي، كنت أنظر إلى العُقاب. كم أتمنى أن نستطيع الطيران مثل الطيور، أو مثل الطائرات ...»

«ما اسمك؟»

«سارلا.»

قالت المُعلمة: «ما أجمل هذا! هل تعلمين أن سارلا كان اسمَ أول امرأةٍ هندية تعمل طيَّارًا؟ اسمي همسة، ويعني بَجعة. إن البجع، كما تعلمين، هو مِن أكبر الطيور التي تستطيع الطيران. ينبغي عليك يا سارلا أن تُمْضي بعض الوقت في المكتبة؛ هناك بكل تأكيدٍ العديدُ من الكتب عن الطيور والطيران، والآلات الطائرة مثل الطائرات.»

تمكَّنَت سارلا خلال الأيام القليلة التالية من أن تتعلَّم، والسعادةُ تغمُرُها، الكثيرَ حول الطيور وحول الطائرات.

تعلمَت سارلا أن الإنسان يُمكن أن يطير أيضًا، ولكن ليس مثل الطيور. إننا نستطيع الطيران إلى أي مدينةٍ في العالَم بواسطة الطائرة التي تُعَد واحدةً من أعظم اختراعات الإنسان عبر العصور.

بواسطة هذه الآلة العظيمة، يستطيع الإنسان أيضًا أن يستمتع بمُتعة أن يكون محمولًا جوًّا. إن الطيور مخلوقاتٌ جوية تطير وحدَها دون آلاتٍ إضافية. وعادةً ما يكون الجَناحان في الطيور أكبرَ من الأعضاء الأخرى، ويتميَّزان بخفَّة وزنٍ كبيرة؛ ممَّا يُمكِّنها من الطيران بسهولة.

تتَّصف الطائراتُ بالضخامة وثِقَل الوزن الشديد. وهي لها جَناحان مثل الطيور على جانبَيها؛ مما يُساعدها على الطيران. وجرى تصميمُ الجَناحَين في الطائرة على شكل جَناحَي الطيور تمامًا؛ فهما مُقوَّسان في الأعلى ومُسطَّحان في الأسفل؛ مما يُمكِّنها من الطيران عاليًا في السماء.

ولكي تتمكَّن الطيورُ من الطيران تُرفرف بجَناحَيها، ولكننا بالطبع لم نرَ أيَّ طائرةٍ قطُّ تفعل مثلَ ذلك! عندما تُرفرف الطيور بجَناحَيها فإنها تستخدِم الريح لتدفع بجسمها إلى الأمام.

الطائرات أيضًا تطير بمساعدةِ قوةِ الريح، ولكنها تستخدم المُحرِّك الذي في داخلها لخلقِ الريح التي تتدفَّق أسفل جسمها.

يُعتبَر المُحركُ أقوى أجهزة الطائرة، وهو يُعَد بمنزلة عقلها. ومثلما يستخدِم الطائرُ عقلَه وسَعة حيلته للطيران، يُساعد المُحركُ الطائرة على الإقلاع وعلى التحليق في السماء. وعندما يستخدِم مُحركُ الطائرة الوقود، فإنه يُطلق غازاتٍ ساخنةً بسرعاتٍ عالية، فتَدْفع الهواءَ خلف المحرك، وهذا يُؤدِّي إلى دفع الطائرة إلى الأمام.

يعمل المُحرك في السيارات والمَرْكبات الأخرى على دفعها إلى الأمام أيضًا، ولكنها لا تستطيع التحليقَ في السماء كالطائرات التي يتدفَّق الهواءُ بقوة فوقَ وتحت أجنحتها التي صُمِّمَت على شكل أجنحة الطيور؛ مما يُمكِّنها من الارتفاع بعيدًا عن الأرض إلى أعالي السماء والبقاءِ هناك طيلةَ الرحلة.

وللطائرات أيضًا ذيلٌ، تمامًا مثل الطيور، للمُحافظة على استقرارها في السماء، وللمُساعدة على تغيير اتجاهاتها.

وتحتاج الطائرات إلى طرقٍ واسعة وطويلة للإقلاعِ والهبوط. وتُسمَّى هذه الطرُق بالمُدرَّجات حيث تحتاجُ الطائرة إلى كسب سرعةٍ عالية على المدرج لكي تتمكَّن من الارتفاع من الأرض والتحليق في الجو.

وتستطيع مُعظمُ الطائرات الإقلاعَ فقط إذا كانت تسير بسرعةٍ عالية على المدرج الذي يُعتبَر جزءًا أساسيًّا في المطارات؛ لكونه يُوفر للطائرات الوقت الكافيَ لزيادة سرعتها، والتمكن من الإقلاع في النهاية.

وتعرِف الطائرات وجهتَها في السماء بتوجيه طيارٍ يقوم بالتحكُّم فيها من مكانٍ في مقدِّمة الطائرة يُسمَّى قُمرة القيادة. إنه يبقى على اتصالٍ دائم مع المطار (وهو مكان تُقلِع منه الطائرات وتهبط فيه) بواسطة أجهزة دقيقة وحديثة جدًّا. ومثلما يُوجَد إشاراتُ مرور ورجالُ مرور لمساعدتنا في تنظيم حركة السير في الطرُق، يُوجَد في المطارات أبراجُ مُراقبة، فيها مُتخصِّصون يعملون على إرشاد الطيَّارين للوقت والمكان المُناسِبَين للطيران، وللوقت الآمن للإقلاع والهبوط.

تُعتبَر الطائرة في واقع الأمر بمنزلة طائرٍ كبير. وقد صُمِّمت تمامًا على شكل الطيور لتُمكِّننا من الطيران وإن لم يكن ذلك مثل الطيور! ترغب سارلا في أن تُصبح طيَّارًا وتتمكن من قيادة الطائرات عندما تكبر.

أصيص الزرع الفارغ

في قديم الزمان أصدر إمبراطورُ الصين إعلانًا يقضي بإجراء مسابقة لاختيار وريثٍ للعرش. كان الإمبراطور رجلًا عجوزًا ولم يكن لديه ابن، ونظرًا إلى كونه من عُشاق النباتات منذ سنواتٍ عديدة، فقد أعلن أن أيَّ فتًى يُريد أن يُصبح الإمبراطورَ القادم للبلاد، عليه أن يأتيَ إلى القصر لاستلام بذرة إمبراطورية. وسيُصبح الفتى الذي يتمكن من تحقيق أفضلِ النتائج في زراعة تلك البذرة خلال فترة ستةِ أشهر، الفائزَ الأول في المسابقة، وسيُصبح الإمبراطورَ القادم للبلاد.

ويُمكِن للمرء أن يتخيل مقدار الحماس الذي أثاره هذا الإعلانُ في أوساط الفتيان! لقد أخذ كل فتًى في الصين يتخيَّل أن بإمكانه الفوزَ بالمسابقة. كما أخذ آباء الفِتْيان الموهوبين في زراعة النباتات يتخيَّلون أنفسَهم أيضًا وهم يعيشون حياة الرغد في القصر برفقة أبنائهم. وفي اليوم المُحدَّد لتوزيع البذور، احتشدت في ساحة القصر أعدادٌ كبيرة من الفتيان الذين يَحدوهم الأملُ في الفوز بالمسابقة. وعاد كلُّ واحد منهم إلى بيته وهو يحمِل في كفِّه فرصةً ثمينة يتمنَّى أن تتحقق.

وهذا كان حال الفتى جون الذي يُعتبر بالفعل من أفضل المزارعين في القرية التي يتسابق أهلُها لشراء ما يُنتجه في مزرعته من مُختلِف المحاصيل؛ كالبطِّيخ والملفوف الصيني وبازلاء الثلج. وكان سكان القرية كلَّما بحثوا عنه يَجدونه غالبًا في مزرعته بين النباتات، يعتني بها ويقتلع الأعشاب الضارَّة التي تنمو حولها، ويحرص على تعريض بعض النباتات لأشعَّة الشمس، في حين كان يضعُ البعضَ الآخر في الظلِّ ليضمن نموَّها بشكلٍ صحيح. حمل جون بحذَر في يده البذرةَ الإمبراطورية إلى البيت، وحرَص على أن يُمسِك بها بحرصٍ بالغ لكي لا تقع من يده، ولكن بدون أن يضغط عليها بشدةٍ في الوقت نفسِه لكي لا تتحطَّم في يده.

وفي البيت أحضر جون أصيصَ زرع، وقام بوضع أحجارٍ كبيرة في القاع قبل أن يُغطِّيَها بكميةٍ من الحصى، وقام بعدها بملء كامل الأصيص بكميةٍ وافية من التربة السوداء الرطبة الخصبة، وبوضع البذرة تحت السطح بنحوِ بوصة ليُغطيها بعد ذلك بطبقةٍ أخرى خفيفة من التربة الخصبة. وحرَص جون خلال الأيام القليلة اللاحقة، إلى جانب كلِّ الفتيان الذين يعرفهم، والمئاتِ الآخرين الذين لا يعرفهم، على سَقْي أصيص الزرع خاصته كل يوم، في انتظار أن تنموَ البذرة وتنبثقَ منها أولى وُرَيقاتها الخضراء الصغيرة خارج سطح التربة.

وكان تشن أولَ فتًى في القرية يُعلن أن البذرة التي زرعها قد بدأت تنمو خارج سطح التربة، وقُوبِل إعلانُه هذا بصيحاتٍ حماسية تنمُّ عن الإعجاب والتهنئة في الوقت نفسِه. وأخذ يتفاخر أمام سكان القرية بأنه سيكون الإمبراطورَ القادم بلا شك، وشرَع مِن لحظتها في لعب دور السيد الآمِر الناهي أمام أقرانه الأصغر سنًّا. وكان مانتشو الفتى الثانيَ الذي نمَتْ عنده البذرةُ التي زرعها في الأصيص خاصته، ثم جاء من بعده الفتى وونج. شعر جون بحيرةٍ كبيرة؛ ذلك أن جميع هؤلاء لا يستطيعون زراعة النباتات والاهتمامَ بها كما يستطيع هو، ومع ذلك فإن البذرة التي زرعها لم تَنْمُ.

وسرعان ما نمَتْ كل البذور التي زرعها فِتيان القرية في الأصص. وقاموا بوضعها خارج البيوت لكي تزدهرَ الوريقات الخضراء الصغيرة وتنمو بسرعةٍ تحت حرارةِ الشمس، كما قاموا ببناء أسوارٍ حجرية حول هذه الأصص وقاموا بحمايتها بحماسةٍ بالغة من الأطفال المُتهوِّرين الذين قد يَقلبوها؛ سواءٌ عن قصدٍ أو عن غير قصد. وبعد فترة قصيرة، أزهرت العشرات من النباتات داخل الأصص في جميع أنحاء القرية وأخذَت أوراقها الأولى تنمو وتنمو. لكن بذرة جون لم تنمُ أبدًا.

شعر جون بالحيرة والارتباك الشديدَين إزاء أصيصه الفارغ، وأخذ يتساءل: ما المشكلة؟ وقام جون بزرع البذرة في أصيصٍ جديد مليءٍ بتُربة سوداء خصبة وغنية أخذَها من مزرعته. وقام بتفتيت قطع التربة إلى أجزاءٍ صغيرة وتحويلها إلى تربة ناعمة، ثم عمد إلى وضع البذرة بحرصٍ شديد في داخل التربة وسقايتها. ثم أخذ يتفقَّدها كلَّ يوم. ومع ذلك، لم تنمُ البذرة داخل الأصيص.

وسرعان ما نمَت سيقانٌ قوية لجميع النباتات التي زرعها فتيان قرية جون الآخرون في الأصص الخاصة بهم. وشعر جون بيأسٍ شديد. وأصبح موضعَ سخرية فتيان القرية الذين أصبحوا يتندَّرون حول أصيصه الفارغ ويقولون عن جيوبهم عندما لا يكون فيها

من الحلوى ما يُقدِّمونه للناس، أو عند الانتهاء من تناول صحون الأرز بأنها «فارغة مثل أصيص جون». ومع ذلك قام جون مرة أخرى بتغيير الأصيص وبتحضير أصيصٍ آخر، نثَر في هذه المرة فوق تربته السوداء الخصبة قِطعًا من الأسماك الجافة كسمادٍ عُضوي، ومع ذلك، لم تنمُ هذه البذرة.

وهكذا انقضت فترة الشهور الستة، واقترب اليوم المُحدَّد الذي يتعيَّن فيه على شباب القرية القدومُ إلى القصر وهم يحملون النباتات التي قاموا بزراعتها ويعرضونها على الإمبراطور لاختيار الأفضل منها. وقام تشن ومانتشو ووونج ومئاتُ الفِتيان الآخَرون من القرية بتنظيف أصص النباتات التي قاموا بزراعتها حتى أخذَت تلمع، وبمسح أوراق هذه النباتات الكبيرة حتى أخذت عُروقها الخضراء تتلألأ، كما قاموا بالاستعداد لهذه المناسبة بارتداء أجمل الثياب لديهم. وقام بعضُ الآباء بمُرافقة أبنائهم؛ لمساعدتهم في حمل أصص النباتات إلى القصر، وضمانِ أن تبقى هذه النباتاتُ ثابتةً بشكلٍ مُستقيم ولا تنقلب خارجها.

قال جون لوالِدَيه في حُزنٍ بالغ، وهو يرى من النافذة فتيانَ القرية الآخرين وهم يستعدُّون فرِحِين لعودتهم المُظفَّرة إلى القصر: «ماذا سأفعل؟ لم تنمُ بذرتي! وأصيصي فارغ!»

وقال له والده وهو يهزُّ رأسه ليُهوِّن عليه الأمر: «لقد فعلتَ أفضل ما تستطيع.» وقالت له والدته: «يا بُني خُذ الأصيص الفارغ إلى الإمبراطور في كل الأحوال؛ فلقد فعلتَ أفضل ما تستطيع.»

حمل جون الأصيص الفارغ وهو يشعُر بالخجل الشديد وأخذ يسير عبر شوارع القرية مُتوجِّهًا نحوَ القصر، بينما كان بقية فتيان القرية يسيرون بخُطًى واثقة وهم يحملون مُبتهِجين أُصصَهم المُزهرة بنباتاتٍ خضراء طويلة عن يمينه وعن يساره.

اصطفَّ فِتيان القرية في صفوفٍ منتظمة ومعهم نباتاتهم المُزهرة، بانتظار بدء التحكيم. وأخذ الإمبراطور، عاقدًا حاجبَيه ومُرتديًا ثيابه الحريرية المُطرَّزة، يسير بجانب صفوف المُتسابقين المتفائلين وينظُر إلى أُصُصِهم. وعندما وصل إلى جون، زاد تَجهُّم وجه الإمبراطور وقال: «ما هذا؟ أأحضرتَ إليَّ أصيصًا فارغًا؟»

تحامَل جون على نفسه لكيلا ينخرط في البكاء من شدَّة الحزن الذي كان يشعُر به. وقال: «جلالة الإمبراطور، لو سمحتُم لي بالكلام؛ لقد بذَلتُ قُصارى جهدي. وقمتُ بزراعة بذرتكم في أجود تربةٍ استطعتُ الحصول عليها. وحرَصتُ على سقايتها ومُراقبتها كلَّ يوم،

وعندما لم تنمُ البذرة، قمتُ بزراعتها من جديدٍ في تربةٍ جديدة وأصيص آخر، حتى إنني قمتُ بهذا العمل مرةً ثالثة، ومع ذلك لم تنمُ البذرة. أشعر بالأسف الشديد لذلك.» وأحنى جون رأسَه أمام الإمبراطور.

همهم الإمبراطور. وقال، وهو يلتفِتُ نحو صفوف فتيان القرية، بصوتٍ هادر كالرعد لكي يسمعه الجميع: «لا أعلم من أين أتى كلُّ هؤلاء الفتيان الآخرين ببذورهم؛ لأن البذور التي قُمنا بتوزيعها عليهم من أجل المسابقة لا تصلُح للزراعة أبدًا؛ لأننا قُمنا بغليِها من قبل!»

وابتسم الإمبراطور في إعجابٍ شديد في وجه جون.

بينوكيو

ولدٌ مصنوع من خشب

منذ قديم الزمن كان يعيش في إيطاليا صانعُ ساعاتٍ عجوزٌ اسمه جيبيتو. كانت كل الساعات في متجره تُصدِر الصوت نفسَه: تيك تيك توك، طيلة الوقت. وعندما يكون مُنهمكًا في عمله، كان يشعُر بالسعادة، ولكن عندما يتوقَّف للاستراحة، كان ينتابه شعورٌ بالحزن ويقول في نفسه: «آه! لقد عشتُ طويلًا ولم أُرزَق بابن!»

وفي أحد الأيام صنع جيبيتو دُميةً خشبية على شكل ولدٍ صغير. وجعل يدَيها وقدَمَيها تتحرَّكان. كما قام بتفصيل وخياطة ملابس جميلة لها، فظهَرت كما لو أنها ولدٌ حقيقي ينبض بالحياة. وقال جيبيتو: «سأدعوك بينوكيو.» في تلك الليلة قام جيبيتو بوضْع الدُّمية الخشبية على السرير.

كانت هناك نَجمةٌ كبيرة ساطعة في السماء. نظر جيبيتو من نافذة غرفته إليها بتوسُّل.

وقال: «أيتها النجمة الساطعة، لو أستطيع فقط أن أطلُب منكِ تحقيق أمنيةٍ واحدة لي فستكون أن يرزُقَني الله ولدًا من صُلبي.» ولكنه كان يعرف بالطبع أن هذا غيرُ ممكن.

في تلك الليلة هبطَت النجمة الساطعة نفسُها إلى غرفة جيبيتو. وقد تحوَّلت إلى حوريةٍ زرقاء، ووقفت بجانب السرير.

وقالت: «أيتها الدمية الخشبية الصغيرة، عندما تستيقظين في الصباح فستكونين قادرةً على المشي والكلام مثل ولدٍ حي.» ولمست الدميةَ مرةً واحدة بعصاها السحرية. وأضافت: «وإذا استطعتِ أن تُثبتي شجاعتك وصِدقَك، فستُصبحين في يومٍ من الأيام ولدًا حقيقيًّا.»

فتح بينوكيو عينَيه.

وأضافت الزرقاء: «هناك شيء آخر.» وفجأة ظهر صرْصارُ ليل. كان يرتدي ملابسَ أنيقةً ويُمكنه التحدُّث. قالت الحورية: «أودُّ أن أُعرفك على صرصار الليل. إنه سيبقى إلى جانبك ليُساعدك في اتخاذ القرارات الصائبة.» وسرعان ما خرَجَت الحورية عبر نافذة الغرفة وأخذت ترتفع في سماء الليل حتى غابت عن الأنظار.

وعندما استيقظ جيبيتو في صباح اليوم التالي قال لنفسه: «سأذهب لآخُذ دُميتي الخشبية من السرير.» لكن السرير كان فارغًا!

سمع جيبيتو صوتًا صادرًا من الجانب الآخر للغرفة يقول: «ها أنا هنا يا أبي!»

ترنَّح جيبيتو في مكانه من شدَّةِ المفاجأة. وقال: «ماذا؟ أتستطيع أن تتكلم؟»

«أجل. أنا بينوكيو، ولَدُك!»

قال جيبيتو وهو يشعر بالحيرة الشديدة من هول المفاجأة: «كيف يُمكن أن يحدُث هذا؟ ولكن لا يُهم هذا الآن.» واندفع باتجاه بينوكيو وقام بضمِّ الدمية الخشبية بقوةٍ إلى صدره وهو يقول والسعادة تغمر قلبه: «بينوكيو، ولدي!»

الذهاب إلى المدرسة

وذات يوم قال بينوكيو لوالده: «أريد الذَّهاب إلى المدرسة مثل بقية الأولاد.»

ردَّ جيبيتو: «بكل تأكيد.» ولكنه لم يكن يملك ما يكفي من المال لشراء الكتب المدرسية.

وفي وقتٍ متأخر من ذلك اليوم، عاد جيبيتو إلى البيت وهو يحمل الكتب المدرسية. وقال لبينوكيو: «الآن تستطيع الذهاب إلى المدرسة.»

قال بينوكيو: «ولكن أين معطفك الثقيل يا أبي؟»

قال جيبيتو وهو يُحرك يدَه للدلالة على عدم أهمية المسألة: «لا داعي للقلق بشأن ذلك. المهم أنك أصبحت تستطيع الذَّهاب إلى المدرسة غدًا.» لم يكن جيبيتو يُريد لبينوكيو أن يعرف بأنه قد بادل معطفه بالكتب المدرسية.

وفي صباح اليوم التالي ودَّع بينوكيو والده للذَّهاب إلى المدرسة، وأخذ يسير على طول الطريق المؤدي إلى المدرسة وهو يُدندن تعبيرًا عن سعادته الغامرة. وكان صرصار الليل يقِف جذلًا على كتفه، ويشعر أيضًا بسعادة غامرة.

وفي الطريق لقِيَه ثعلب وقِط.

قال الثعلب له: «إلى أين أنت ذاهب في هذا اليوم الجميل؟»

أجاب بينوكيو: «إلى المدرسة.»

قال الثعلب: «تذهب إلى المدرسة في مثل هذا اليوم الجميل؟ هل سيكون من المناسب أن تجد نفسك حبيسَ المدرسة في مثل هذا اليوم الجميل؟ يجب أن تذهب معنا إلى المهرجان.»

وقام الثعلب بوضْع يدِه على كتف بينوكيو وهو يقول له: «اسمعني! أي شيءٍ تريد أن تعرفه تستطيع أن تتعلَّمه في المهرجان.»

قال بينوكيو: «أحقًّا ما تقول؟»

أجاب الثعلب: «تأكَّد أن ما أقوله لك صحيح.»

قال صرصار الليل: «بينوكيو! هذا الثعلب لا يعرف الذي يتحدَّثُ عنه!»

سارع الثعلب إلى وضع قُبعته فوق صرصار الليل لكي لا يسمعه أحدٌ وهو يُحاول جاهدًا أن يُنادي على بينوكيو: «لا تستمع إليه يا بينوكيو!»

قال بينوكيو: «حسنًا! دعنا نذهب إلى المهرجان!» وهكذا توجَّهوا على الفور إلى حيث يُعقَد المهرجان.

المهرجان

يا له من مهرجانٍ جميل! بجوار البوابة، كان هناك رجل يرتدي ثيابًا بيضاء. وكان يُنادي بأعلى صوته على المارِّين، قائلًا: «هيا ادخلوا، هيا ادخلوا، مِن هنا، احصُلوا على التذاكر من هنا.»

بنظرة حزينة، قال بينوكيو للثعلب والقط: «ليس معي تذاكر.»

كان هناك رجل عجوز يبيع أشياءَ قديمة وضَعها على طاولةٍ بالقُرب من البوابة. نادى على بينوكيو: «أنت أيها الولد الصغير! هل لك أن تبيعني هذه الكتب الجديدة التي تحملها؟ إنها أفضلُ طريقةٍ لكي تتمكن من شراء التذاكر.»

كانت أضواء وألوان المهرجان الزاهية تخطف الأبصار وتَزيد من حماسة الزوَّار، وهذا ما دفع بينوكيو إلى بيع كتبه المدرسية ليشتريَ بثمنها تذاكرَ الدخول.

قال صرصار الليل وقد تمكن أخيرًا من الإفلات من قُبعة الثعلب: «لا، توقَّف عن هذا يا بينوكيو.» لكن بينوكيو والثعلب والقِط لم يُصْغوا إليه. وقد أصبحوا بالفعل في داخل المهرجان.

مدير المهرجان

كان يُقام على المسرح عرضٌ للدُّمى المتحركة! قال بينوكيو: «أنا دمية مُتحركة أيضًا! أستطيع أن أرقص كما تفعل هذه الدُّمى!» وقفز على الفور إلى خشبة المسرح وبدأ في الرقص مع باقي الدُّمى.

قال أحد الزائرين: «انظروا إلى هذه الدُّمية الجديدة! إنها غير موصولة بأي خيوطٍ لتحريكها عن بُعد!»

وقال آخر: «بدون خيوطٍ للتحكُّم بها؟ إنه أمر مُدهش حقًّا!»

ضحك الجميع كثيرًا. ورَمَوا بالقِطَع النقدية إلى خشبة المسرح.

لاحظ مدير المهرجان تطايُرَ القِطع النقدية في الهواء قبل أن تسقط على خشبة المسرح، وقال لنفسه وهو يفرك ذقنه بيده: «حسنًا، هذه الدُّمية التي تتحرك بدون خيوطٍ ستجعلني غنيًّا حقًّا!»

وفجأةً وجد بينوكيو أنه قد تمَّ الإمساكُ به من على خشبة المسرح وأُلقي بعدَها في قفصٍ للطيور. وبعد لحظة، أُغلق الباب عليه بإحكام.

أخذ بينوكيو يُنادي مُستغيثًا بكل قوَّته: «مهلًا، أخرجوني من هنا.» ولكن الشخص الذي ألقى به في القفص كان قد غادر الغرفة للتو. وكان صرصار الليل الوحيد الذي سمع صراخ بينوكيو. وأخذ الصرصار يذرع أرض القفص ذَهابًا وإيابًا في محاولةٍ لإيجاد طريقةٍ لفتح قُفل باب القفص، ولكن باءت جميع جهوده بالفشل.

صاح بينوكيو قائلًا: «لقد علَقتُ هنا! كيف حدث هذا لي؟»

نموُّ الأنف

وفجأةً ظهرت أمامه الحورية الزرقاء.

قال لها على الفور: «من فضلك، هل لكِ أن تُساعديني في الخروج من هذا القفص؟»

قالت الحورية الزرقاء: «أخبرني أولًا كيف دخلتَ إلى هذا القفص؟»

قال صرصار الليل: «هيا قل لها حقيقة ما حدَث.»

قال بينوكيو: «حسنًا ...» ثم توقف عن الحديث. هل كان يستطيع حقًّا أن يُخبر الحورية الزرقاء بما حدث؟ وكيف كانت ستنظُر إليه في هذه الحالة؟

أجاب بينوكيو: «لقد تمَّ اختطافي.»

قالت الحورية الزرقاء بوجهٍ عابس: «وهل هذا صحيح؟» وسرعان ما بدأ أنفُ بينوكيو يطول.

قال بينوكيو: «نعم، لقد تمَّ اختطافي من قِبل رجلَين وضيعَين ... لا بل أربعة رجال!»

وأخذ أنف بينوكيو يطُول أكثر فأكثر.

«لقد أخذوا كتُبي، وجعلوني آتي إلى هنا، ثم رمَوا بي في داخل هذا القفص!»

وأخذ أنف بينوكيو يطُول ويطُول أكثرَ فأكثر، حتى إنه لم يعُد يستطيع أن يرى أمام وجهه سوى أنفٍ كبير وطويل.

وصرخ بينوكيو في ذُعر شديد: «لماذا أصبح أنفي طويلًا هكذا؟»

قالت الحورية الزرقاء بنبرةٍ صارمة: «بينوكيو! من المؤكد أنك لا تقول الحقيقة، أليس كذلك؟»

قال بينوكيو: «بلى. أردتُ أن أحضر هذا المهرجان. لقد جئتُ إلى هنا بصحبة الثعلب والقِط.»

وبدأ أنف بينوكيو يقصُر قليلًا.

«وكان يتعيَّن عليَّ أن أبيع كتُبي المدرسية الجديدة لكي أستطيع شراءَ بعض تذاكر الدخول.»

قالت الحورية الزرقاء: «وهل كان يجب عليك القيامُ بذلك؟»

أجاب بينوكيو: «أقصد، قرَّرتُ أن أبيع الكتب لشراء التذاكر.»

أخذ أنف بينوكيو يقصُر ويقصُر ثانية.

وأضاف: «ثم قام شخصٌ ما بخطفي ووضعي داخل هذا القفص.»

وهكذا عاد أنف بينوكيو إلى وضعه الطبيعي. وقال صرصار الليل: «لقد أحسنتَ صنعًا يا بينوكيو!»

قالت الحورية الزرقاء: «لقد أصبتَ بقولك الحقيقة. والآن سأعمل على إخراجك من هذا القفص.»

بحركةٍ سريعة من العصا السحرية الخاصة بها، وجد بينوكيو نفسه خارج القفص.

«وهذه كتبك المدرسية أيضًا.» ووجد بينوكيو نفسه يُمسِك مرةً أُخرى بنفس كتبه المدرسية التي باعها عند مدخل المهرجان.

وأضافت الحورية الزرقاء: «يجب عليك أن تعرِف هذا الآن. أنت أصبحت بمفردك من الآن فصاعدًا. عليك أن تتدبَّر أمورك بمفردك في المرة القادمة وأن تتأكَّد أولًا من أنك تقوم بالعمل الصحيح.» وذهبَت وتركته بمفرده.

سائق العربة

عاد بينوكيو إلى الطريق المؤدي للمدرسة، واستوقَفَه سائقُ عربةٍ وقال له: «مرحبًا أيها الطفل، ما رأيك في أن تركب العربة معي؟»

أجاب بينوكيو: «لا، شكرًا. أنا ذاهب إلى المدرسة.»

قال سائق العربة لبينوكيو: «ولكنك ستصِل لوجهتك بشكلٍ أسرع لو ركبتَ معي العربة.» ثم قال لنفسه: «صحيح أنه سيصِل بشكلٍ أسرع، ولكن ليس للمكان الذي يعتقد أنه ذاهب إليه!»

قال بينوكيو: «حسنًا، أريد أن أصل إلى المدرسة في أقربِ وقت!»

وفي داخل العربة سأل سائق العربة بينوكيو: «قل لي أيها الطفل، لماذا في اعتقادك يذهب أمثالك من الأطفال إلى المدرسة؟»

أجاب بينوكيو: «لنتعلَّم أشياء كثيرة. وحسبما أعتقد لننضج. وهكذا نُصبح قادرين على عمل ما نريد.»

قال سائق العربة: «حسنًا، وماذا لو أخبرتُك أنَّ بإمكانك أن تفعل ما تريد منذ الآن؟»

«الآن وعلى الفور؟»

«نعم. وفكِّر بما سأقوله لك؛ اترُك الكتب ولا تذهب إلى المدرسة. وتستطيع منذ هذه اللحظة أن تحصل على كلِّ ما تشتهي من الحلوى بقدْر ما تستطيع تناوله!»

«كل الحلوى؟»

«نعم. وأيضًا المُثلجات بكل النكهات اللذيذة. وحتى إذا رغبتَ أن تُدخِّن سيجارًا أو أن تلعب البلياردو؛ فلك ذلك. كل هذا وأشياء أخرى كثيرة في جزيرة المتعة.»

«جزيرة المتعة؟»

«أفضل مكان في العالَم لأمثالك من الأولاد!»

صاح صرصار الليل بصوتٍ عالٍ: «لا تُصغِ إليه يا بينوكيو!»

قال سائق العربة: «هيا، وماذا تنتظر؟ أنا أعرف تمامًا أين تقع جزيرة المتعة. هذا هو يومُ حظِّك أيها الطفل، فماذا تقول؟»

قال بينوكيو: «دعْنا نذهب إلى هناك! أريد أن أذهب إلى جزيرة المتعة.»

قال صرصار الليل وهو يُلوِّح بذراعَيه في الهواء: «أُفٍّ!»

جزيرة المتعة

بعد فترةٍ قصيرة توقَّفَت العربة. وقال رجل غريب أسمر للسائق: «أرى معك ولدًا في العربة، أليس كذلك؟»

«بلى.» وأمسك سائق العربة فجأة ببينوكيو بكلتا يدَيه وقذف به خارج العربة ليقع على الأرض، وأضاف: «هو لك؛ ادفع لي الثمن الآن.»

ومدَّ السائق يدَه خارج العربة نحوَ الرجل الغريب الأسمر ليلتقِط شيئًا ما (هل كان نقودًا يا تُرى؟) ثم سارع بعربته إلى مغادرة المكان.

وماذا يُمكن أن يعنيَ كل هذا؟ لكن بينوكيو لم يعُد يهتمُّ كثيرًا بذلك بعد أن نظر حوله، وتبيَّن له أنَّ كل ما قاله سائق العربة كان صحيحًا؛ كان هناك أكوامٌ من الحلوى في كل مكان. وكانت هناك أيضًا أنواع عديدة من المُثلجات بنكهاتٍ مختلفة. وهكذا كان متاحًا أمام بينوكيو وأمثالِه من الأطفال تناوُلُ كل ما يرغبون، واللهوُ واللعب طيلة اليوم بدون أن يقوموا بأيِّ عملٍ ولا حتى تنظيف المكان. وكان هناك أيضًا سجائرُ لمن يُريد واحدًا، وحتى طاولات بلياردو لمن يريد اللعب.

وبعد مُضيِّ عدة أيام حدَث شيء غريب؛ سأل بينوكيو صرصار الليل: «أين ذهب جميع هؤلاء الأطفال؟»

وأضاف: «كل ما أستطيع أن أراه حولي هو عدد من الحمير.»

أجاب صرصار الليل: «أنت على حق، كان هنا بالفعل الكثيرُ من الأولاد.»

وفجأة برزَتْ إحدى أُذُنَيه على شكل أذن حمار، ثم سرعان ما برزت الأخرى كذلك.

وصرخ صرصار الليل قائلًا: «أوه! ماذا يحدُث لك يا بينوكيو؟»

أجاب بينوكيو: «لا أعلم!» وبدأ ينهق مثل الحمار.

ورأى بينوكيو وصرصار الليل عن بُعدٍ مجموعةً كبيرة من الحمير تسير وراء الرجل الغريب الأسمر نحو شاحنة. وقال صرصار الليل: «أوه، لا! الآن فهمتُ حقيقة ما يجري هنا؛ الأولاد يتحوَّلون هنا إلى حمير لكي يتمَّ بيعُهم في السوق. يتعين علينا يا بينوكيو أن نُخرجك من هنا وبأسرع وقتٍ مُمكن؛ ما دام ذلك في مقدورنا.»

قال بينوكيو، وهو ينهق: «هيا، دعنا نذهب.» وتحوَّلَت قدَماه إلى أربع أقدام.

قال صرصار الليل: «اركض بسرعة!» وكانت من المزايا الجميلة لأرجل بينوكيو الأربعة أنه أصبح قادرًا على الركض بسرعةٍ كبيرة. وهكذا ظلَّ يركُض ويركُض حتى وجد نفسه خارج جزيرة المُتعة. وبعد ذلك وصل بينوكيو وصرصار الليل إلى مرفأٍ بجوار المُحيط.

ونادى بينوكيو على رجلٍ يقِف بجانب المرفأ قائلًا: «من فضلك يا سيدي! أنا أبحث عن رجلٍ عجوز يدعى جيبيتو. هل تعرفه؟» ثم أخذ ينهق.

قال الرجل: «يبدو أنك تُعاني من نزلة بردٍ قوية. هممم، جيبيتو. هل تقصد هذا الرجل العجوز الذي غادر ولدُه في صباح أحد الأيام ولم يعد؟ لقد استقلَّ قاربًا للبحث عنه، ولم يرَ أحدٌ هذا الأبَ المسكين منذ ذلك الوقت.»

قال بينوكيو، وهو ينهق: «أوه، لا! هذا كله خطئي أنا! يجب عليَّ أن أبحث عن والدي!» وقفز بينوكيو من رصيف المرفأ إلى المُحيط. وقفز وراءه على الفور صرصار الليل.

الحوت

كان معظم جسد بينوكيو لا يزال مصنوعًا من الخشب؛ ولذلك كان سهلًا عليه أن يطفوَ على سطح الماء. كان يُنادي على والده بأعلى صوته وهو يُجدِّف بذراعَيه في الماء بكل قواه ولكن بدون مُجيب.

كان كل ما يستطيع بينوكيو أن يراه حوله في كل مكانٍ هو مياه المُحيط الزرقاء، ولكن فجأة رأى شيئًا غريبًا عن بُعد، وسأل نفسه: ماذا يُمكن أن يكون هذا؟ رأى شيئًا يندفع بقوةٍ نحوهما؛ شيئًا كبيرًا وسريعًا جدًّا!

وما هي إلا لحظات حتى وجَدَ بينوكيو وصرصار الليل نفسَيهما أمام حوتٍ عملاق. وقام الحوت الكبير بفتح فَكَّيه القويَّتَين على مِصراعَيهما وابتلع على الفور بينوكيو وصرصار الليل مع كمٍّ كبير من المياه المُحيطة المندفعة. وعندما توقَّف اندفاعُ المياه، وجدا نفسَيهما في ظلمات بطن الحوت.

سأل بينوكيو صرصار الليل: «هل أنت بخير؟»

أجابه صوت رجلٍ عجوز: «أنا بخير.»

قال بينوكيو: «مهلًا! أبي، هل هذا أنت؟»

كان يرقد هناك جيبيتو!

قال بينوكيو: «أبي، أبي، هذا أنا بينوكيو!»

قال جيبيتو: «ولدي! ظننتُ أنني أحلم!»

وتَعانقا في سرورٍ وشوقٍ كبيرَين.

قال جيبيتو وهو ينظر إلى ثلاث أسماكٍ تسبح بالقُرب منهما: «انظر! هذا هو عشاؤنا اليوم.»

«أبي، لديَّ فكرة! دعنا نُشعل النار.»

قال جيبيتو: «لكي نشويَ هذه الأسماك الليلة؟»

«لا، بل لكي نتمكَّن من الخروج من هنا!» وقام بينوكيو بجمع بعض الأخشاب الطافية وأشعل نارًا، وأضاف: «هذه هي الطريقة التي تجعل الحوت يسعل!» وقام بينوكيو بالتهوية بذراعَيه على النار حتى تُصدِر الكثير من الدخان. وبعد مضيِّ وقتٍ قليل، بدأت سحُب الدخان الأسود ترتفع في داخل بطن الحوت.

أُصيب الحوت بنوبةٍ من السعال. قال بينوكيو: «استعدُّوا!» وما هي إلا لحظات حتى سعل بقوةٍ فاستطاع بينوكيو وجيبيتو وصرصار الليل أن يخرجوا من فم الحوت. وأخذتِ الأمواج تقذف بهم بقوة، حتى وصلوا في النهاية إلى الشاطئ بسلام.

وما إن نهض جيبيتو على قدَمَيه حتى أخذ يُنادي على ولده بينوكيو بدون مُجيب. كان صرصار الليل يرقُد بجانبه، ولكن أين كان بينوكيو؟

وبعد ذلك وجدوه. وجدوه مُنكبًّا على وجهه وكان رأسُه في بركة ماءٍ صغيرة.

نادى الأب: «بينوكيو!»

ولكن الوقت كان مُتأخرًا جدًّا. وجلس جيبيتو وصرصار الليل يبكيان على بينوكيو، الدمية التي على شكل ولد، وهو يرقُد بلا حَراك وسط بركة الماء.

وفي لمح البصر، هبطت هناك الحورية الزرقاء!

وقالت: «بينوكيو! لقد أنقذتَ والدك، وأثبَتَّ أنك شجاع وصادق.» وقامت بلمس رأسِهِ بعصاها السحرية، وأضافت: «والآن ستُصبح ولدًا حقيقيًّا.»

نهض بينوكيو، وأخذ ينظر إلى ذراعَيه ورِجلَيه بعد أن أصبحت من لحمٍ ودم.

ونادى بينوكيو على والده: «أبي! انظُر! لقد أصبحتُ ولدًا حقيقيًّا!»

صاح الأب: «نعم، لقد أصبحت كذلك.»

والتفتت الحوريةُ الزرقاء نحوَ صرصار الليل، وقالت له: «اتبَعْني.» وفي لمح البصر اختفى الاثنان عن الأنظار.

وهكذا عاش بينوكيو وجيبيتو معًا بقيةَ حياتهما في سعادةٍ غامرة.

مغامرات الدب الصغير بابلو

بارو آناند

كان الدبُّ الصغير بابلو الجميلُ يعيش في أعالي جبال الهمالايا المَكسوَّةِ بالثلوج، وكان فِراؤه طويلًا وأسودَ ولامعًا، ولا تُوجَد به ولا حتى شعرة بيضاء. كان بابلو دُبًّا شقيًّا لأقصى درجة، وكان محبوبًا من الجميع في الغابة، ولكن أُمَّه كانت تُحبُّه أكثرَ من الجميع، ولكنه كان بالفعل شقيًّا جدًّا.

منذ الصباح الباكر وحتى حلولِ الظلام، كان بابلو يقفز ويلهو ويجري عبر الغابة، وكانت أُمُّه دائمًا ما تُنادي عليه قائلةً: «بابلو، لا تكن شقيًّا إلى هذا الحد.» «بابلو، اجلس لبعض الوقت. ارتَحْ قليلًا ...» «أوه، يا بابلو، لا تؤذِ نفسَك. انتبه جيدًا!» «بابلو، صار الوقت مُتأخِّرًا الآن. لقد حلَّ الظلام. اذهب إلى النوم يا بُني ...»

كانت أُمُّه تُحاول باستمرارٍ أن تضبط سلوك بابلو، لكن بابلو المليءَ بالطاقة والحيوية كان يُفكر دائمًا في أشياءَ جديدة ليقوم بها، ولا يستمع لنصائح أُمِّه.

وفي إحدى الليالي، كانت الأم مُتعبة للغاية. ومَن يُمكن أن يلومها في ذلك؟! لقد كانت تركض طوال النهار في جميع أرجاء الغابة وراء بابلو وهي تُؤنِّبه وتُحاول تهذيب سلوكه، لكن بابلو كان لا يزال يُفكر في أمورٍ كثيرة أبعدَت عنه النوم، وخطر بباله العديدُ من الأسئلة.

«أين تنام الشمس بالليل؟»

«مَن هي أمُّ القمر؟»

«لماذا أظلُّ هكذا مُستيقظًا في الليل وأُمِّي يغلبها النوم؟»

«لماذا ...؟ أين ...؟ متى ...؟ كيف ...؟ كيف ...؟ متى ...؟ أين ...؟ لماذا ...؟»

ظلَّت هذه الأسئلة تدور في عقل بابلو حتى شعر بالدوار، ولم يَعُد يستطيع البقاءَ في السرير، فقام بالتسلُّل بهدوءٍ إلى خارج البيت وجلس بالخارج في هواء الليل البارد. كانت الغابة مليئةً بأصواتٍ غريبة مثل صوت صراصير الليل وحفيف الأشجار. وقد أضاء الغابةَ على نحوٍ ساطعٍ، البدرُ الذي بدا قريبًا من الأرض. وكانت الأسئلة لا تزال تدور في عقل بابلو مثلَ حركة الفراشات الدَّءوبة في أنحاء الغابة.

في الواقع، كان بابلو يحلُم منذ فترةٍ طويلة بعمل شيءٍ ما، أي شيء يجعل العالَم يقف ويُشاهدُه، أي شيء يجعل دِببةَ الغابة؛ صغيرَها وكبيرَها، يقولون: «يا للروعة! لقد جعل بابلو دببةَ الهمالايا مَشهورين في جميع أنحاء العالم!»

ولكن كيف السبيل لتحقيق ذلك؟ وما هو هذا الشيء المُميَّز الذي يُمكن أن يجعل من دُبٍّ صغير شخصيةً مشهورة في جميع أنحاء العالَم؟

بينما كان بابلو غارقًا في تفكيرٍ عميق، وقع نظرُه على شجرة أرز دوداري عالية وهي تتمايلُ بفعل ريح الليل. وكانت كلَّما تمايلَت في أحد الجانبَين، بدَت وكأنَّ أعلى أغصانها تلمس القمر.

وفجأةً لمعتْ في ذهن بابلو الصغيرِ فكرةٌ رائعة! وأشرقت عيناه واهتزَّ جسده من الحماس، وأراد أن يرقص من الفرح!

ولكنه كان يُدرك أنه لو أحدث أيَّ ضجةٍ فسوف تستيقظ أمُّه، وتُعيده على الفور إلى داخل سريره.

وإذا ما اكتشفَت ما يجُول بخاطره، فإنها ستغضب منه، وهذا سيَحُول دون أن يُحقق حلمه بالشهرة.

نعم، ربما تسألون الآن أعزائي الأطفال: ما هو هذا الشيء الذي عزم بابلو على القيام به بعدما رأى الشجرة، والذي سيُمكِّنه من تحقيق حلمه؟ حسنًا، سأخبركم به.

كان بابلو يتمتع دائمًا بمهارةٍ كبيرة في تسلُّق الأشجار، وهذا ما سيفعله الآن بتسلُّق شجرة الأرز الباسقة.

وبعد أن يصِل إلى أعلى الشجرة، وتبدأ تتمايل بفعل الريح وتلمس أغصانُها العالية القمر، يقوم بابلو بقفزةٍ واحدة لأعلى تنقله على الفور إلى سطح القمر!

كان بابلو يعلم بأنه سيكون بذلك أولَ دبٍّ يصعد على سطح القمر! وهذا سوف يجعل العالَم كلَّه يشعر بالدهشة الكبيرة. كما سيشعر جميع أقرانه الدببة في الغابة بالغيرة منه، وخاصة الدب سونا-مونا الذي دائمًا ما يسخر من بابلو ومن أحلامه. وسوف يقوم العلماءُ باستخدام التلسكوبات المُقرِّبة الكبيرة (التي حدَّثَته أمُّه عنها في أحد الأيام) لرؤيته وهو يرقُص فرحًا على سطح القمر.

كما ستقوم الصحف بالكتابة عنه ونشرِ صوره. وسوف تتهافت لإجراء مقابلة معه وسؤاله مُختلِفَ أنواع الأسئلة. وسيقوم بابلو بالإجابة عنها وهو يجلس على سطح القمر. وربما يتمكَّن من إيجاد بعض الأجوبة التي كان يبحث عنها لنفسه.

كم كنتُ أتمنَّى أعزائي الأطفال أن يكون هناك بجانب بابلو طفلٌ ذكي مثلكم ليشرحَ له بعض الأشياء في ذلك الوقت. ربما كان سيُوضِّح له أنه مهما كانت الشحرة باسقة، فإنها من المؤكد لا يُمكن أن تلمس القمر! إن أغصان الشجرة تبدو من الأسفل كما لو أنها تمتدُّ لتلمس تمامًا السماء، ولكن مهلًا! لم يكن هناك مع الأسف أحدٌ مثلكم بجانب بابلو ليتحدَّثَ إليه بمنطقٍ وبِحسٍّ سليم حول مثل هذه الأمور.

حزم بابلو أمرَه أخيرًا، وأخذ نفَسًا عميقًا وهو يتوجَّه إلى داخل الغابة. كانت الريح الباردة تلفح وجه بابلو، لكنه كان غارقًا بشدةٍ في تفكيره، لدرجة أنه لم يشعر حتى بالبرد. وكان يحتمي من الريح الشديدة البرودة بفرائه السميك.

بدأ في الجري بأسرعِ ما تستطيع رِجلاه السمينتان أن تحمِلاه. بدأ يركض أسرعَ فأسرع، وظلَّ يُسرع هكذا في الجري حتى بلغ الشجرة المُرادة. ووقف عند جذع الشجرة وحدَّق في أعلاها بإمعان؛ إنها هي! إنها هي!

كان تفكيره صحيحًا تمامًا. كانت الشجرة بالفعل عاليةً للغاية.

وبدون إضاعة المزيد من الوقت، بدأ بابلو في تسلُّق الشجرة. وأخذ يتقدَّم رويدًا رويدًا باتجاه قمة الشجرة.

كانت الشجرة كبيرة، وكان كلما صعد إلى أعلى يشعر ببرودةٍ أكثر، كما أنه لاحظ أيضًا أن الأغصان كانت تُصبح رفيعةً أكثر فأكثر.

سأل بابلو نفسه: «هل الأغصان هي التي تُصبح رفيعةً أكثر أم أنا الذي أُصبح بدينًا أكثر فأكثر؟» لكن بابلو لم يُبدِ في الواقع كبيرَ اهتمامٍ حول ذلك. وواصل بهمةٍ ونشاط تسلُّقَ الشجرة إلى الأعلى فالأعلى.

وصل بابلو أخيرًا إلى قمة الشجرة، وشعر من شدَّة الفرح (ومن شدة البرودة والارتفاع!) بِدُوارٍ خفيف في رأسه، وقال في نفسه: «آه! لقد حانت اللحظة أخيرًا التي سيتغيَّر فيها كل شيء.» لقد كان بينه وبين تحقيق أحلامه مجرد قفزةٍ واحدة إلى الأعلى.

ولكن مهلًا، أنتم تعرفون بالطبع أعزائي الأطفال ماذا يمكن أن يحدُث بعد القيام بمثل هذه القفزة، أليس كذلك؟

عندما وصل بابلو إلى ذروة أغصان الشجرة ورفع رأسه للقيام بهذه القفزة الأخيرة، وجد أن القمر كان لا يزال بعيدًا جدًّا عنه كما كان عندما نظر إليه من جذع الشجرة. كان القمر لا يزال بعيدًا جدًّا جدًّا في الواقع.

عندها فقط أدرك بابلو كم كان أحمقَ. لقد أدرك وقتها صِدقَ كلمات أُمِّه عندما كانت تقول له: «يا بابلو، إنك تُقدِم على فعل الشيء أولًا ثم تقوم بالتفكير فيه بعد ذلك.»

أدرك بابلو على الفور أن أفضل شيءٍ يُمكنه القيامُ به هو النزول بهدوءٍ وتَروٍّ عن الشجرة، وأن يتسلَّل عائدًا إلى البيت قبل أن يعلَم أحد بما كان يقوم به. ولكن ...

بينما كان يهمُّ بالنزول عن الشجرة، سمع صوتًا غريبًا.

كاداك! كا-دااك!!

كاداك؟

كاداك؟

كادهك! كاا-دهيك!

كادهيك؟ كادهيك؟

ما هذه الأصوات الغريبة؟ نعم. ربما تكونون أعزائي الأطفال قد خمَّنتم ذلك. الأغصانُ الضعيفة والرفيعة في أعلى قمة الشجرة أخذَت تنحني وتتكسَّر بفعل ثقل وزن بابلو! بعدها أخذ بابلو يُنادي على أُمِّه ويسقط ... أمممميييي!

أم مممم ميييي ... دوووووب!

ساد صمتٌ مُطبِق في جميع الأنحاء. لم يكن هناك أيُّ خَشخشة أو صوت يُسمَع. وفجأة استيقظت أم بابلو من نومٍ عميق.

ونادت على بابلو وهي تنظُر حولها: «بابلو!»

لكن بابلو لم يكن موجودًا في البيت.

«بابلو ...!»

«بابلوووو! ابني بابلو، أين أنت؟»

«باااا ... بلووووو!»

يا إلهي! تحشرج صوتُ الأم، وامتلأت عيناها بدموع الخوف. وأسرعت في الخروج إلى الغابة للبحث عن بابلو وهي ترتجف من رأسها حتى أخمص قدمَيها. كانت تلهث بقوةٍ وهي تصرخ وتُنادي على ابنها الغالي.

«بابلووو ...؟»

ولكن بابلو كان مُلقًى هناك في العراء أسفلَ الشجرة على أرض الغابة الرطبة الباردة. لم يكن بابلو ينظُر إلى الأعلى، ولم يكن يتحرك أيضًا. كانت عيناه مُغمضتَين. كان ثابتًا في مكانه تمامًا بدون حَراك، وكان صامتًا.

«بابلو ... أوه، لا ...»

ذهبت الأم إلى حيث جسدُ بابلو الساكن. أدارت وجهه نحوها. أووووه ...

كان هناك جُرحٌ عميق مزَّق أعلى صدره. وأخذ دمُه الأحمر يصبغ رويدًا رويدًا أرضَ الغابة.

كان بابلو يرقد على أرض الغابة في سكون، كان بلا حَراك.

«ابني بابلو، ماذا حدث يا بني؟» كان صوتُ الأم يرتجف والدموع تنهمر على عينَيها.

هل هذه هي نهاية قصة بابلو؟ بهذه النهاية المؤسِفة والحزينة؟ تعالَوا معي أعزائي الأطفال لنعرِف ذلك.

انحنَت الأم فوق جسد ابنها وهي تبكي بحُرقة، وفجأة شعرت بشيءٍ يُدغدغ قدمَها. ماذا يُمكن أن يكون هذا؟

كان هناك خيطٌ فِضي يُدغدغ قدمَها. إنه خيط طويل يبدو وكأنه يتدلَّى من السماء.

نظرَت إلى الأعلى فرأت القمر المُضيء. أدركت الأم عندئذٍ بأن «الخيط» الطويل كان في الحقيقة مُجردَ شعاع القمر. نظرت لأعلى، فرأت أنَّ وجه القمر يبتسم ويغمز بعينَيه. بدا وكأنه يقول لها ... أسرعي!

أدركت الأمُّ على الفور ماذا يُريد منها القمر أن تفعل؛ قامت على وجه السرعة بالتقاط إبرة صنوبر من أرض الغابة وأدخلَت خيط الشعاع من خلال ثقب الإبرة، وقامت بعدها بسرعةٍ كبيرة بتخييط الجُرح الذي في صدر بابلو. وبينما كانت تقوم بعمل آخر غرزة، فتح بابلو عينَيه.

«أماه ...؟ أمي ... أنا آسف ... هذه ... هذه الشجرة ... القمر ... اعتقدتُ ... ولكن بعدها تبيَّن لي ... أنا آسف جدًّا جدًّا يا أمي!»

كانت عينا الأم تَفيض بدموع الفرَح، وعانقَت ولدَها وقالت له: «لا بأسَ يا بني، ليس هناك أيُّ مُشكلة، وسيكون كل شيءٍ على ما يُرام الآن.»

وفي هذه الأثناء، كان كلُّ دببة الغابة قد تجمَّعوا لِيَشهدوا ما يجري. وشعروا بالدهشة عندما رأَوا حرف V اللامعَ الذي كان مكانَ تخييط الجُرح على صدر بابلو. لم يكونوا يعرفون بأنه شعاعُ قمر، وبدَءوا يصرخون في صوتٍ واحد: «يا للروعة، ما أجملَ هذا يا بابلو!» وقالت بعض الفتيات الجميلات: «أنت يا بابلو بكل تأكيد أجملُ وأحسن دبٍّ في هذه الغابة.»

والآن ماذا بشأن صديقه الدب سونا-مونا؟ حسنًا، وقف يُشاهد في صمتٍ مُطبِق. وما عساه أن يقول وقد تحقَّق في النهاية حلمُ بابلو بالشهرة؟

وما إن علِمَت دببة الغابة بقصَّة بابلو وكيف حصل على العلامة الفِضية اللامعة التي على صدره، حتى بدَءوا يُطالبون بصوتٍ مُرتفع بالحصول على مثلها على صدورهم. نظرت الأم للأعلى نحو القمر الذي ابتسم وأومأ لها برأسه.

وهكذا قامت أم بابلو بإدخال خيوط شعاع القمر في ثقوب إبر صنوبر عديدة، وخاطت العلامةَ الفِضية اللامعة على صدور الدببة الآخَرين. وكان كلما كثُر عدد الدببة الذين ينتظرون دورهم للحصول على العلامة، كانت تقوم بالتخييط بشكلٍ مُحكَمٍ وأسرع. كان بابلو يضحك ويُصفق بيدَيه وهو يحكي قصته مراتٍ ومرات.

وظلَّ على هذه الحال حتى أدرك فجأةً بأنه لم يتوجَّه بعدُ بالشكر للقمر؛ فقام على الفور بالنظر إلى الأعلى نحو القمر، ولكن أوه، لا!

«توقفي يا أماه، توقفي، وانظري ماذا حدث للقمر!»

وعندما نظر الجميع للأعلى، ظهر القمر على شكل هلالٍ رقيقٍ جدًّا، بدلًا من دائرةٍ كاملة كما كان من قبل. شعر الجميع بالحُزن العميق، وقالوا بصوتٍ حزين: «لقد أخذْنا الكثير من شعاع القمر حتى أصبح صغيرًا وضعيفًا.» لكن القمر ابتسم من جديد وقال: «ليس هناك أي مشكلة يا أصدقائي، فبعد أيامٍ قلائل سأكون كاملًا وفي أحسنِ حالٍ ثانية. فقط انظروا إلى قوة سحري!»

وبالفعل هذا ما حصل؛ فبعد عدة أسابيع أصبح القمرُ كبيرًا ومُستديرًا. وعندها حان الوقتُ لأم بابلو لكي تستأنف عملها من جديد وتَخيط العلاماتِ الفِضيةَ اللامعة على صدور دِببة آخرين.

ويُمكنكم أعزائي الأطفال حتى اليوم أن تنظروا إلى السماء وتقولوا: عندما يكون القمرُ هلالًا رقيقًا، تكون أمُّ بابلو في مكانٍ ما في جبال الهمالايا التي تكسوها الثلوجُ، تقوم بتخييط علاماتٍ فِضية لامعة أخرى على صدور الدببة.

وبعد ذلك، عندما يُصبح القمر رويدًا رويدًا مُكتملًا تمامًا على شكل حرف O كبير، يُمكنكم عندها أن تعرفوا أن أم بابلو قد ترَكَت القمر ليستريح قليلًا.

ماذا قُلتم أعزائي الأطفال؟ هل كنتم تسألون عن بابلو؟ آه، نعم، لقد أصبح صديقُنا الصغير مشهورًا بالفعل؛ لكونه أولَ دبٍّ يحمِل حرف V الفِضي اللامع على صدره. ولولا مغامرته هذه لكان دُبُّ الهمالايا الكبيرُ مجردَ دبٍّ أسود عادي للغاية.

أعزائي الأطفال، عندما تقومون بزيارة حديقة الحيوانات في المرة القادمة، أو عندما تقرَءون كتابًا ما، تذكَّروا أن تبحثوا عن دبِّ الهمالايا. وعندها ستُدرِكون على وجه التأكيد أنَّ هذه القصة حقيقية وليست من نسج الخيال.

الغزال بامبي وحياته في الغابة

في أحد الأيام، وُلِد غزال صغير. أسمته أمُّه «بامبي» وكانت تلعق جسدَه كاملًا بلسانها.

كانت أمُّه تُناديه: «بامبي، ولدي الصغير.»

كان بامبي الغزال الصغير شغوفًا بالاطلاع وبمعرفة كل شيء. تَعلَّم من أمِّه أنه غزال مثلها، وبأن هناك غِزلانًا آخَرين في الغابة، وبأنه سيلتقي بعضًا منهم في يومٍ من الأيام. وتَعلَّم من أمِّه أيضًا أن المسارات التُّرابية التي تتبعها أمُّه قد حفَرَتها أقدامُ الغزلان. كانت هناك فراشاتٌ كثيرة جميلة ملوَّنة بألوان قوس قزح تطير من حوله، وأصوات وروائح تصدر من هنا وهناك. كان هناك بالفعل الكثيرُ من العجائب والغرائب التي تستحقُّ الاستكشاف!

كانت أمُّه تتوقَّف عن السير بين الفَينة والأخرى وتُوجِّه أذنَيها في جميع الاتجاهات. كان بامبي يتوقَّف عن السير هنا وهناك كلما توقَّفَت أمُّه، ويُتابع سيره معها عندما تقول له: «حسنًا. هيا يا بني. لا يُوجَد هناك أيُّ خطر، وبإمكاننا أن نُتابع سيرَنا بأمان.» وهكذا كان بامبي يُتابع سيرَه من جديد وراء أمِّه دون أن يعرف لماذا كان يتعيَّن عليها أن تفعل ذلك من وقتٍ لآخر.

وفي أحد الأيام أخذته أمُّه لأول مرةٍ إلى مُروج الزهور الخضراء، حيث بدأ يقفز بفرحٍ غامِر يُريد أن ينطلق نحو أرضٍ مكشوفة مقطوعة الشجر، ولكنها سرعان ما قفزتْ أمامه لتمنعه من القيام بذلك وهي تقول له: «قف! امكث هنا. يجب أن أخرج أنا أولًا. انتظر هنا حتى أُناديَك. ولكن إذا رأيتَني بدأتُ بالركض، فيجب عليك عندئذٍ أن تدور على عَقِبَيك وتركض عائدًا بأسرعِ ما تستطيع إلى الغابة. لا تتوقَّف أبدًا. هل فهمت ذلك يا بُني؟

توجَّهَت أمُّ بامبي بيقظةٍ وحذَرٍ شديدَين نحو المروج المكشوفة وهي تُحاول أن تلتقط بأنفها كلَّ الروائح التي تنقلها الريح. كما أرسلت بصرَها في جميع الاتجاهات. وبعد بُرهة من الزمن التفتَتْ نحو بامبي وهي تقول: «كل شيء على ما يُرام يا بامبي؛ لا يُوجَد شيء يدعو إلى القلق. هيا تقدَّم!» وسرعان ما قفز بامبي نحوَها ليُتابع سيرَه معها.

يا لها من شمسٍ مُتلألئة! ففي الغابة كان يرى أشعة الشمس من آنٍ لآخَر، لكن أشعة الشمس الساخنة البرَّاقة غمرَت جسدَه بالدفء، وانتابه شعور عجيب جعله يقفز عاليًا في الهواء حيث كان يجد العُشب الذي يهبط عليه أكثرَ نعومةً من بقية الأعشاب التي كان يسير فوقها من قبل. وهكذا ظلَّ بامبي يقفز في الهواء بفرحٍ غامر المرةَ تلوَ الأخرى ولفترةٍ من الوقت.

كانت الزهور في بعض جوانب الغابة كثيفةً جدًّا حتى بدَت من بعيدٍ كسجادة برَّاقة مُتعددة الألوان. ولكن مهلًا! ما هذا الشيء الصغير الذي يتراقص في الهواء؟ قال بامبي لأمِّه وهو يُشير بيده: «انظُري يا أمي؛ الزهور تطير في الهواء!» وبدأ بامبي يُفكر لماذا تحتاج الزهور لأن تفعل ذلك كثيرًا لدرجةٍ تنفصل معها عن سيقانها لترتفع عاليًا وترقُص في الهواء.

فقالت له أمُّه على الفور: «هذه ليست زهرةً يا بامبي؛ إنها فراشة.»

ثم ... ترم، ترم، ترم! كان هناك على الصخرة أرنبٌ صغير يخبط الأرض بقدَمَيه.

فقال الأرنب: «مرحبًا! هيا؛ دعنا نلعب معًا!» وهو يبتسم ويرفع أذنَيه الكبيرتَين عاليًا ليسمع جيدًا.

فأجاب بامبي: «نعم بكل تأكيد.»

«هيا إذَن أمسِكني إذا استطعت.» وقفز الأرنب بسرعةٍ من أعلى الصخرة إلى العُشب، وأخذ يجري بكل قوَّتِه بعيدًا عن بامبي. كان بامبي أسرعَ قليلًا في الجري والقفز من الأرنب، ولكن الأرنب كان أفضلَ منه في الاختباء. وهكذا أمضى الاثنان وقتًا مُمتعًا وهما يلعبان معًا.

وهناك في أعلى إحدى الشجيرات، كان هناك ذيلٌ طويل منفوخ أسودُ وأبيض اللون ينزلق نحوَهم. وقال الأرنب: «يا لها من مفاجأة، فأنا أعرف صاحبَ هذا الذيل في أي مكانٍ يذهب إليه؛ إنه صديقي الظربان يختبئ تحت النباتات والشجيرات.» ونادى عليه الأرنب باسمه، فبرز على الفور رأسٌ مُرقَّط بالأبيض والأسود.

وقدَّم الأرنب بامبي إليه: «هذا بامبي.» وسرعان ما استكشف الثلاثة مَرج الزهور القريب واستنشقوا الروائح القوية والجميلة التي تصدُر عن الزهور.

وبعد فترةٍ قصيرة، كان يتعين على الأرنب والظربان العودةُ إلى المنزل. وتلفَّتَ بامبي حوله يبحث عن أُمِّه: «أين أنتِ يا أمي؟» آه، ها هي هناك في الجانب الآخر من مرج الزهور تقِف مع مخلوق يُشبهها تمامًا.

ونادت عليه أُمُّه: «بامبي يا بُني، تعال واجتمِع مع أختي إينا وولَدَيها الصغيرَين.» أسرع بامبي نحوَ أُمِّه ونحو شقيقتِها وصغيرَيها الاثنين فالين وجوبو وهما يركضان حول أُمِّهما.

قفز فالين قفزةً واحدة طويلة من شدة الفرح حتى أصبح تمامًا بالقُرب من بامبي. ثم عاد وقفز نحوَ جوبو في فرحٍ غامر. وأسرع بامبي بدَوره وبحذرٍ نحو طرف جوبو. لحظات ثُم كان الغِزلان الصغار الثلاثة يقفزون ويركض كلٌّ منهم وراء الآخرين بفرحٍ ونشاط على العُشب.

قالت أم بامبي: «الآن يا أبنائي، ابدَءوا الركض واللعب جميعًا.»

ومنذ ذلك الوقت، أخذ الغزلان الثلاثة الصغار يلعبون معًا ويتحدَّثون فيما بينهم. لقد تسابقوا وركَض كلٌّ منهم وراء الآخرين، وأكلوا التوت البريَّ والفراولة من أغصان الشجيرات، وكانوا في بعض الأحيان يجلسون معًا في ظلِّ شجرةٍ ويتحدَّثون معًا.

وفي أحد الأيام، قال بامبي: «هل تعرفون ماذا يعني الخطر؟»

فأجاب الغزال الصغير جوبو: «شيء سيئ للغاية على ما أعتقد.»

فقال بامبي: «ولكن ما هو الخطر؟»

فقال فالين: «أنا أعرف ما هو الخطر؛ هو الذي تهرُب منه.» لكن سرعان ما بدَءوا يركض كلٌّ منهم وراء الآخرين ويلعبون مرةً أخرى.

وجاءت أم بامبي وشقيقتها إينا وقالت: «هيا يا أولاد؛ لقد حان الآن وقت العودة إلى المنزل.»

وظهر من بعيدٍ عند قمةِ تلةٍ عالية غزالان كبيران يسيران بهمَّة واعتزاز، وعلى رأس كلٍّ منهما قرنان طويلان ومُتفرعان في كل الاتجاهات.

والتفتَت فالين قائلة: «مَن هذان؟»

فقالت إينا: «هذان هما أبَواكم.»

وقالت أم بامبي لابنها: «إذا كنتَ حريصًا بما فيه الكفاية ولم تُعرِّض نفسك للخطر، فسوف تَكبر وتُصبح في يومٍ من الأيام كبيرًا ووسيمًا مثلَ والدك. وسيكون لديك قرونٌ

طويلة ومتفرعة أيضًا.» امتلأ قلب بامبي على الفور بالفخر والاعتزاز وهو يرنو ببصره من بعيدٍ نحو والده على قمة التلة.

ومع نموِّ بامبي، تعلَّم كيف يتشمَّم الهواءَ ليعرف على سبيل المثال ما إذا كان صديقه الأرنب قادمًا لزيارته، أو إذا ما اقترب ثعلبٌ ما منه كثيرًا، أو إذا ما كانت السماء سوف تُمطر قريبًا.

وبعد ظُهر أحد الأيام هبَّت عاصفة هوجاءُ رافقها رعدٌ وبرق شديدان. اعتقد بامبي للوهلة الأولى أن نهاية العالَم قد حانت. ولكنه عندما تمدَّد بجانب أمِّه شعر بالدفء والأمان.

وذات يومٍ عندما تجوَّل بامبي في الغابة، شمَّ رائحةً قوية غير مُحبَّبة، وقام بدافع الفضول بتعقُّبها ليعرف مصدرها؛ حيث قادته قدَماه إلى منطقة منزوعة الشجر يقِف في وسطها مخلوقٌ غريب لم يرَ بامبي مثلَه من قبل. كان يقف على قدَمَيه الخلفيَّتَين، وبين ذراعَيه شيء طويل وأسود اللون. يا تُرى هل يُمكن أن يكون هذا الشيء يدًا ثالثة لهذا المخلوق؟ كانت رائحة هذا المخلوق تملأ صدر بامبي بالرُّعب والخوف الشديدَين. رفع هذا المخلوق ذراعه السوداء الطويلة. وفي لحظةٍ خاطفة، هُرِعت والدة بامبي إليه.

وقالت له: «اركض يا بامبي، اركض! بأسرعِ ما يُمكنك!»

اجتازت أم بامبي الأحراش والشجيرات بسرعةٍ تُريد الاختباء في بيتها. وواصل بامبي ركضَه بخُطًى سريعة وثابتة بجانبها، حتى وصلا إلى بيتهما الذي تُغطِّيه أوراقٌ خضراء كثيفة.

وفي وقتٍ لاحق، قالت أم بامبي: «هل رأيتَ يا بُني هذا الإنسان؟» أومأ بامبي بنعم. قالت: «هذا هو الذي يجلب معه الخطر.» ارتجف بامبي وأمُّه من شدة التأثُّر والخوف.

كان بامبي لا يزال في مرحلة النمو، وفي اليوم التالي شعر بخوفٍ شديد عندما استيقظ ولم يجد لأول مرةٍ أمَّه بجانبه. كان ذلك في فجر يومٍ حيث لم يكن ظلام الليل قد زال تمامًا بعد، وبدأ يُنادي على أمه: «أمي! أمي! أين أنتِ يا أمي.» وأخذ يبحث عنها وهو يشعر بالقلق والخوف الشديدَين. في هذه اللحظة أخذ ظلٌّ كبيرٌ يقترِب منه رويدًا رويدًا؛ ظلٌّ أكبرُ بكثيرٍ من ظلِّ أُمه ينعكس على صفحة بِركة الماء في ضوء القمر. كان هذا الوَعْل العجوز باك صاحب الحِكمة والشجاعة واقفًا إلى جانب بامبي.

قال باك وهو مُقطَّب الجبين: «على مَن تُنادي يا بني؟ انهض. أنصِت إليَّ. يتعيَّن عليك منذ الآن أن تعتنيَ بنفسك وتهتمَّ بشئونك بمفردك. سوف تكون على ما يُرام إن اعتمدتَ على نفسك.»

العجوز كوني

جرَت وقائعُ هذه القصة في قريةٍ صغيرة في مالي تُدعَى سيجو، حيث كان هناك منذ حوالي ألف سنة امرأةٌ عجوز تُدعى كوني، تسكن مع حفيدتها في كوخٍ صغيرٍ على أطراف القرية، وتعيشان على الكَفاف. واعتاد بعض أهل القرية لسنواتٍ طويلة مساعدتَها، فكانوا يأتون إليها من وقتٍ إلى آخر وهم يحملون الطعام والهدايا. ومع مرور الزمن لم يَعُد يجد هؤلاء الوقتَ الكافيَ لديهم للقيام بذلك؛ لانشغالهم بحياتهم الخاصة، حتى إنهم لم يعودوا يُفكرون فيها بتاتًا. لكنَّ كوني كانت تُفكر فيهم طوال الوقت.

وبدون مساعدةٍ من القرويين، صارت كوني عنيفةً في طباعها وتصرفاتها. وقرَّرَت أنه إذا كان يتعيَّن عليها أن تُعاني من الجوع الشديد، وأن تعيش في حضيض الفقر والبؤس وهي في أرذل العمر، فعندئذٍ يتعيَّن على كل أهل القرية أن يُعانوا مثلها أيضًا.

لم يكن أهل القرية يعلمون أن العجوز كوني تملك قدراتٍ سحريةً خارقة قد تجلب عليهم المصائب في يومٍ ما. وفي أحد الأيام عند شروق الشمس، وقفَت أمام باب الكوخ وأخذت تمدُّ ذِراعَيها نحو الشمس. قالت مُتجهةً إلى السماء: «دعيهم جميعًا يعرفون ألمَ الجوع! لا أمطار فوق قرية سيجو. دعي الزرع يذبل ويموت وهو في الحقول. دعيهم يعرفون معنى الخوف أيضًا.» في هذه اللحظة ظهر أمامها كالشبح ثورٌ كبيرٌ يضرب بحوافره الأرضَ بقوة. وقامت المرأة العجوز على الفور بتقمُّص روح هذا الثور وأصبحت بذلك مجسَّدةً على شكل ثورٍ كبير، وعلى شكل امرأةٍ عجوز في أرذل العمر في الوقت نفسِه، استمرَّت في العيش مع حفيدتها في الكوخ. وهكذا أخذت العجوز كوني، في هيئة ثورٍ كبير متوحش، تجوب في أطراف الغابة المجاورة للقرية، تُهاجم وتقتل الصيادين أينما وجدَتهم.

وسرعان ما بدأ أهل القرية يشعرون بالجوع. وامتدَّت شهور الجفاف من بضعة أسابيعَ إلى شهور؛ ذبل الزرع في الحقول. ومما زاد الأمر سوءًا أن الصيادين الذين اعتادوا أن يتفرَّقوا في أرجاء الغابة بحثًا عن الطرائد لم يعودوا يتجرَّءون على القيام بذلك. وروى هؤلاء الصيادون الناجون رؤيتهم لثورٍ كبيرٍ متوحشٍ لم يتمكَّنوا من قتله؛ لأن جميع السهام التي كانوا يُطلقونها عليه كانت ترتدُّ بسبب جِلدِه السميك وتسقط على الأرض. ومع استمرار أيام الجفاف بسبب انقطاع المطر ووجودِ هذا الثور المتوحش في الغابة، تفاقمَت أحوال أهل القرية، وبدَءوا يشعرون باليأس الشديد. فهُرِعوا إلى زعيم قرية سيجو يلتمسون العون. فقام زعيمُ القرية على الفور بإرسال طلبات الاستغاثة إلى زعماء القرى الأخرى المجاورة.

وفي طرفٍ قصيٍّ في قريةٍ مجاورة كان يعيش هناك شقيقان؛ كيراما وشقيقه الأصغر كانكيجان. سمعا بطلبات الاستغاثة، فقرَّرا المجيء إلى القرية لمساعدة أهلها بقدْر ما يستطيعان.

فقال لهما والدهما وهما يُودِّعانه للسفر: «يا ولدَيَّ، احذرا. أنتما تسعيان لتقديم يد العون في مشكلةٍ غير طبيعية. لقد يبس الزرعُ في حقول قرية سيجو لانحباس المطر عنها، بينما كان يهطل بغزارة في الوقت نفسِه فوق باقي القرى المُحيطة بها. وهناك أيضًا ثورٌ مُتوحش، لم نسمع من قبلُ بوجود مثلِه في أي مكانٍ آخر، يجوب الغابةَ المجاورة للقرية، ويقوم بقتل الصيادين. تذكَّرا كلامي يا ولدَيَّ. لقد أصاب قريةَ سيجو لعنةُ ساحرٍ أو ما شابه، وإذا كنتما تُريدان الذَّهاب إلى هناك فيجب عليكما أولًا وقبل كل شيء أن تأتيا الكاهنَ سامبو الذي يمتلك قدراتٍ سحرية خارقة، ويستطيع بالتأكيد مساعدتَكما فيما تعتزمان القيام به.»

ذهب الأخَوان لرؤية الكاهن سامبو الذي أخرج على الفور الصينيةَ المقدَّسة التي يستخدمها لمعرفة الغيب وقراءة المستقبل. ثم التفتَ نحو الأخَوَين وهو يقول لهما: «هذه رحلة محفوفة بالمخاطر؛ يُمكن قتلُ الثور المتوحش ولكن ليس بهذه السهام العادية التي في جعبتكما، أو بنَصبِ الفِخاخ، أو بأي أعمالٍ شُجاعة قد تقومان بها في مواجهته. سوف تنجحان في مهمتكما إذا قُمتُما بمراعاة واحترام الآخَرين. وإذا نجحتما في هذه المهمة فسوف يُقدِّم لكما أهلُ القرية فتاةً للزواج كجائزةٍ لقاء عملكما هذا. قد تكون هذه الفتاة فقيرةً وعاديةَ المظهر، وتستطيعان أن تُحضراها معكما لأتخذها زوجةً لي؛ لقاءَ العمل الذي قدَّمتُه لكما.»

شكر الأخوان كيراما وكانكيجان الكاهنَ سامبو، وانطلقا على الفور نحو قرية سيجو. وعندما اقتربا من أطراف القرية، مرَّا بامرأةٍ عجوز تحمل فوق رأسها كومةً من الحطب.

فقال لها كيراما: «دعيني أساعدك يا جدتي، وأحمل عنك هذا الحطب.»

كانت هذه المرأة العجوز هي كوني. وقد عرَفَت بقدراتها السحرية أن هذَين الشابَّين قد جاءا إلى القرية بغرَض قتل الثور المتوحش في الغابة المجاورة.

فقالت: «لا عليكما. أستطيع أن أتدبر أمري بمفردي.»

وأجابها كانكيجان برفقٍ ولين: «بالطبع تستطيعين ذلك، ولكننا نسير على نفس الطريق، ولن نجد صعوبةً في أن نحمل عنكِ ما تحملين. إضافةً إلى ذلك، ليس من المناسب على الإطلاق أن تقوم امرأة في عُمرك بعملٍ شاق في جمعِ الحطب ونقله، وسوف أتقاسم الحطبَ مع أخي الصغير كي يَسهُل علينا حمله.»

فقالت العجوز وهي تُمسك بكومةٍ صغيرة من الحطب بين كفَّيها وتتوجَّه به نحو الكوخ الذي تعيش فيه: «لا وقتَ لديَّ للحديث معكما؛ يتعين على البعض منا أن يعمل بشكلٍ دائم.»

وقام الأخوان بحمل الحطب والسير وراءها وهي تتوجَّه نحو الكوخ، ووضعا ما كانا يحملان بالقُرب من باب الكوخ.

فقالت لهما بجفاءٍ واضح: «لم أطلب منكما القيامَ بذلك. أنتما تستطيعان القيام بعملٍ أفضل من هذا بكل تأكيد.»

وقال كيراما: «هناك عملٌ آخر يا جدتي نعتزم القيام به.» وانطلقا يُتابعان سيرهما على طول الطريق المؤدي إلى وسط القرية.

وكان في استقبالهما عندما وصلا الساحةَ زعيمُ قرية سيجو الذي رحَّب بهما بحرارة، وأقام على شرفهما وليمةً للترحيب بهما (لم يستجب الكثير من زعماء الممالك المجاورة لطلبات الاستغاثة التي أرسلها إليهم!) ومن المعلوم أنه في تلك الأيام، كان لبعض قِطَع اللحم من أعضاء الذبيحة أهميةٌ خاصة؛ حيث كان يُخصَّص لكل فردٍ من أفراد الأسرة قطعٌ مُحددة منها؛ كالصدر والفخذ على سبيل المثال. كانت الوليمة عبارةً عن طبقٍ كبيرٍ من الأرز المفلفل طيب المذاق، مُغطًّى بكمية من الدجاج المشوي. وقام الأخَوان بانتقاء الصدر والفخذ من طبق الوليمة الكبير مع كميةٍ من الأرز، بالإضافة إلى بعض الحليب وكميةٍ من جوز الكولا، وتوجَّها بكل ذلك نحو كوخ المرأة العجوز.

وعندما وصلا إلى الكوخ وجداها في الخارج حاملةً دلوًا من الماء.

فقال لها كانكيجان: «جدتي. لقد أحضرنا لك بعضًا من وليمة الدجاج التي أقامها لنا زعيمُ القرية في داره مساء اليوم. أرجو أن تستمتعي بتناول هذا الطعام بينما يقوم أخي بإيصال دلوِ الماء إلى داخل الكوخ.»

فقالت كوني: «توقَّف عن مُناداتي بهذا الاسم؛ أنا لستُ جَدَّتَك ولا أعرفك حتى. وإن كنتَ كما أرى قد أحضرتَ لي صدْر الدجاجة الذي يُخصَّص عادة للجدة، كما أحضرتَ لي فَخذ دجاجة يُخصَّص عادة للأخت، فما أنا لك بأختٍ ولا بجَدة.»

لكن التقاليد كانت تقتضي قَبول اللحم المُقدَّم كهدية، حتى ولو كان من الأعداء. ولذلك قبلت كوني ما جاء به الأخَوان إليها. وبينما كان كيراما ينقل دلوَ الماء إلى داخل الكوخ، قال لها كانكيجان: «لقد أحضرنا إليكِ أيضًا بعض الحليب؛ لتصنعي منه القليل من الجُبن الطازج، وبعض جوز الكولا أيضًا.»

فقالت مُتذمِّرة: «أنت تُفكر في كل شيء، أليس كذلك؟» لكنها شربت الحليبَ ووضعت ثمار جوز الكولا في جيبها لإعطائها لحفيدتها.

واظبَ الأخَوان بعد ذلك على زيارة كوني، وكانا يُحضران معهما هدايا في كل مرة؛ فواكه، وجوز، وحليب، وغير ذلك. وتوقفَت كوني بعد ذلك عن التذمُّر منهما بعدما أصرَّا على مساعدتها في تنظيف الكوخ والأعمال الأخرى التي يتعيَّن عليها القيامُ بها في كل الأحوال. وفي اليوم الخامس، ذهبَت كوني لزيارة الشقيقَين، وتحدثوا طويلًا حتى ساعةٍ متأخرة من الليل بدأ خلالها الأخَوان يشعران بوجود جانبٍ سحري غامض في شخصية المرأة العجوز. وعندما حان وقتُ مغادرتها، كانت الظلمة قد هبطت على طرقات القرية ممَّا حملَهما على الإصرار على إيصالها إلى كوخها في أقصى القرية.

وعندما وصلت إلى باب الكوخ التفتت إليهما وقالت بصوتٍ قوي: «أعلم مَن أنتما ولماذا جئتما إلى هنا، ولكنكما لا تعرفان مَن أنا. لقد أتيتما لقتل الثور في الغابة، ولكن الذي لا تعرفانه هو أنني أنا هذا الثور. لقد تخلَّى عني أهل القرية وتركوني وحيدةً لأتدبَّر أمري وأُؤمِّنَ قوت يومي، وأنا امرأة عجوز لم أعُد قادرةً على زراعة ما أحتاجه من طعام، أو على اصطياد السمك! كان من السهل بالنسبة لهم نسيان عجوزٍ مُتعَبة وحفيدتها. الآن أصبحوا يُعانون مثلي ويعرفون ألمَ الجوع ومعنى الخوف!»

توقفَت العجوز لبُرهةٍ من الزمن، ثم قالت: «هناك شيء هام يتعين عليَّ أن أُخبركما به، ولكن يتعين علينا أولًا أن نُغادر القرية إلى الغابة. في هذه الأيام يجب أن تتمَّ مناقشةُ أي معلومةٍ هامة في الأدغال خارجَ حدود القرية حيث تكون الأرض حيادية لا يملكها أحد.»

وهكذا ذهبوا جميعًا إلى هناك، وأضافت: «سأُخبركما كيف تستطيعان قتل الثور لأنكما تعاملتُما معي بكل الاحترام الذي يستحقُّه أمثالي. لقد تخلَّى عنِّي جميعُ أهل القرية وتركوني أعيش حياةً بلا كرامة؛ أجمع الفُتات، وأُواجه مصاعبَ الحياة بمفردي وأنا في أرذل العُمر. ولذلك أصبح كلُّ همي أن يموتوا جميعًا. ولكنني الآن مُستعدَّة للموت بعدما أظهرتُما تجاهي كلَّ هذا الاحترام الذي أستحقُّه. وقبل أن أُخبركما كيف تقتلان هذا الثور أُريد منكما أن تَعِداني بالاهتمام بحفيدتي مِن بعدي. اهتمَّا بها كما لو كانت أحدَ أفراد أسرتكما.»

وقال الأخوان بصوتٍ واحد: «نعم، نُوافق على ذلك.»

فأجابت: «حسنًا، غدًا عند شروق الشمس توجَّها نحو الدَّرب الجنوبي حتى تتجاوَزا حدود القرية حيث ستجدان صفًّا من الأشجار في بستانٍ على الطرف الأيمن في سهول السافانا. وستجدان بعد ذلك صفًّا آخرَ أيضًا من الأشجار في بستانٍ على الطرف الأيمن نفسِه، ويُوجَد وراءه نبعُ ماءٍ أذهب إليه كلَّ يومٍ لأشربَ منه وأحملَ منه حاجتي إلى الكوخ. كونا هناك في الوقت المُحدَّد، وتمَوْضعا وراء أقرب شجرةٍ للنبع، وكونا حذِرَين إذ يجب عليكما أولًا أن تغمسا رءوس سِهامكما في مزيجٍ من مسحوق ثمار جوز الكولا، وبعضٍ من روَث الحيوانات، وماء الأرز، وخذا معكما هذه العصا، وقوما بتوجيهها نحوي ثلاثَ مرَّاتٍ قبل أن تُطلقوا سهامكما. وإذا لم تقوما بتوجيهها نحوي ثلاث مرات، أو إذا لم تقوما قبل ذلك بغمس سهامكما كما قلتُ لكما، فلن تتمكَّنا من قتلي، وسيكون الوقت المناسب لإطلاق سهامكما عندما أشرب الماء من النبع.» وما إن انتهت العجوز من قول ذلك حتى استدارت عائدةً إلى بيتها.

وعاد الأخَوان أيضًا إلى بيتهما. وفي الطريق سأل كانكيجان شقيقه الأكبر: «هل يُمكن أن يكون ذلك صحيحًا؟»

وقال كيراما: «وماذا لو كان ذلك مجردَ خدعة للإيقاع بنا؟ نحن نعلم أن هناك جانبًا غامضًا في شخصية هذه العجوز؛ فإرسالنا إلى الثور بهذه الطريقة يعني إرسالنا لنلقى حتفنا. سنكون حمقى لو قُمنا بذلك.»

وقال كانكيجان: «لكن الكاهن سامبو قال لنا إننا لن نتمكَّن من قتل الثور إذا استخدَمْنا سِهامنا العادية، والجميع قالوا لنا إن هذه السهام غيرُ فعَّالة في كل الأحوال بسبب سَماكة جلد الثور. وفي الوقت نفسِه وطيلة فترة وجودنا هنا لم يتقدَّم إلينا أحد بأي أفكارٍ أو نصائحَ حول الوسيلة المُثْلى لقتل الثور؛ ولذلك دعْنا نتبع نصيحتها كما قالتها لنا بالضبط.»

وفي صباح اليوم التالي، وقبل الفجر بقليل، أعدَّ الأخَوان مزيجًا من جوز الكولا وروث الحيوانات وماء الأرز وقاما بغمس السهام فيه، ثم نهضا وسارا على الدَّرب الجنوبي حتى تجاوَزا البُستان الأول على الطرف الأيمن نفسِه من سهول السافانا، لِيَصلا بعدَها إلى البستان الثاني ويتسلَّقا إحدى الأشجار الموجودة فيه، القريبة جدًّا من نبع الماء. وما إن بدأت الشمس في الشروق حتى ظهر أمامَهما ثور كبير أسودُ اللون بقرونٍ فِضية وهو يسير نحوَ نبع الماء ويبدأ في الشرب من حافته. أخذ كانكيجان — وهو يعلم تمامًا أنه إذا لم تتكلَّل هذه الخُطة بالنجاح فإن صوت السهام المتوجهة نحو الثور سوف يكشف مكانهما في أعلى الشجرة بكل تأكيد — يتصوَّر العجوز وهي تُقدِّم لهما النصيحة بكل صدقٍ وإخلاص، وقام بإطلاق سهمه بكل قوةٍ ليسقط مِن بعدها الثور على الأرض وهو يُطلِق خُوارًا مُرعبًا.

هل يُمكن أن يحدُث هذا؟ انتظر الأخَوان وقتًا طويلًا ليتأكَّدا من موت الثور، وقاما بعدها بالنزول عن الشجرة. شعر الأخوان بفرحٍ شديد لتمكُّنِهما من قتل الثور الذي روَّع أهل القرية ومنعهم من الصيد لفترةٍ طويلة، وعمد كانكيجان إلى قطع ذيل الثور قبل أن يعود مع أخيه إلى القرية.

وما إن وصلا ساحة القرية حتى توجَّها مباشرة نحو كوخ زعيم القرية وقدَّما له ذيل الثور كإثباتٍ يُؤكد موت الثور المتوحش. وبينما كانا يُحدِّثانه عن تفاصيل المهمة التي قاما بها بنجاح، هطل المطرُ فجأةً بغزارةٍ فوق القرية. وفي الوقت الذي غادرا فيه كوخ زعيم القرية كان المطر لا يزال يهطل مدرارًا فوق بيوت القرية وحقولها.

أصبح الأخَوان الشابَّان بطَلَين شهيرَين في قرية سيجو، وكما كانت عليه العادة، أقام زعيمُ القرية حفلًا كبيرًا بمناسبة هذا النصر المؤزَّر. وسأل الأخوان عمَّا يُريدان كمكافأةٍ لهما لقاءَ هذا العمل البطولي الذي قاما به؛ مما أنقذ القريةَ وأهلها من هلاكٍ مُحقَّق. تذكر الأخَوان في هذه اللحظة وعدَهُما للكاهن؛ فقال كيراما: «يُوجَد في أقصى القرية امرأة عجوز تعيش مع حفيدتها؛ نريد هذه الفتاة كمكافأةٍ لنا.»

وقال زعيم القرية: «هل تقصدان حفيدة المرأة العجوز التي تُوفِّيت منذ قليل؟» إنها ليست مكافأةً مناسبة لأبطالٍ مثلكما؛ فهي تعيش في كوخ رثٍّ وتلبس الأسمالَ البالية. يُوجَد في قريتنا الكثيرُ من الفتيات الجميلات بشُعورٍ سوداءَ طويلة وجميلة، وذوات حسبٍ ونسَب. ويُشرفنا أن نُقدم لكما واحدةً من هذه الفتيات عوضًا عنها.»

تذكر الأخوان وعدَهما للعجوز كوني فقالا مرةً ثانية: «لا، شكرًا لكما. هذه الفتاة هي ما نريد.»

وهكذا وجد زعيم القرية نفسه مُضطرًّا إلى تقديم حفيدةِ كوني كمكافأةٍ لهما. كانت في الواقع في حالة يُرثى لها كما قال عنها، وقام الأخَوان بتمكينها من الاستحمام، وقدَّما لها الثياب الجديدة، وعادا بها إلى الكاهن سامبو الذي أُعجب بها وأُعجبت به كثيرًا، وتزوَّجا بعدها في اليوم التالي.

عاش الكاهن وزوجته الشابة في سعادةٍ أبدية بعد أن رزقهما الله الكثيرَ من الأولاد والأحفاد، أصبح أحدُهم الإمبراطور كيتا سونديانا، المحارب الأسطوري الذي وحَّد مالي في القرن الثالث عشر، وجعل منها إمبراطورية كبيرة مرهوبةَ الجانب في غرب أفريقيا.

السحاب

انظروا إلى السماء فوقكم؛ سترَون سحُبًا منتشرة في أماكِن متفرقة. وهناك أنواعٌ عديدة منها مُتباينة في الشكل والحجم؛ فبعض السحب تكون مُنتفِخة، وبعضُها الآخر يكون رقيقًا، كما يكون بعضها كبيرَ الحجم، وبعضها الآخر صغير الحجم، حتى أن بعضها يُشبه أشكالًا مألوفة لدَينا:

(١) هل سبق وتساءلتم كيف تتشكَّل السحب؟ تتشكَّل من تكاثف يُمكن مشاهدتُه بالعين لجزيئاتِ بُخار الماء. ويحدُث التبخُّر عندما يتحوَّل الماء من سائلٍ إلى غاز.

(٢) ويتبخَّر الماء من مصادرَ عديدةٍ مِن حولنا؛ مثل البحيرات، والأنهار، والمُحيطات. هل يُمكنكم أن تُخمِّنوا مصدر المياه الرئيسي للسحاب؟

(٣) المصدر الرئيسي هو المُحيطات. والسبب في ذلك هو أن المحيطات تُشكِّل جزءًا كبيرًا من العالَم يصل إلى ٧١٪ من مجمل مساحة الأرض.

(٤) ويتبخَّر الماء ويصير غازًا، ويرتفع هذا الغازُ ويختلط بجُسيمات في الهواء، ويرتفع ويرتفع إلى أن يبرد، ويتجمَّع في جزءٍ واحد في السماء مُكونًا سحابة.

(٥) ويعتمد نوع السحاب المُتشكِّل على حالة الطقس؛ فالعديد منه يتشكَّل على ارتفاعاتٍ مختلفة في الغلاف الجوي، كما يتغير شكله بحسْب درجات الحرارة أيضًا.

(٦) ويُوجَد هناك ثلاثةُ أنواعٍ رئيسية للسحاب: السمحاقي، والطبقي، والركامي. وكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة له شكلٌ مختلف، كما يُوجَد بعض السحاب على ارتفاعاتٍ عالية في الغلاف الجوي في حين يكون بعضها الآخر منخفضًا قريبًا من سطح الأرض.

(٧) هذه السحابة هي من نوع السمحاقي، وهي تتشكَّل في أعلى طبقات الغلاف الجوي، وهذا الارتفاع العالي والرياح يجعلانها تتحوَّل إلى سحابة رقيقة.

(٨) وهذه السحابة هي من النوع الطبقي التي تتشكل على ارتفاعاتٍ منخفضة، وتتميز بكونها مسطحة وقريبة من سطح الأرض. ويُعتبر الضباب سحابةً طبقية.

(٩) وهذا سحاب ركامي، وهو يُعتبر الأكثرَ سماكة بين السحاب. وتكون قاعدته غالبًا مسطَّحة ونموُّه بشكل رأسي أكثر من نموِّه بشكلٍ أفقي، ويُمكن أن يكون لجُزئه العلويِّ رءوسٌ طويلة في الأعلى.

(١٠) أحد أنواع السحاب الركامي يُسمَّى بالمزن الركامي. وربما تُعرَف أيضًا هذه السحب باسم السحب الممطرة.

(١١) ويُمكن للماء أن يتَّخذ أشكالًا عديدة أثناء سقوطه من السحاب مثل المطر، والثلج، والبَرَد، والسليت (حبيبات جليد مختلطة مع المطر أو الثلج). إن الكلمة التي تصف سقوط الماء من السماء هي هطول المطر.

(١٢) ويحدُث هطولُ المطر عندما يتجمَّع الكثير جدًّا من الماء في السحاب؛ بحيث لا يعود باستطاعته الاحتفاظُ بكل هذا الماء في ثناياه، فيقوم بالسقوط إلى سطح الأرض. وغالبًا ما تُحدِّد درجاتُ الحرارة نوع الهطولات المطرية التي تتشكل.

(١٣) ويتشكَّل الثلج عندما تكون درجات الحرارة باردةً بما يكفي لتجمُّد الماء في السحاب. إنَّ التجمُّد في طبقات الغلاف الجوي يجعل الماء يتحوَّل إلى أشكالٍ بلورية صغيرة. وإذا بقِيَت البلورات على هذا الشكل أثناء سقوطها ولم تَذُب فإنها تُصبح ثلجًا.

(١٤) كما يتشكل البَرَد عندما تكون درجات الحرارة باردةً أيضًا. ويبدو البرَد مثل صخورٍ ثلجية. ويُصبح الماء في السحاب على شكل بَرَدٍ بتأثير الرياح القوية التي تقوم بدفع قطرات الماء المُتجمِّدة على أشكالٍ بلورية إلى أعلى طبقات الغلاف الجوي مرةً ثانية؛ حيث يتجمَّع بعضها مع بعضٍ لِتُصبح كتلًا كبيرة. ويستمر هذا التشكُّل في الحدوث حتى تُصبح قطرات الماء أثقلَ من قدرة الرياح على دفعها إلى الأعلى، فتسقُط إلى سطح الأرض.

(١٥) ويتشكَّل جمْدُ المطر عندما تكون طبقة الهواء ساخنة. وتبدأ قطرات الماء بالسقوط من السحاب وبالتجمُّد. وعندما تمرُّ عبر طبقة الهواء الساخن تذوب، وبعدها تتجمَّد مرةً ثانية أثناء مُواصلة سقوطها إلى سطح الأرض.

(١٦) وأثناء هبوب العواصف، يُمكن رؤية وَمِيض البرق في السماء. والبرق عبارةٌ عن تيَّارٍ كهربائي يتشكَّل خلال العواصف الرعدية.

(١٧) وتتحرَّك قطرات الماء داخل السحاب، ويصطدم بعضها مع بعض، وينشأُ عن هذا التحرك تراكمُ الكهرباء، ويكون السحاب ذا شحنةٍ سلبية، والأرض ذاتَ شحنة إيجابية؛ فيتمُّ الاستقطاب بينهما لِيَنجم عن ذلك وميضُ الكهرباء الذي نراه في السماء.

(١٨) وينشأ صوت الرعد بسبب البرق الذي يُولِّد حرارة في السحاب، فينجم عن ذلك تمدُّدُ الهواء حوله. وهذا ما يُؤدي إلى حدوث دويٍّ كبير نُسمِّيه الرعد.

(١٩) ويُعتبَر السحاب على درجةٍ من الأهمية؛ فهو يُساعد في المحافظة على مُناخ الأرض، عن طريق عكس أشعة الشمس وامتصاصها، كما يُنظِّم مقدار كمية أشعة الشمس التي تصل إلى سطح الأرض.

(٢٠) ويُساعد السحاب أيضًا على نقل الماء من مكانٍ لآخر. ولولا وجودُ السحاب، والرياح، والأمطار، لانحصَر الماء في عُمق المحيطات للأبد. وهكذا يُعتبَر السحاب ناقلًا دوليًّا للماء إلى أعالي الجبال، وإلى مَنابع الأنهار، وهذا ما يُسمَّى بدورة المياه.

(٢١) إن كلَّ ما ترَونه من ماءٍ حولَكم كان على الدوام جزءًا من غيمةٍ ماطرة، وسوف يكون كذلك مرةً ثانية كما كان عليه من قبلُ في يومٍ من الأيام. وهكذا يُمكنكم أن تشكروا السحاب كلما شربتم الماء!

الكرة السحرية

في وقتٍ من الأوقات، عاشت ساحرةٌ ذات نظراتٍ حادَّة وثاقبة على سفوح جبال الإنديز. تنام طيلةَ فصل الصيف، وتستيقظ مع هطولات الثلج الأولى وهي مليئة بالفرَح. كان فصل الشتاء هو الوقت الأمثل لها للصيد وتناوُلِ الطعام، وكانت تستطيع بقدراتٍ سحرية غامضة استدراجَ ضحاياها من الأطفال الواحدَ تلوَ الآخر. لم يتمكن أحدٌ من معرفة هذا السر الغامض، ولكن الحقيقة أنها كانت تملك كرةً سحرية ملوَّنة مُتوهجة ولامعة، كانت تتركها حيث يلعب الأطفال الصغار، ولكن بعيدة عن مجال رؤية الكبار.

وسرعان ما قامت نتاليا بالركض نحو الكرة، ولكنها شعرَت بالدهشة الشديدة عندما رأَت الكرةَ السحرية، بعد أن أصبحت قريبةً منها، تتدحرجُ بعيدًا عنها لمسافةٍ قصيرة قبل أن تستقرَّ مرةً ثانية. عاودَت نتاليا الركض نحوَ الكرة السحرية مرة ثانية، وكادت تُمسك بها هذه المرة، ولكنها كانت تتدحرج وتطير دائمًا أمامها مثل الزغب الخفيف المُعلَّق على نبات الشوك ويكون دائمًا في مهبِّ الريح.

وهكذا استمرَّت نتاليا بالركض وراء هذه الكرة السحرية، وكانت كلما تُوشك أن تُمسك بها تُفلِت من بين أصابعها. وبينما كانت هي على هذا الحال، كان شقيقها لويس يركض وراءها أيضًا خشيةَ أن يُصيبها مكروه وهي تجري وراء هذه الكرة السحرية. وكان الأمر الغريب أنه كلما توقفَت هذه الكرة كانت تستقرُّ بجانب شجرة كَرز أو نبعِ ماءٍ تتدفَّق منه مياهٌ صافية عذبة. وهكذا كانت نتاليا، مثل جميع الأطفال الذين سبقوها في سعيِهم للإمساك بالكرة السحرية، تجد، عندما كانت تستريح قليلًا من الركض وراءَ الكرة السحرية، شيئًا لذيذًا لتأكله وماءً صافيًا لتشربه؛ لكي تُجدِّد مِن عزمها وقُدرتها على متابعة الجري وراء الكرة.

وأخيرًا وصلت نتاليا ولويس، وهما يَجرِيان وراء الكرة، إلى مكانٍ في الوادي حيث يتدفَّق نهرٌ بقوةٍ من بين تَلَّين عالِيَين. كانت أرض الوادي مليئةً بالصخور القاسية المُحطمة، تُغطيها طبقةٌ صغيرة من الثلوج يتطاير منها من وقتٍ إلى آخر ندفُ الثلج البيضاء وسط رائحة هواءٍ ثقيل وكئيب تُشبه رائحة العفونة. وفجأةً أُصيبت نتاليا وشقيقها بذُعرٍ شديد بعدما أيقنا بأنهما قد ابتعدا كثيرًا عن البيت أثناء جريهما في اتجاهاتٍ مختلفة وراء الكرة، وبأنهما قد أضاعا بالفعل طريقَ العودة، لكن الكرة السحرية كانت لا تزال تتدحرج أمامهما وإن كان بوتيرة أبطأ مما سبق، وهكذا تابعَت نتاليا وشقيقُها الجري وراء الكرة، وأصبح الهواء أكثرَ قوةً وبرودة، والشمس تُواصل الانحدار حتى كادت أن تغيب. وشعرا بسعادة حقيقية عندما وصلا إلى صخرةٍ سوداء كبيرة ورأَيا الكرة تتوقَّف عندها.

وسارعَت نتاليا للإمساك بالكرة، وأخذَت تُحدِّق في جمالها، ولكن ذلك لم يستمرَّ لأكثر من لحظاتٍ معدودة لأن الكرة تلاشت بسرعةٍ من بين يدَيها واختفت عن ناظِرَيها مثل فقاعة الصابون، وأخذت نتاليا، نتيجةً لذلك، تبكي في حزنٍ شديد. حاول شقيقها لويس أن يُهوِّن عليها الأمر، وعندما وجد أن يدَيها أصبحتا باردتَين جدًّا، أخذها إلى قُرب الصخرة، وقال في نفسه إنه بعد أن تستريحَ شقيقته، سيتعيَّن عليهما حتمًا أن يجدا طريق عودتهما إلى البيت. وحاول أن يُغالب النُّعاس لكي يبقى يقظًا ويتمكَّن من حراسة شقيقته وهي نائمة حتى إنه كان يُمسك جفونه بيدَيه لكي يُبقيَها مفتوحة. ولكن ذلك جعله فيما يبدو يشعر بالنعاس بشكلٍ أكثر. وبعد ذلك بقليل، وبينما كانت أشجار الصنوبر تتمايل أمامه بهدوءٍ بفعل الريح، وأوراقُها تتهامس حوله وحول شقيقته، غطَّ لويس في نومٍ عميق بجانب شقيقته.

كانت نتاليا ترقُد في مكانٍ مُريح بجانب الصخرة السوداء الكبيرة بعيدة عن مجرى الريح، وأخذت تحلم بأنها قد عادت إلى البيت وأن أُمَّها تُمشِّط شعرها وهي تُغني لها، كما تفعل في كل يوم. ولكنها شعرَت بأن أمَّها أصبحت تقوم بذلك بلا مبالاةٍ وبشيءٍ من العنف، لدرجةٍ أنها أخذت تشدُّ شعرها؛ مما جعلها تصرُخ من الألم وتستيقظ من النوم على الفور. حاولت نتاليا أن تنهض من مرقدها، ولكنها لم تتمكَّنْ من ذلك.

وسقط قلبُها بين قدمَيها عندما أدركَت ما حدث: بينما كانت نائمة، قامت الساحرة العجوز في جبال الإنديز بتمشيط شعرها وشَدِّه بخشونة، وألقت عليها تعويذةً شريرةً لكي ينموَ شعرها بشكلٍ مُلاصق للصخرة الكبيرة؛ مما جعلها عالقةً بالصخرة وغير قادرة على

تحريك رأسها بشكل كامل. وكان كلُّ ما تستطيع القيام به نتيجة لذلك هو أن تمدَّ يدَيها إلى الأمام. وعندما رأت شقيقها لويس يقِف في مكانٍ ليس ببعيدٍ عنها قامت بمناداته بأسًى شديد لمساعدتها في النهوض. لقد عقَلَت الساحرةُ العجوز حركةَ نتاليا بتعويذةٍ شريرة، وأحاطت الصخرة التي ترقد عليها بجدارٍ دائري خفي لا يستطيع شقيقُها تسلُّقَه، مهما حاول، للوصول إليها لمساعدتها.

ونادت نتاليا على شقيقها عبر الجدار الخفي وهي تبكي: «أخي، تعال إليَّ؛ أشعر بخوفٍ شديد.»

وقال شقيقها: «يا أختي، أنا أُحاول ذلك، ولكني لا أستطيع؛ هناك شيء ما أمامي لا أستطيع تجاوُزَه يمنعني من الوصول إليك. إني أراك ولكني لا أستطيع الوصول إليك.»

وسألَت نتاليا شقيقها: «ألا تستطيع يا عزيزي لويس التسلُّق للوصول إليَّ؟»

«لا يا نتاليا؛ لقد تسلقتُ أعلى ما أستطيع، ولكن الجدار الذي لا أستطيع رؤيته يزدادُ ارتفاعًا باستمرار، ولكني سأظلُّ هنا بقُربك فلا تخافي.»

وكانت تقف بالقُرب منهما بومةٌ بيضاء كبيرة على غصن شجرةٍ وهي تُغني.

قالت نتاليا بعد ذلك: «ألا تسمع يا أخي ماذا تقول هذه البومة العجوز؟»

«نعم يا أختي.»

وسألَته: «ألا يعني هذا شيئًا بالنسبة لك؟»

فأجابها قائلًا: «لا شيء.»

فقالت نتاليا: «اسمع ثانيةً هذه الكلمات: «احمينا من الضوء ونار الشعلة الحمراء».»

«لقد سمعتُ ذلك يا نتاليا، ولكن ماذا يعني كلُّ هذا؟»

«هذا يعني يا أخي أن الأرواح في هذا الوادي الرهيب تخشى النار، وهذا هو بالضبط ما يتعيَّن عليك أن تُحضره معك. دعْني الآن وانطلِق حتى تجد النار فتأتيَ بقبسٍ منها بسرعة. سأشعر بالخوف الشديد لكوني سأبقى وحدي؛ ولذلك أسرع من فضلك بقدر ما تستطيع!»

شعر لويس بالحزن الشديد لدى سماعه ذلك؛ لأنه لم يُهيِّئ نفسه ليترك شقيقته تُواجه هذه المصيبة بمُفردها، ولكنها ألحَّت عليه في الذَّهاب وقالت وهي تحثُّه على ذلك: «أسرع يا أخي أسرع، أحضر النار بسرعة!»

وبعد ذلك بقليلٍ ظهر صقرٌ كبيرٌ في السماء يُحلق بجَناحَين كبيرين، ومرَّ سريعًا فوق الصخرة حيث ترقد نتاليا وهو يقول: «النار تهزم برودة الموت.»

وقالت نتاليا: «هل سمعتَ ذلك يا أخي؟ الصقر العجوز يقول الشيء نفسَه. يجب عليك أن تُسرع في الذَّهاب حتى تجد النار وتعود بشعلةٍ منها قبل حلول الظلام، وقبل فوات الأوان.»

قام لويس على الفور بوداع شقيقته وتوجَّه نحوَ أسفل الوادي وهو يتتبَّع بعينَيه المُتعَبتَين الصقر يُحلق جَيئةً وذَهابًا في الفضاء الرحب. كان لويس يُدرك في أعماقه أن هذا الصقر العجوز يُريد أن يُرشده للذَّهاب إلى مكانٍ ما. وظل لويس يتتبَّع الصقر العجوز حتى وصل إلى منبع نهر ريو تشيكو؛ فقام بمواصلة السير على ضفَّته حتى وصل إلى مُلتقى نهرَين في بحيرة كبيرة.

ووجد عند مُلتقى النهرَين بيتًا مُتهالكًا، مَبنيًّا من الطين والحجر بين ثنايا التِّلال الدافئة. لم يجد أحدًا في البيت.

ولكن ما إن أخذ الصقرُ العجوز يحوم عاليًا بشكلٍ دائري فوق البيت والبحيرة مُشكلًا نقطةً صغيرة في السماء لا تُخطِئها العين، حتى أدرك لويس على الفور أنه وصل إلى مُبتغاه. وفتح باب البيت ووجد في المَوقد الجداري جذوة نيران لم تخمد بعد، والكثير من الرماد الحار، فعرَف على الفور أنه يُوجَد هنا مَن يسكن في هذا البيت؛ فعزم، كما يفعل عادةً جميعُ سكان المنطقة في مثل هذه الحالات، على القيام بأشياء مفيدة، فقام بجلب الماء العذب من النبع، وبجمع الحطب ووضعه بشكلٍ مُرتَّب أمام المَوقد، كما قام بإذكاء النار بوضع قِطعٍ جديدة من الحطب فوقها حتى تأجَّجت النار وانتشر الدفء في البيت.

لم يكَد لويس ينتهي مما يقوم به إلا ورأى الرجل صاحب البيت داخلًا عليه وجلس بجانب المَوقد لينعمَ بالدفء. كان يجلس على كرسيٍّ من الخشب ويهزُّ برأسه طيلة الوقت. وقدَّم للويس الخبزَ الساخن والشايَ المُحلَّى بالسكر والحليب. وبعد أن انتهيا من تناول طعامهما وإطفاء ظمئهما بدأ الرجل العجوز في الحديث. وهذا ما قاله: «إن الساحرة العجوز في جبال الإنديز شريرة وبلا رحمة أو شفقة، وهناك طريقة وحيدة لهزيمتها. والآن قل لي أيها الشاب، ما هي الطريقة المُثلى للتخلُّص من هذه الساحرة الشريرة؟»

وتذكَّر لويس على الفور ما قاله الصقر الكبير، وقام بتَكرار ما قاله الصقر أمام صاحب البيت: «النار تهزم برودة الموت.»

فقال الرجل العجوز على الفور وهو يهزُّ برأسه موافقًا: «هذا صحيح يا بُني، وشقيقتك لا تزال هناك. والآن جاءنا صديقنا الصقر العجوز الذي يستطيع أن يرى الأشياء البعيدة ويعرف أفضلَ منا.» يقول الصقر العجوز:

«الآن مع البرد الشديد يُصبح تنفسها صعبًا، والنار تهزم برودة الموت وكل الأشياء حتمًا.»

وهكذا قام الرجل العجوز بإعطاء لويس قبَسًا من النار؛ ليعود به إلى شقيقته، ويتمكن من إنقاذها.

وانطلق لويس على الفور وبأسرعِ ما يستطيع مُتوجهًا نحو مكان شقيقته وهو يحمل بيدِه شعلة النار، وقام بقطع المُستنقعات والترَع في خطٍّ مُستقيم كسبًا للوقت. وبعد فترة من الوقت وصل لويس إلى مُستنقع صغير مياهُه ضحلة. وقام بخوض المُستنقَع والماء يتطاير على جانبَيه. كان يُمسك بشعلة النار عاليًا ولكن ليس بما يكفي؛ مما جعل الماء المُتطاير يصل إليها ويُطفئها. وهكذا عاد لويس أدراجَه إلى الرجل العجوز وهو يشعر بحزنٍ شديد وقام بوضع شعلة النار الخامدة أمام قدَمَيه.

قال لويس: «من فضلك أعطني شعلة نارٍ أخرى؛ لأن شقيقتي لا بدَّ أنها تتجمَّد الآن من شدة البرد وحدَها بجانب الصخرة، ومن يدري؛ لعلَّ العجوز وصلَت بالفعل!»

أعطى الرجل العجوز شعلةَ نارٍ أخرى للويس الشجاع الذي انطلق على الفور على طول طريق العودة نحوَ المكان الذي ترك فيه شقيقته، وأخذ يجري بكل طاقته عبر السهول والأراضي الوعرة المليئة بالمُستنقعات، وعبر التلال التي تُغطيها الثلوج كان يتوقَّف خلالها لأوقاتٍ قصيرة يلتقط خلالها أنفاسه، ولكن وللأسف الشديد سقطت شعلة النار من يده بين الثلوج عندما كان يُحاول أن يُحكِم قبضته عليها. وعندما التقطها من بين الثلوج كانت قد تحوَّلَت على الفور إلى قطعةٍ من الفحم الأسود. شعر لويس بألمٍ شديد في داخله، ولم يكن أمامه إلا أن يعود أدراجه مرة أخرى إلى بيت الرجل العجوز ويضع أمامه شعلة النار الخامدة، ويطلُب منه أن يُعطيه عوضًا عنها شعلة نار جديدة للمرة الثالثة.

وقال العجوز: «حسنًا. ها هو صديقنا الصقر العجوز قد أتى من جديد. يجب علينا أن نسمع ما سيقوله لنا.»

أخذ الصقر العجوز يُحلِّق فوق الرجُلَين على ارتفاعٍ مُنخفض وهو يقول:

«أصبح تنفُّس الفتاة الآن أكثر صعوبة، سوف تموت لا محالة خلال الليل من شدة الصقيع.»

وانطلق الصقر العجوز بعدها كالسهم في أعالي السماء حتى غاب عن الأنظار.

وللمرة الثالثة أمسك لويس بقوةٍ بطرَف شعلة النار، وأخذ يجري بكل قوته حول البحيرة ليتوجَّه بعدَها مباشرة نحو الجبل. كان يُمسك بطرف شعلة النار بيده اليُمنى بإحكامٍ وبكل قوته، حتى إنه أخذ يشعر بألمٍ في أصابع يده، ومع ذلك لم يُرخِ قبضة يده أبدًا ولا حتى لثانية، وأخذ يُواصل الجري بكل طاقته يُسابق الريح مثل غزلان البوادي. وصادف في هذه الأثناء وجود طائر الفلامنكو الذي سارع إلى نشر جَناحَيه الكبيرين أمام لويس ليعملا كشراع سفينة. وقام لويس بوضع يده اليُسرى على ظهر الطائر ممَّا مكَّنه من الجري بنفس سرعة الفلامنكو وهو يُمسك بإحكامٍ بظهر الطائر الذي أخذ يرتفع رويدًا رويدًا في السماء لينطلق بعدها كالسهم في الفضاء الرحب. كانت نار الشعلة خلالها تُصيب الطائر في عنقه وصدره حتى أصبح لونهما أحمر. ومع ذلك استمرَّ الطائر في الطيران بأسرع ما يستطيع.

وهكذا واصل طائر الفلامنكو التحليق بشكلٍ مباشر وبأقصى سرعته وهو يحمل على ظهره لويس مُمسكًا بإحكامٍ بشعلة النار حتى تجاوزا الواديَ واقتربا كثيرًا من الصخرة التي كانت ترقد بجانبها نتاليا بدون حَراك. وقام لويس على الفور بإلقاء شعلة النار فوق كومةٍ من الطحالب اليابسة بجوار الصخرة. وأخذَت ألْسِنة النيران على الفور تتراقَصُ فوق الصخرة وتُمزقها إلى مئات القطع المُتناثرة وهي تُصدِر أصواتًا مُرتفعة. وهكذا تلاشت قوة الساحرة العجوز في جبال الإنديز بعد أن زال تأثيرُ تعويذاتها الشريرة إلى غير رجعة. وتحرَّرَت نتاليا على الفور من عِقالها. وقامت برفقٍ بلمس عُنق وصدر طائر الفلامنكو بيدَيها الناعِمتَين والباردتَين ليزول عنهما معظمُ الأذى الذي لحق بهما من شَعلة النار، ولكن بقي على صدره شيءٌ من الاحمرار منذ ذلك الوقت وحتى هذا اليوم.

وبالنسبة إلى نتاليا وشقيقها لويس فقد عاشا لسنواتٍ طويلة جدًّا في الوادي الأخضر حيث كان يتجمع حولهما الكثيرُ من الطيور التي كانت تلعب طوال الوقت وتعتني بصغارها بجوارهما، وبقِيَت الأحداثُ المُرتبطة بكرة الساحرة العجوز مجردَ ذكرياتٍ عابرة كانت تتلاشى في ذاكرتهما يومًا بعد يوم.

الحِصان السحري

نحتفل بمَقْدم السنة الجديدة في بداية شهر يناير، لكن في بلاد فارس القديمة، كان يَجري الاحتفال بقدوم العام الجديد في بداية فصلِ الربيع. وكان يتضمَّن الاحتفالُ بهذه المناسبة إقامةَ وليمةٍ كبيرة في طول البلاد وعَرضها، ودعوة الفنانين والحرفيِّين والغُرباء إلى البلاط الملكي لتقديمِ أجمل عروضهم وإظهار مواهبهم ومهاراتهم أمام الملك. وإذا ما لاقى أيٌّ من هذه العروض رضا الملك واستحسانَه يُقدِّم مكافأة لصاحبها لقاء ذلك.

وفي إحدى هذه المناسبات وقبل اختتام العروض المُقدَّمة أمام الملك، جاء مُسافر تفوح منه رائحةُ الطرقات وقدَّم بين يدَي الملك حِصانًا جميلًا مصنوعًا من الخشب، مُزخرفًا بزخارفَ جميلة وملونة.

وقال للملك: «أعتقد يا سيدي أن جلالتكم لم تُشاهدوا حصانًا بجمال هذا الحصان من قبل.»

فقال الملك وهو مُقطَّب الجبين: «أي فنان متمكِّن من أدواته يمكن أن يصنع حصانًا مثل هذا.»

وقال المسافر الغريب: «الأمر لا يتعلق هنا يا سيدي بالزخارف الجميلة والملوَّنة كما ترى، ولكن استخداماته هي التي تجعل هذا الحصان شيئًا استثنائيًّا وفريدًا؛ فأنا أستطيع أن أمتطيَه وأُحلِّق به في السماء إلى أقاصي المعمورة وفي سرعة البرق، كما أنني أستطيع أن أُدرِّب الآخرين على امتطائه أيضًا.»

بدا الملك مُهتمًّا بذلك؛ فقال وهو يُشير بيده نحو جبلٍ يبعُد أكثر من ١٥ كيلومترًا عن المكان: «هناك في أعلى قمة هذا الجبل يُوجَد نخلة من صنفٍ خاص أُحب ثِمارها كثيرًا. اذهب إلى هناك إذا كان حِصانك سريعًا كما تدَّعي وأحضِر لي من هناك شيئًا من ثمارها.»

امتطى الغريب صَهوةَ حصانه على الفور وأخذ يشدُّ عِنانه إلى الأعلى، حتى أخذ يرتفع في الهواء وينطلق بسرعة البرق نحو قمة الجبل؛ ليعود المسافر الغريبُ بعد ١٥ دقيقة وهو يُمسك بيده غصنًا من النخلة مليئًا بالثمر الناضج ويضَعه أمام الملك.

أثار ذلك إعجابَ الملك، وعرض فورًا على الغريب أن يشتريَ منه الحصان. فقال الغريب: «يا جلالة الملك، إن الفنان الذي صنع لي هذا الفرس قد اشترط عليَّ ألا أتخلَّى عنه لأحدٍ مقابل أي مبلغٍ من المال وقد أقسمتُ أمامه على ذلك.»

فقال الملك: «وماذا تطلُب إذن مُقابِله في هذه الحالة؟» فأجاب الغريب بأنه سيكون سعيدًا لأن يتبرَّع بالحصان إذا تكرَّم الملك بالموافقة على زواجه من ابنته الأميرة.

وعندما سمعت حاشيةُ الملك هذا الطلبَ المُبالَغ فيه، انفجروا في الضحك. وشعر الأمير الشاب داريوس بالغضب الشديد، وزاد من شدَّة غضبه أن الملك بدا كما لو أنه يُفكر جديًّا بالعرض الذي تقدَّم به المسافر.

تقدَّم الأمير داريوس من الملك وقال: «عفوًا يا أبي. وهل من المعقول أن تتردَّد ولو لحظةً في أن تُجيب هذا الشخص الوقح برفض مثلِ هذا الطلب؟ وهل يُمكن أن تُغامر حتى بمجرد التفكير بأن ننتقص قيمةَ الأسرة الملكية بالارتباط ببائعٍ مُتجول؟»

كان الملك في الواقع يُفكر في شيءٍ آخر؛ كان يخشى إذا رفض طلب الرجل الغريب وسمع ملكٌ آخرُ بقصة هذا الحصان السحري، فقد يقوم على الفور بالحصول عليه. وطلب الملك من ابنه الأمير أن يتفحَّص الحصان بدقة ويُعلِمه رأيه بعد ذلك.

اقترب الأمير من الحصان، وسارع الغريب بالاقتراب أيضًا من الأمير ليُوضح له طريقة استخدام الحصان، لكن الأمير الشاب المغرور كان في حالة من الغضب الشديد مَنعَته من الاستماع؛ فقفز على ظهر الحصان وأمسك بعِنانه وهو يشده إلى الأعلى كما رأى الغريبَ يفعل من قبل عندما انطلق بالحصان نحو قمة الجبل. وفي لمح البصر أخذ الحصانُ يرتفع عاليًا في السماء وينطلق بعيدًا.

شعر الغريب بالقلق الشديد لرؤية الأمير الشاب ينطلق بالحصان في الهواء قبل أن يُرشده إلى كيفية قيادة الحصان بطريقةٍ سليمة وآمنة، فقام وألقى نفسه عند قدمَي الملك راجيًا منه ألا يُلقي باللوم عليه إذا ما وقع حادثٌ للأمير وهو على ظهر الحصان؛ لأن ذلك سيكون نتيجةَ تسرُّعه وعدم مُبالاته ممَّا عرَّضه للخطر. وسرعان ما أدرك الملك خطورة الموقف وما يحيق بابنه الأمير الشاب من مخاطرَ مُحتملة؛ فقام بلَعْن الغريب وحصانه المُميت وأمر حرَّاسه بالقبض عليه وسَوقه إلى السجن.

وقال له: «إن لم يتمكَّن ولدي الأمير من العودة بسلامٍ خلال فترة قصيرة، فسوف تدفع، على الأقل، حياتَك التافهة ثمنًا لذلك.»

كان الحصان ينطلق في أعالي السماء بالأمير داريوس بسرعةٍ تخطف الأبصار. ولم يَمضِ وقتٌ طويل حتى أصبحت الأرضُ ظاهرة بالكاد للأمير الذي حاول أن يُرخِيَ عِنان الحصان للأسفل، ولكن ذلك كان يجعل الحصان يرتفع في أعالي السماء أكثرَ فأكثر؛ فأخذ يشعر بالقلق الشديد ويلوم نفسه على غضبه وتسرُّعه وغروره. وحاول أن يلويَ عِنان الحصان في كل الاتجاهات لكن دون جدوى. وعندما قام بالنظر بإمعانٍ في عِنان الفرس المربوط حول عنقه، لاحظ أخيرًا وجودَ عنانٍ آخر صغيرٍ خلف أذن الحصان. وما إن أمسك به وأخذ يشدُّه نحوَه حتى أخذ الحصان يُخفف من سرعته ويبدأ في الهبوط.

وبينما كان يقترب من الأرض، أدرك أن الليل قد أرخى سُدُولَه، ولاحظ وجود سطحٍ عالٍ لأحد المنازل فقام بالنزول بالحصان فوقه بسلام. كان يشعر بالتعب والجوع الشديد، فقام بالبحث فيما حوله ليجد أنه قد نزل فوق سطح مبنًى كبير. وتمكن أخيرًا من الاهتداء والوصول إلى الدَّرَج المؤدِّي إلى داخل المبنى؛ فقام بالنزول حيث وجد بابًا وقنديلًا يُضيء ما حوله بشعاعٍ باهت. كان هناك عددٌ من الحرَّاس يبتسمون في نومهم، وكانت سيوفهم موضوعة بجانب كلٍّ منهم؛ الأمر الذي أقنعه، إلى جانب حقيقة كون سطح المبنى هو الأعلى عمَّن حوله، بأنه لا بدَّ أن يكون في قصر. وكان يُدرك تمامًا أنه إذا ما استيقظ أحد الحرَّاس لسببٍ ما فسوف تكون حياته بلا شك في خطر؛ فقرَّر العودة إلى السطح والنومَ في إحدى زواياه المظلمة حتى شروق الشمس، وبعدها ينطلق من جديدٍ عند حلول الفجر بحصانه السحري قبل أن يستيقظ أحدٌ من الحراس.

لكن أميرةً كانت قد استيقظَت من قبلُ عندما سمِعَت صوتَ وقوع شيءٍ ما على السطح، فطلبَت من الحُرَّاس استطلاعَ الأمر ومعرفةَ ماذا قد نزل فوق السطح وبأن يُحضروا أمامها في الحال الذي قد تعدَّى على حُرمة القصر. فقام الحراس بسَوق الأمير بطريقةٍ خشنة إلى الأميرة.

جثا الأميرُ أمامها على ركبتَيه على الفور وهو يقول: «سامحيني أيتها الأميرة على إيقاظك بهذه الطريقة. أنا ابنُ ملكٍ قام بمغامرة غير محسوبة وغير مُتوقَّعة على الإطلاق، وسأكون سعيدًا جدًّا لو سمحتِ لي بأن أرويَ لك تفاصيلها.»

كانت الأميرة هي نادية ابنة ملك البنغال، وكان الكثيرُ من حاشيته قد استيقظوا أيضًا مثل الأميرة في ذلك الوقت، فقالت الأميرة بأنها ستكون سعيدةً لسماع ذلك في الصباح،

ولكنها طلبت منه الذَّهاب في الوقت الحاضر إلى غرفةٍ طلبت ممَّن حولها تأمينها للأمير لكي يقضيَ فيها بقية الليل، يتوفر بها ما يكفي من الطعام والمشروبات.

أمضى الأمير اليوم التاليَ ضيفًا عند الأميرة. وفي الأيام التالية اللاحقة تعرَّفا بشكلٍ جيد إلى بعضهما البعض، ولم يمضِ وقتٌ طويل حتى وقع كلاهما في غرام الآخر.

وفي ظهيرة أحد الأيام، قال الأمير للأميرة: «يا أميرتي، كل شيءٍ يبدو الآن مُختلفًا عمَّا سبق. كنت أُفكر بهذا الوغد الذي كان يُحاول بشكلٍ احتيالي أن يشقَّ طريقه للانضمام إلى العائلة المالكة. من المؤكد أنه أشبَهُ بقملةٍ غير ذات قيمة، ولكنه قد يكون الآن في السجن أو حتى قد قُتِل بسببي عندما قفزتُ فوق الحصان قبل أن أُعطيه الفرصةَ الكافية ليشرح لي كيفية استخدامه.»

وقالت الأميرة: «وهل تُفكر الآن في العودة إلى هناك؟»

فسأل الأميرة: «وهل تعودين معي؟» كانت أميرة البنغال سعيدةً بالموافقة على العودة معه إلى مملكة والده.

وفي صباح اليوم التالي تركَت ورقةً صغيرة على طاولتها لكيلا يشعُر أحدٌ بالقلق عليها، وصعدت بصحبة الأمير عند شروق الشمس إلى السطح، حيث لا يزال يُوجَد الحِصان السحري. ساعد الأميرُ داريوس الأميرة في الصعود إلى ظهر الحصان وقام بإمساك عِنانه وشدِّه إلى الأعلى. أخذ الحصان على أثر ذلك بالارتفاع في أعالي السماء، وسرعان ما غابا عن الأنظار قبل أن يستيقظ أحدٌ في القصر. وبعد مُضيِّ حوالي نصف الساعة وصل الأمير إلى عاصمة بلاد فارس.

نزل الأمير بالحصان السحري برفقٍ فوق سطح السجن. كان الغريب مسجونًا هناك بالفعل كما كان يتوقَّع في غرفةٍ انفرادية، بعد أن تحدَّد موعد تنفيذ عقوبة الإعدام في صباح اليوم التالي. كان الأمير مُصرًّا على أن يتحدَّث إلى أبيه في هذا الشأن على الفور. واصطحب الأميرةَ على ظهر الحصان السحري إلى كوخٍ صغير في الغابة لا يبعُد كثيرًا عن القصر.

وقال لها: «امكُثي هنا ريثما أعود بعد أن أرى والدي ليتأكَّد من سلامتي، وأحُثَّه على التراجُع عن تنفيذ عقوبة القتل ضدَّ ذاك الغريب الذي أحضر لنا الحِصان الذهبي. ولكن الأهم من كل ذلك هو أن أُخْطِرَ والدي بكلِّ شيءٍ عنك، وأنا متأكد أنه سيُقيم حفل استقبالٍ مناسبًا يليق بك؛ للترحيب بقدومك إلى القصر.»

شرَح لها طريقة استخدام الحصان السحري وكل التفاصيل الأخرى المتعلقة بذلك، في حالِ اضطُرَّت إلى استخدامه للنجاة بنفسِها إذا ما واجهَت أي مخاطرَ أثناء غيابه.

في الواقع كانت الأخطار تُحيق بها حتى وهما يتحدَّثان معًا بعد أن تمكَّن لصٌّ وضيع من استراق السمع إلى كامل حديثهما. وأخذ يُفكر بفرحٍ شديد: «يا له من حظٍّ جيد حقًّا؛ أميرة بمفردها وحِصان سحري. سوف آخُذها إلى سلطان كشمير الذي يبحث عن زوجة، وأحصل منه مقابل ذلك على مكافأةٍ مُجزِية.»

انتظر اللصُّ حتى غادر الأمير واختفى بين الأشجار، ووضع الأميرةَ أمامه فوق الحصان السحري وانطلق به في أعالي السماء وهو يُمسك بها بإحكام. كان يشعُر بسعادة بالغةٍ للسهولة التي تمكن بها من تحقيق ما يُريد. وأخذ الأمير الشابُّ يشعر بالدهشة الكبيرة وهو في طريق العودة للقصر لسماعه صوتَ استغاثةِ مَحبوبته وهي تُحلِّق من فوقه على ظهر الحصان السحري الذي كان يحوم فوقَه باضطرابٍ بسبب عدم خبرة اللص في استخدامه. ولكنه لم يكن قادرًا على فعل أي شيءٍ حيالَ ذلك. فأخذ يشتمُ اللص الذي واصل تحليقه بالحصان، وابتعد شيئًا فشيئًا عن المدينة تُلاحقه آلاف اللعنات.

شعر الملك بالفرح الشديد لرؤية ولده الأمير من جديد، وأمر على الفور بوقف تنفيذ حُكم القتل ضدَّ المسافر الغريب صاحبِ الحصان السحري، وأدرك سبب ضرورة مغادرة ابنه من جديد، وعلى الفور بعد أن ارتدى ملابس المُتسوِّلين، أقسم ألا يعود حتى يتمكَّن من العثور على الأميرة ويُعيدها إلى القصر.

أُعجِب سلطان كشمير كثيرًا بأميرة البنغال، وأضفَت المحنة التي تعرَّضَت لها بخطفها على يد لصٍّ وضيع الكثيرَ على جمالها الطبيعي، أو هكذا صوَّر له خيالُه المريض. وفَّى السلطان بوعدِه وقدَّم المكافأة الموعودة لهذا اللص الوضيع، وقام باصطحاب الأميرة إلى قصره بعد أن طلب من حاشيته أن يُحضروا معهم الحصان السحري إلى داخل القصر.

كانت الأميرة تأمُل بأن يكون سلطان كشمير على درجةٍ من حُسن الخلق، وبما يكفي من الحسِّ السليم؛ لكي يُعيدها إلى محبوبها الأمير، ولكن أملَها خاب إلى درجةٍ كبيرة. في الواقع وفي صبيحة اليوم التالي استيقظت على أصوات الطبول والأبواق النحاسية التي كان يتردَّد صداها عبر القصر وفي المدينة. وعندما استفسرت عن سبب ذلك، قالوا لها إن ذلك بمناسبة الاحتفال بزواجها من السلطان الذي سيجري في وقتٍ مُتأخِّر من اليوم نفسِه.

شعرَت الأميرة باليأس الشديد لدى سماعها ذلك، وشعرت بأن هناك شيئًا واحدًا لا يزال في مقدورها فعلُه. تظاهرت بالجنون بعد أن لبسَت الثياب البالية، وأخذت تتصرَّف بلا مبالاة؛ حتى يظنَّ مَن حولها عدَم اتزانها؛ ومن ثَم تُصبح غيرَ مناسبةٍ للزواج من السلطان. وجرى على الفور إعلامُ السلطان بتصرُّفات الأميرة الغريبة. وعندما زارها أخذَت

تتظاهر أمامه بالجنون وتهرب من أمامه مرةً وتهجم عليه بقوةٍ مرةً أخرى. وكانت تفعل ذلك في كل مرةٍ كان يزورها في غرفتها. شعر السلطان بالقلق الشديد حيالَ ذلك، وعرَض تقديم مكافأة كبيرة لأي طبيبٍ يستطيع مُعالجتها. حضر إلى القصر العديدُ من الأطباء، لم يتمكنوا من مُعالجتها؛ لأنها كانت تُهاجم بقوةٍ كلًّا منهم لدى اقترابه منها للكشف عليها، وتضربهم بقبضة يدها حتى فقدَ جميع هؤلاء الأطباء الأمل في شفائها.

كان الأمير داريوس يتجوَّل طيلة هذه الفترة في العديد من المقاطعات وهو يرتدي جُبَّة المتسولين. كان يشعر بالحزن الشديد وغيرَ مُتيقن أي طريق يسلكه لكي يعثُر على حبيبته. وبعد أن فقد الأمل جلس يستريح بجانب صخرة عالية. وفجأة رأى صاحب الحصان السحري يمرُّ أمامه وهو يلبس الأسمال البالية وفي حالة بائسة، على عكس ما كان عليه من قبل، لكنه كان سعيدًا بإطلاق سراحه.

وبادر الأمير الشابُّ صاحب الحصان: «هل لي أن أسألك أين أجد الآن الحصان السحري؟ وهل ثبت لك الآن أنه لا يُمكن التنبُّؤ بتصرُّفات هذا الحصان كما ثبت لي الآن؟»

جلس الاثنان بجانب بعضهما البعض يقصُّ كلٌّ منهما المتاعبَ التي يُواجهها، وروى الرجل البائس في حديثه قصةَ أميرةٍ من البنغال أُصيبت بالجنون في يوم زفافها من سلطان كشمير. وبينما كان يسرد التفاصيل لمعت في ذهن الأمير الشاب فكرةُ أن تكون هذه الأميرة هي نفسها حبيبته التي يسعى للعثور عليها، بعد أن اختطفها لصٌّ وضيع من الغابة، وامتلأ قلبه بالأمل وعقد العزم على أن يعرف حقيقة ذلك.

وما إن وصل إلى عاصمة كشمير، حتى ارتدى ملابس الأطباء وقدَّم نفسه أمام السلطان بوصفه طبيبًا مُختصًّا بحالات الجنون وبقُدرته على شفاء الأميرة مما هي فيه خلال فترةٍ قصيرة.

وقال الطبيب المُزيف: «يتعين عليَّ أولًا أن أراها في مكانٍ لا تستطيع هي أن تراني فيه.» وهكذا جرى اصطحابُ الطبيب إلى غرفةٍ صغيرة يستطيع من خلال ثقب مفتاح الباب أن يُراقب الأميرة. كانت تُغني بلا مبالاة أغانيَ حزينة تندب فيها حظها التعيس.

وقال في نفسه فرحًا: «نعم، إنها هي عروسي الجميلة.» وهو يحاول جاهدًا أن يُخفيَ عمَّن حوله انفعالاته ومشاعره.

وبعد أن غادر الغرفة الصغيرة، أكد الطبيب المُزيف للسلطان إمكانيةَ مُعالجة وشفاء الأميرة، وأن كل ما يحتاجه هو التحدُّث إليها على انفرادٍ لبعض الوقت.

وافق السلطانُ على الفور. وما إن دخل الأميرُ الغرفة حيث تُوجَد الأميرة حتى قامت كالمُعتاد بمهاجمته بطريقتها العنيفة، وبضربه بقبضة يدِها عندما أمسك يدَها برفقٍ وهمس بعُجالة قائلًا لها: «أنا داريوس أميرُ بلاد فارس.»

توقفَت الأميرة عن مهاجمته على الفور، وقام أفراد الحاشية بالانسحاب من حولِها وهم يشعرون بسرورٍ بالغ لرؤيتهم ذلك؛ ممَّا يُثبِت قدرة وكفاءة الطبيب المعالج. وقام الأمير بإعلام الأميرة همسًا بتفاصيلِ خُطة إنقاذها ممَّا هي فيه. وعاد الطبيب المُزيف للسلطان وقال له وهو يهزُّ برأسه: «كل ذلك يعتمد على مجرد الحظ. وكما ترى، فإن الأميرة قبل أن تُصاب بهذا المرض بساعاتٍ معدودة، كانت قد لمسَت شيئًا مسحورًا. كل ما أُريده الآن هو الحصول على هذا الشيء، مهما كان، لكي أتمكَّن من شفائها.»

تذكَّر سلطان كشمير على الفور الحصان السحري الذي كان لا يزال يحتفظ به داخل القصر، وقام بإحضاره إلى الطبيب المُزيف الذي قال للسلطان على الفور وبجِدية مُتناهية: «أُهنئكم جلالة السلطان؛ هذا هو بالفعل الشيء السحري الذي تأثرَت به الأميرة. أخرِجوا هذا الحصان إلى وسط الساحة الكبرى أمام القصر. وأنا متأكد بأن الأميرة ستتماثل بعدها للشفاء التام وتُصبح في أحسن حال.»

وفي صبيحة اليوم التالي، جرى وضع الحصان السحري في المكان الذي حدَّدَه الطبيب المزيف الذي قام برسم دائرةٍ كبيرة وسط الساحة وضع حولها صحونًا كثيرة في داخل كلٍّ منها نار مُشتعلة. كان السلطان وجميع أفراد الحاشية من النبلاء والوزراء يُراقبون ذلك باهتمامٍ بالغ.

جاءوا بالأميرة وهي تضع خمارها على رأسها إلى وسط الدائرة، وساعدها الطبيبُ المُزيف في الجلوس على ظهر الحصان السحري، ثم دار حول الصحون وهو ينثر فوقها مسحوقًا من نوع خاص كان يتحوَّل إلى دخانٍ كثيفٍ بمجرد ملامستها للنار، حتى تشكَّلَت سحابةٌ من الدخان الكثيف حجَبت عن السلطان وحاشيته رؤيةَ كل ما كان داخل هذه الدائرة. وأثناء ذلك قفز أمير بلاد فارس إلى ظهر الحصان، وأمسك بعِنان الحصان وأخذ يشدُّه للأعلى ليعلوَ بهما الحصانُ في لمح البصر.

وبينما هو على هذه الحالة التفتَ نحوَ الأسفل وقال لسلطان كشمير: «أيها السلطان، يجب عليك أن تظفرَ بقلب زوجتك لا أن تشترِيَه.»

وفي هذا اليوم وصل الأمير الشابُّ بصحبة حبيبته الأميرة بسلامٍ إلى بلاط القصر الملكي، وسُرَّ أبوه سرورًا بالغًا بعودته، وجرى على الفور الاحتفالُ بزواجهما بكل مظاهر الأبَّهة والعظمة التي لم تشهد مثلَها البلاد، وعاشا بعدها في سعادة ووئام دائمَين.

أرض الأكاذيب

الفصل الأول: فتاة جديدة في المدينة

سألت تراسورذي مُعلمةُ الصف السادس: «ما هي مهنة والدتك يا كلارا؟»

توجَّهَت جميع الأنظار في قاعة الدرس مباشرة إلى الطالبة كلارا جورمان؛ مما جعل وجنتَيها تحمرَّان لدرجةٍ شديدة، حتى كادتا تشتعلان نارًا.

وأجابت كلارا على الفور وبدون تفكير: «إنها طبيبة مُتخصِّصة في جراحة الدماغ وتعمل في مَشفًى ممتاز.»

فقالت المُعلمة لطالبتها وهي تُبدي إعجابها: «أووووه، إنها اختصاصية في جراحة الأعصاب كما تقولين.»

فأجابت كلارا مُتلعثمة: «نعم، جراحة أعصاب (تَلفِظها بشكل خاطئ)، هذا صحيح.»

وسألتها المُعلِّمة مرة ثانية: «وما هي مهنة والدك يا كلارا؟» فأجابت كلارا بفخرٍ واعتزاز: «إنه مهندس معماري. لقد جاء إلى أوشاوا ليُسهِم في بناء مفاعلٍ نووي جديد.»

سألتها المُعلمة أيضًا: «وكيف تُمضين أوقاتَ فراغك يا كلارا؟» فأجابت: «أقرأ الكثير من الكتب، وألعب رياضة الجمباز، وأحيانًا أذهب للتزلُّج على الثلج.»

فقالت المُعلمة مُستفسرةً: «رائع! أهلًا بك هنا يا كلارا في مدرسة هارموني هايتس العامة. أنا أتطلَّع للقاء والدَيك في المدرسة خلال الأسابيع القليلة القادمة. أعتقد أيها الطلاب أننا تعرَّفنا بما فيه الكفاية على أحوال الطالبة الجديدة كلارا التي انضمَّت إلى صفِّنا. والآن دعونا نُتابع درسنا كالمعتاد.»

بدأت كلارا تُحِسُّ بشعورٍ غير مريح في داخل معدتها عندما سمعَت المعلمة وهي تقول بأن والدَيها سيأتيان يومًا إلى المدرسة للاجتماع بمُعلمتها، وأمضت طيلة الفرصة

الأولى تقف وحدَها في زاويةِ باحة المدرسة، وتنتابها مشاعرُ مُختلطة. وفجأةً اقتربت منها فتاتان من صفِّها كانتا ترتديان معطفَين أحمَرَين مُتشابهين، يحملان شعار «جامبينج جيمناستيكس» للجمباز.

قالت إحدى الفتاتَين الجميلتين وكانت ذاتَ شعرٍ بُني جميل وقصير: «مرحبًا. أنا آريانا جيفري، وهذه صديقتي كايلي ميلر. لقد سمِعْنا بأنك تُمارسين رياضة الجمباز، فهل هذا صحيح؟»

نظرَت كلارا من جديد إلى الشعار الرياضي المرسوم على معطف كلتا الفتاتَين. كانت تذهب إلى نادٍ رياضي محلي للجمباز في مسقط رأسها هارتلاند في أونتاريو قبل مجيئها إلى هذه المدينة. لقد سمِعَت فيه عن «جامبينج جيمناستيكس» للجمباز. كان هذا النادي مشهورًا جدًّا وقد فاز بعدة جوائز رياضية من قبل.

ردَّت كلارا بتفاخُر ظاهر: «نعم، أنا لاعبة جمباز في نادي جيني للجمباز؛ إنه نادٍ مشهور ومتميز.» فقالت كايلي: «هذا أمر يدعو للاستغراب؛ فأنا لم أسمع من قبل بهذا الاسم.»

فأجابت كلارا بزهوٍ: «كنا نتنافس فقط مع الفرق الرياضية الأجنبية. وفي العام الماضي تنافسْنا مع فرقٍ من الصين والولايات المتحدة. كان النادي الذي أنتسب إليه الأفضلَ بين الأندية المحلية.»

فقالت أريانا: «آمُل أن تنضمِّي إلى نادينا وتُساعدينا على تنمية مهاراتنا لكي يُصبح النادي من الدرجة المُتميزة أيضًا.» فأجابت كلارا بقليلٍ من التردُّد: «يجب عليَّ أن أسأل أمي أولًا؛ ربما كان يتعين عليَّ قبل ذلك أن يكون لديَّ مُدرب خاص في هذه السنة.»

فقالت آريانا بِغيرةٍ ظاهرة: «نعم، إذا كانت أمي طبيبة ووالدي مهندسًا فمن الطبيعي جدًّا أن يكون لديَّ مُدرب خاص، أليس كذلك؟»

وسألت كايلي: «وهل بيتكم كبير أيضًا؟»

تردَّدَت كلارا في البداية قليلًا ثم قالت: «نعم. ويُوجَد فيه مغطَس كبير.»

وقالت كايلي مُتسائلة: «يبدو هذا جيدًا. هل نستطيع أن نأتيَ لزيارتك عمَّا قريب؟» فأجابت كلارا: «أه ... أوه ... ليس الآن؛ فبعضُ العمال يقومون منذ فترةٍ بأعمال صيانة لأجزاءٍ من البيت.»

وبعدها دقَّ الجرس مُعلنًا انتهاء الفسحة والعودةَ إلى الصفوف لمتابعة الدروس.

الفصل الثاني: انكشاف الحقيقة

مع مرور الأيام والأسابيع أصبحَت كلارا معروفةً تقريبًا من جميع طلاب المدرسة الذين كانت تتحدَّث معهم حول جهاز الحاسوب الشخصي الباهظِ الثمن الذي تملكه، وكلبها اللابرادور المدلَّل بُنِّي اللون، وعن كافة مُقتنياتها الشخصية الأخرى. ولكنها لم تكن تدعو أبدًا أيًّا من هؤلاء لزيارتها في المنزل. وفي أحد الأيام جاءت كايلي وآريانا تبحثان عنها لأمرٍ ما.

ونادت كايلي وآريانا على كلارا في بهو المدرسة: «انتظري لحظةً من فضلك يا كلارا.»

سألَتها كايلي بحماسٍ ظاهر: «سيتمُّ إجراء اختبارات للمُتسابقين لتشكيل مُنتخَب في الأسبوع المقبل. فهل ستأتين معنا إلى النادي للمشاركة فيها؟»

فأجابت كلارا على الفور: «لا، لقد لعبتُ رياضة الجمباز بما يكفي حتى الآن. لقد تعبتُ جدًّا بالفعل من مباراة التنافُس ضدَّ رومانيا والولايات المتحدة في السنة الماضية.»

فقالت آريانا: «أعتقد أنك قلتِ لنا إن المباراة كانت ضد فريقَين من الصين والولايات المتحدة.»

وأجابت كلارا بغطرسةٍ وتعجرُفٍ واضحَين: «أوه، نعم، هذا صحيح؛ لقد نسيت بالفعل. أنا لا أشعر الآن بالرغبة في الذَّهاب إلى أي مكان.»

فقالت كايلي وقد شعرَت بالإحباط: «كما تُريدين.» وأخذتا تبتعِدان عنها بسرعة.

وفي وقتٍ متأخر من ذلك اليوم، كانت كلارا تتناول العشاء مع والدَيها. كان يُوجَد على الطاولة الطعام المتوفر في البيت؛ بقايا من شرائح بيتزا وقليلٌ من شرائح لحم العجل المَشوي تمَّ إعدادُها منذ يومين.

وقالت الأم لابنتها: «كلارا، سأذهب الليلة أنا ووالدك للمشاركة في الاجتماع الدوريِّ لأولياء الأمور في المدرسة.»

فأجابت كلارا وهي تشعُر بقلقٍ شديد: «لا يُمكنكما تركي وحيدةً في البيت؛ فأنا لا أتجاوز الحادية عشرة من العمر.»

فأجابت الأم: «على رِسْلِكِ يا ابنتي. لا تكوني ساذجة إلى هذه الدرجة. لقد رتَّبنا لمجيء سيدةٍ تُدعى دانييل جيفري لتهتمَّ بك طيلة فترة غيابنا عن البيت. إنها الشقيقة الكبرى لصديقتك في الصف آريانا وهما على وشك الحضور.»

وفكرَت كلارا قليلًا: «هي وأختها!» وعندما أدركت كلارا ما تقصده أمها شحب وجهها وشعرت بقلقٍ شديد. وبعد عشر دقائق دقَّ جرس الباب، وقامت السيدة جورمان بفتح الباب لتجد دانييل وخلفها شقيقتها الصغرى آريانا.

وبادرت دانييل في القول وهي تمدُّ يدَها: «يُسعدني لقاؤك يا سيدة جورمان. لقد أحضرتُ معي شقيقتي كما طلبتِ.»

فأجابت السيدة جورمان: «عظيم، نحن سعداءُ لموافقتك على العناية بابنتنا خلال غيابنا عن المنزل ولحضور شقيقتك معكِ أيضًا. لم تقم كلارا بدعوة أيٍّ من صديقاتها في المدرسة لزيارتنا في المنزل منذ قدومنا للمدينة منذ شهرَين.»

نظرت كلارا إلى آريانا التي كان يرتسِم على وجهها ابتسامةٌ باهتة ومضحكة. وبعد التحدُّث مع دانييل لبضع دقائق، اقترحت السيدة جورمان أن تذهب كلارا وآريانا إلى غرفة كلارا في الطابق العلوي ليلعبا هناك.

وما إن أغلقت آريانا عليهما الباب تمامًا حتى استدارت ناحيةَ كلارا وهي تقول لها بدون أن تُفكر جيدًا فيما تقوله: «أنتِ كاذبة كبيرة، وغبية في آنٍ واحد! هذا ليس ببيتٍ كبير، ثم أين هذا الحاسوب الباهظ الثمن التي حدَّثتِنا عنه؟ كما أنني لا أرى مغطسًا في فِناء البيت الخلفي، وأين هو كلب اللابرادور البُني اللون؟»

فقالت كلارا: «اممم أنا آه، حسنًا تعرفين أن ...» فردَّت آريانا على الفور بغضبٍ ظاهر: «حسنًا. لننسَ هذا الأمر ودَعِينا نتحدَّث في موضوعٍ آخر.»

«ليس من الرائع أن تجعل الناس تُحبك بالكذب عليهم. لقد انفضحَت الكذبة. سأخرج من هنا على الفور.» واندفعَت آريانا بقوةٍ خارجَ غرفة كلارا، وأمضت كلارا ما تبقَّى من المساء تبكي وحدَها في فِراشها. لم تستطع تقبُّلَ فكرة الذَّهاب إلى المدرسة غدًا. كانت متأكدةً من أن آريانا سوف تكشف هذا السرَّ عن قصدٍ أو غير قصد، وسوف يَكرهها الجميع نتيجةَ ذلك.

وبعد ذلك سمعت كلارا والدَيها يدلفان إلى المنزل. كانا يُهمهِمان بشكلٍ غير واضح، ومن ثَم سمعت صوت إغلاق الباب الخارجي، وتناهى إليها صوتُ خطوات والدَيها وهما يصعدان إلى غرفتها بسرعة، ثم وصلا إلى باب غرفتها الذي كان مفتوحًا، ورأت والدها ترتسِم على وجهه بوضوحٍ تعابيرُ صارمة وجدية. تحدَّثَت والدتها في البدء: «اختصاصية في جراحة أعصاب ومهندس معماري يا كلارا؟ لماذا كذَبْتِ على المُعلمة وجميعِ طلاب الصف بشأننا؟ هل تشعرين بالخجل لكون والدك يعمل في تصميم وتركيب الطواحين، ولكوني أعمل مُمرضةً مساعدة في المشفى؟»

وتدخَّل والدها ديفيد في الحديث وقال: «بماذا كنتِ تُفكرين يا ابنتي. لقد شعرْنا بحرجٍ شديد عندما بدأَت مُعلمتُك في التحدُّث إلينا. أعلم أننا نتنقَّل دائمًا بكثرةٍ من مكانٍ

إلى آخر بحُكم طبيعة عملي في تصميم وتركيب الطواحين. ولكن ...» لم يستطع السيد جورمان أن يُنهِي حديثه؛ فقد شعر بأنه يختنق من شدة الغضب.

وقالت والدتها بلهجةٍ آمرة: «لقد أصبح الوقتُ مُتأخرًا يا كلارا. ارتدي لباسَ النوم واذهبي إلى فراشك، وسوف نتحدَّث حول ذلك في الصباح.» جلسَت كلارا في فِراشها وأخذت تبكي كما لم تبكِ من قبل. وقامت بإطفاء الضوء في غرفتها ونامت وهي لا تزال ترتدي كامل ثيابها.

الفصل الثالث: بدء يوم التدريب

استيقظت كلارا في فزعٍ شديد وهي تسمع صوتًا غريبًا وعاليًا في الظلام يقول: «أيتها الفتاة، أيتها الفتاة، استيقظي، حان وقت الذَّهاب!»

لم تتمكن كلارا من قول كلمةٍ واحدة. وفجأةً سطع نور قوي يُعمي العيون في غرفتها. كانت تشعر بنفسها تسبح في الهواء، ثم عادت الظلمة الشديدة كما كانت من قبل.

وعندما فتحت عينَيها من جديدٍ وقع نظرُها على سماء زرقاء صافية، وأشجار باسقة. أحسَّت بهواءٍ دافئ ينساب على وجهها والشمس تُشرق على قمم الأشجار وتتسلَّل أشعتها الصفراءُ من بين الأغصان العالية. كانت تستند على صخرةٍ كبيرة.

وقف رجل أمام كلارا وبادرها بالقول: «مرحبًا.» كان طويل القامة يرتدي ثيابًا بيضاءَ مُزينة بالعديد من الجواهر والأحجار الكريمة، ويُغطي رأسَه شعرٌ أسود كثيف مُصفَّف. ويُمسك بيده عصًا كبيرةً للمشي، تنتهي بقبضةٍ ذهبية كبيرة في أعلاها. لم تشعُر كلارا بالخوف، بل كانت تشعر براحةٍ كبيرة لوجودها في هذا المكان.

سألت كلارا: «أين أنا؟ ومَن تكون أنت؟»

فأجاب الرجل: «اسمي نومورا فيبس، وأنتِ الآن في أرض الأكاذيب.»

«ولماذا أتيتَ بي إلى هنا؟»

«أنا أقوم عادةً بإحضار أمثالك إلى عالمنا؛ لمساعدتهم في الكفِّ عن الكذب والتعوُّد على قول الحقيقة. أعتقد أنك كنتِ تكذبين في الآونة الأخيرة مما يجعلك ومَن حولك يشعرون بعدم السعادة والراحة. لقد أتيتُ بك إلى هنا بواسطة ناقلٍ خاصٍّ يتنقَّل على الدوام بين عالَمَينا. سيكون الوقت مُتوقفًا طيلة فترة وجودك هنا. وسوف نلتقي ببعض الناس هنا ونُشاهد بعض الأشياء التي تُساعدك على البدء من جديد في قول الحقيقة والتوقُّف عن الكذب.»

قالت كلارا: «ولكن مهلًا. أعرف صديقًا لي في المدرسة اسمه جوردون ريبلان كان يقول لنا بأنه يذهب إلى أرض الصِّدق. فهل هذا المكان من النوع نفسِه؟»

فأجاب نومورا: «نعم. نعم. جوردون ريبلان. فتًى جيد لقد تذكرتُه الآن. لقد أصبح سلوكه الآن رائعًا جدًّا. كان يُعاني من مشكلةٍ صغيرة تتعلق بروايته لبعض الأكاذيب البيضاء. على كلٍّ، حان الوقت لنذهَب؛ هيا.»

سار نومورا وكلارا على طول طريقٍ يمتدُّ وسط الغابة، ثم استدارا نحو طريق مُعبَّد بالحجارة السوداء، عليه لافتةٌ كبيرة مكتوب عليها «طريق الصدق». وبعد أن سارا لبعض الوقت، وجدا منطقةً صغيرة مقطوعة الأشجار مليئةً بالزهور البيضاء الجميلة. نظرت كلارا عن قُربٍ إلى هذه الزهور البيضاء الجميلة، ورأت كيف تنمو في الأرض مثل الفشار.

سألت كلارا: «ما هذا المكان يا نومورا؟»

فأجاب بقوله: «هذا سهل الأكاذيب البيضاء الصغيرة التي تُعتبَر عادةً غيرَ مؤذية ويقولها الناس عادةً لجلب المنافع وتجنُّب المتاعب. الأكاذيب التي يقولونها للحصول على ما يُريدون ولتجنُّب ما لا يُريدون؛ لكيلا تُؤذى مشاعرهم، أو لمنع الشعور بقلقٍ لا مُبرر له. هذه الزهور البيضاء تُمثل أكاذيبَ بيضاء في عالمكم. عالمنا مرتبط بعالمكم بطريقةٍ لا أستطيع حتى أنا أن أفهمها بشكلٍ واضح.»

قالت كلارا: «تقصد أنه عندما يروي أحدنا في عالمنا كذبة بيضاء، ينمو مقابلَها زهورٌ بيضاء صغيرة هنا.»

فقال نومورا: «نعم، هذا صحيح. ولكن الكثير منها تجعل الأمورَ سيئة بالفعل، وإذا ما نظرتِ إلى أعلى الطريق تجدين كيف نمَت زهورٌ بيضاء كثيرة في مجموعاتٍ متقاربة. وكيف تذبل مع مرور الوقت وتَذْروها الريح لتُصبح سمادًا مُفيدًا للأرض.»

اقتربَت كلارا من الزهور وقطفت إحداها ووضعتْها في جيبها. ثم تابعا سيرهما حتى وصلا إلى نزلٍ صغير على طرَف الطريق. قرأت كلارا اللافتة المُعلقة في أعلى النزل التي تقول «نزل تيجرتي» وبجانبها يُوجَد مُجسَّم حجري كبير، كعلامة للطريق وشارة مُميزة للنزل.

قال نومورا: «صاحب هذا النزل الصغير اسمه جوان أبمان. لا أحد يمكث هنا عادةً لفترةٍ طويلة؛ لأن جوان يُغضِب النزلاء بتصرُّفاته. دعينا ندخل لنقومَ بزيارةٍ قصيرة، وسوف ترين بسرعةٍ ماذا أعني.»

اقترب نومورا وكلارا من رجلٍ قصير القامة ونحيفٍ جدًّا، يقف بجانب قسم الاستقبال، وقال له: «صباح الخير، هذه صديقتي كلارا.»

فأجاب جوان أبمان: «من أرى ... نومورا فيبس. لم أعد أراك كثيرًا هنا في هذه الأرجاء، ألا تعرف يا صديقي لِمَ كان فرانك أونستي وأليكسا زاجوراتي هنا هذا الصباح؟»

فقالت كلارا: «لا بدَّ أننا سِرنا ميلًا على الأقل لنصل إلى هنا.»

وردَّ عليها جوان قائلًا: «لقد مارستِ اليوم رياضة المشي لأكثرِ من كيلومترَين. وهذا مُفيد للقلب كما تعلمين.»

قال نومورا: «حسنًا يا جوان، يجب علينا أن نذهب الآن. إننا نُفكر حاليًّا بتسلُّق تلال «قول الحقيقة» القريبة من منجم الصخرة المُزخرفة؛ لنبحث عن بعض أحجار الكوارتز.»

قال جوان: «وأنا أعتزم أيضًا القيامَ بتسلُّق قمةِ بيك فوني ستوني بعد الغداء مباشرة؛ للبحث عن الذهب.»

وبعد ذلك غادر نومورا وكلارا النزل الصغير وهما يُلوِّحان بأيديهما مُودِّعين.

قالت كلارا: «نومورا، جوان يدفع الناسَ إلى الجنون. في كل مرة يقول أحدهم له شيئًا ما، يُجيبه بأنه قد قام به من قبل، أو أنه قام به بطريقة أفضل.»

«هذا ما يفعله جوان دائمًا؛ فهو يُريد لسببٍ ما أن يبدوَ أفضل من أي إنسانٍ آخر. أعتقد أنه يفعل ذلك لأنه يجعله يشعر بأنه أحسنُ حالًا وأكثر أهمية، أو أنه يُحاول أن يُثير إعجابَ الآخرين بشخصه الكريم. لم يعُد يُوجَد أحدٌ في الجوار يُصدِّق ما يقوله، حتى عندما يكون يقول الصدق في بعض الأحيان. في الواقع ليس لديه أيُّ أصدقاء، وهذا أمر يدعو للأسف بالفعل. دعينا نُواصل جولتنا.»

سألت كلارا: «وإلى أين سنتوجَّه الآن؟»

أجاب نومورا: «سنقوم بزيارة رجلٍ يُدعى تلدراترودا. ولكن مهلًا، إننا لا نستطيع رؤيته الآن؛ فقد ذهب لرؤية شقيقه باسدوبودا في أرض السلوك الحسن، كما أننا لا نستطيع أيضًا زيارة الشاب الصغير الذي يرعى قطيع باسدوبودا خلال غيابه. من المفترض أن يكون هذا الشاب جاهزًا دائمًا لقرع الجرس إذا ما هاجمت الذئابُ القطيع؛ لكي يُهرَع أهل القرية لنجدته، وقد قام في الأيام القليلة الماضية بقرْع الجرس مرَّتَين فقط على سبيل التجرِبة لكي يرى ما إذا كنا سنُهرَع فعلًا لنجدته في حال مهاجمة الذئاب للقطيع. ربما لن نُهرَع لنجدته في المرة القادمة عندما يقرع الجرس من جديد.»

وسألت كلارا: «وما هي أرض السلوك الحسَن؟»

فأجاب نومورا: «لا عليك. أعرف إلى أين يتعيَّن علينا أن نتوجَّه الآن.» ولاحظَت كلارا بعد ذلك مصابيحَ باهتة خضراء وحمراء موحلة تسقط بين الحين والآخر بين الأشجار. كان بعضها أكبر من البعض الآخر.

وسألت كلارا: «ما هذه الأشياء بحق السماء؟»

فأجاب نومورا موضحًا: «تُدعى هذه الأشياء مصابيحَ الكذب. يروي بعض الناس في عالمك الأكاذيب التي تُسيء للآخرين وتجرح مشاعرهم. ولكنهم غالبًا ما يُدركون لاحقًا مدى سوءِ ما قاموا به، فيقومون بالاعتذار عن خطئهم هذا، ولكن ذلك يتطلَّب أن يكون الفاعل شخصًا كبيرًا وذا شخصية قوية ومُتزنة. وعندما يتم الاعتذار عن الأكاذيب في عالمكم، يقوم عالمنا عادةً بطريقةٍ ما بامتصاص السموم الناجمة عن هذه الأكاذيب وبتحويلها إلى هذه المصابيح المُلطَّخة بالطين. إن لها مفعول السماد الذي يَزيد خصوبة التربة؛ مما يجعل الأشجار تنمو بشكلٍ أسرع، وتُصبح قويةً أكثر، وبذلك يزدهر عالمنا أكثر فأكثر.»

قالت كلارا: «وهل تقصد بذلك شيئًا مثل روث الحصان؟»

فأجاب نومورا: «نعم، الأكاذيب مثل الروث، ولكنها تُشبه أكثرَ الروث الذي نحصل عليه من الثيران.»

وحادت قليلًا كلارا برفقة نومورا عن الطريق المُعبَّد بأحجار سوداء، وتوجَّها نحو منطقةٍ كثيفة الأشجار؛ حيث شاهدَت كلارا أضخمَ شجرة رأَتها في حياتها. وكان يُوجَد تحتها كوخٌ كبيرٌ جدًّا تُوجَد أمامه بِركة ماء صغيرة، وتنتشر على أطرافه زهورٌ حمراء.

سألت كلارا: «وما هذا المكان يا نومورا؟»

فأجاب نومورا: «هذا بيت فرانك أونستي وأليكسا زاجوراتي اللذَين حدَّثَنا عنهما جوان صاحب النزل الصغير. لقد تزوَّجا على الرغم من كون طبيعة كلٍّ منهما عكس الآخر تمامًا، لكنهما عملا كلَّ جهدهما على أن يُوازن كلٌّ واحد منهما تصرُّفاته لكي يستوعِبَ الآخر بلُطف ولين. وهذه البركة الصغيرة تُدعى فيش تيل بوند.»

قالت كلارا: «ولكن الأشجار باسقة وضخمة جدًّا.»

أجاب نومورا: «نعم. هذا صحيح وهي تُدعى أشجار الجوز الكبيرة، وأنا عادةً ما أقوم باصطحاب أناسٍ من عالَمكم يُدْعَون السياسيين؛ لزيارة هذا المكان.»

أضافت كلارا مُتسائلة: «وهل تقصد بذلك رجالًا مثل محافظ المدينة؟»

«نعم، هذا صحيح، فزراعة هذه الأشجار جزء من تدريبهم إذا كانوا يكذبون على الناس المُكلَّفين بالاهتمام بهم ورعايةِ مصالحهم. ويُمثل هذا دليلًا على رغبتهم الصادقة

في تغيير سلوكهم، والكفِّ عن الكذب على رعاياهم. وبمجرد أن يبدَءوا في قول الحقيقية وإصلاح الأخطاء التي قاموا بها من قبلُ، يتمُّ هنا على الفور امتصاصُ مصابيح الكذب المُلطخة بالوحل، حيث تسقط إلى الأرض الواحدةَ تِلْوَ الأخرى، وتتحوَّل إلى سمادٍ يُفيد الأرض. ولسببٍ ما تُساعد هذه المصابيح على نمو هذه الأشجار بهذه الطريقة الغريبة جدًّا، حتى تصِل إلى هذا الحجم والطول. وأنا أحرص على اصطحابهم إلى هنا من وقتٍ إلى آخر؛ لكي يشاهدوا بأنفسهم كم أصبحت أشجارهم كبيرةً وباسقة.»

قالت كلارا: «وهل تقصد بذلك أنه كلما اعتذروا عن أخطائهم التي قاموا بها، زاد حجمُ وطول هذه الأشجار.»

قال مومورا وهو يهمُّ بطرْق باب الكوخ: «نعم. كلَّما أصلَحوا أخطاءهم نتج عن ذلك سماد أكثرُ في عالمنا، وتُصبح ثمار الجوز كبيرةً جدًّا وتُشبه في طعمها أكوابَ زبدة الفول السوداني اللذيذة.»

قال نومورا: «مرحبًا يا أليكسا، هذه صديقتي كلارا.»

وقالت أليكسا: «أهلًا بكما، تعالَيا لنقوم بصيدِ بعض السمك من البحيرة.»

قال نومورا: «موافق.»

قالت أليكسا: «أنت هنا مَوضعُ ترحيب على الدوام يا نومورا. الصيد شيء جيد أيضًا. البارحة شعرتُ بدهشةٍ كبيرة بعدما تمكنتُ من اصطياد حوالي خمس سمكاتٍ كبيرة تزن الواحدةُ منها حوالي عشَرة أرطال.»

وبعد ذلك مباشرة، سمِعَت صوت رجلٍ قادمٍ من خلفها: «مهلًا يا أليكسا. لا تُبالغي الآن في رواية حكايات الأسماك؛ لقد تمكَّنتِ البارحة من اصطياد ثلاثة أسماك فقط كانت إحداها تزن عشَرة أرطال، في حين كانت الأسماك الأخرى تزن الواحدةُ منها ستة أرطال.»

قالت أليكسا على الفور بما يُشبه الاعتذار: «آه، نعم. أعتقد أنك على حق. لا بدَّ أن الأمور قد اختلطَت عليَّ قليلًا لسببٍ ما.»

استعارت نومورا وكلارا صنارتَي صيدٍ من أليكسا وفرانك، وجلسا على كُرسيَّين بجانب حافة البحيرة يتبادلان أطرافَ الحديث.

قال نومورا: «هل تعرفين لماذا أتيتُ بك إلى هنا؛ أرض الأكاذيب؟»

فقالت كلارا: «نعم. أعتقد أنني أصبحتُ أعرف ذلك الآن. كنتُ أروي للناس الكثير من الأكاذيب، لدرجة أنني لم أعُد أتذكَّر ماهيتها ولا عددَها أيضًا، وكنتُ أقوم بتجميل الأشياء الصادقة، حتى، أكثرَ مما ينبغي، بغرَض إثارة إعجاب الآخرين تمامًا مثلما فعلَت أليكسا منذ قليل.»

سأل نومورا: «هل تعتقدين أن الكذب على الآخرين سيجعلهم يُحبُّونك أكثر؟»

فأجابت: «أعتقد أنني كنتُ أريد من وراء ذلك الاندماجَ بشكلٍ أفضلَ مع مَن حولي؛ فقد كنا ننتقل كثيرًا من مكانٍ إلى آخر بحُكم عمل والدي. كنتُ أُريد أن أكسب أصدقاء في كل مكانٍ كنا ننتقل إليه، ولكن الطريقة التي كنتُ أتبعها لتحقيق ذلك لم تكن ناجحةً بسبب احتمال ألَّا أكسبَ أحدًا على الإطلاق بعدما يكتشفون الحقيقة في اليوم التالي.»

قال نومورا: «أعتقد أنك ترَين أن كذبةً واحدة تقود إلى كذبةٍ ثانية، ومن ثَم إلى ثالثة. وبعد فترة وجيزة لن يكون هناك أحدٌ يُصدِّقك في كل ما تقولين حتى وإن كنتِ صادقةً فيها، مثلما حدث مع جوان أبمان. لن يثق الآخرون فيما تقولين ومن ثَم سيكون من الصعب جدًّا أن يكون لديك أصدقاء، ولن ينظُر الآخرون إليك بجِدية، وسوف يضحكون عليك من ورائك.»

قالت كلارا: «أعتقد أنني أصبحتُ أُدرك ذلك الآن. والدي قال لي إنه من المُحتمل ألا ننتقل إلى أي مكانٍ آخر بعد الآن، وأننا سنبقى هنا في هذه المدينة التي أفسدتُ فيها على نفسي الكثير من الأشياء.» وغرقَت كلارا من بعدِها في بكاءٍ شديد.

قال نومورا: «إن أول شيءٍ يتعيَّن عليك فعله عندما تعودين إلى عالمك هو أن تقولي لوالدَيك ومعلمتك أنك آسفة على كل الأكاذيب التي قلتِها لهم وللآخرين. ومن المؤكد أنهم سيتفهَّمون ذلك. وربما سيكون الجزءُ الأصعب في ذلك هو كيفية الاعتذار لأصدقائك في الفصل. فربما سيتصرَّف بعضهم في البدء بشكلٍ سيئ نحوك.»

وقالت كلارا والدموع تنهمِر من عينَيها: «لا؛ لا أريد فِعل ذلك.»

قال نومورا بجدِّية مُتناهية: «بل يجب عليكِ فعلُ ذلك؛ فعدم فِعلك إيَّاه سيَجعل الأمور أكثر سوءًا حيث يعتاد الإنسان بعدَها على الكذب بدون سببٍ ليُصبح الكذبُ عنده أمرًا طبيعيًّا حتى فيما يتعلق بالأمور الصغيرة التي لا تستدعي ذلك، ولن يكون في مقدورك مِن بعدها أن يكون لديك أيُّ أصدقاء. وكلما أخذتِ في الكذب وبالَغْتِ في القيام به، انعكس ذلك سوءًا عليك وظهَرْتِ بمظهر الحمقاء بدرجةٍ كبيرة.»

قالت كلارا: «أفهم الآن ما تقول، وسأعمل على ذلك.» قال: «أعتقد إذن أنكِ أصبحتِ جاهزةً الآن للعودة إلى عالمك، ولم يَعُد هناك حاجةٌ إلى زيارة الجنرال روسيدي في أرض الملكية الخاصة.»

وقالت كلارا: «ومن يكون هذا الجنرال؟»

قال نومورا: «لا عليك. انظري يا كلارا لقد أمسكَتْ صنارتك سمكة.» وبينما كانت كلارا تقوم بسحب السمكة من الماء، سطع وميضٌ خاطف جعلها تُغمِض عينَيها على

الفور، وشعَرَت وكأن الصنارة تسقُط من يدِها وأن جسدها يسبح ثانيةً في الفضاء. وفي لمح البصر وجدَت نفسها مُمدَّدةً على سريرها بكامل ثيابها، وأشعَّة الشمس الصفراء تتسلل إلى غرفتها عبر النافذة المُطلَّة على حديقة المنزل.

الفصل الرابع: تصحيح الأخطاء

قالت كلارا لنفسها وهي تمدُّ يدها لتتلمَّس شيئًا كبيرًا في جيبها: «لا بدَّ أنني كنتُ مستغرقة في حلم.» أخرجَت زهرةً بيضاء جميلة من زهور الكذب وهي تقول لنفسها: «ربما لم يكن حلمًا على الإطلاق.»

وفي صباح اليوم التالي وعند تناول الفطور، اعتذرَت كلارا من والدَيها اللذين عانقاها وأخبَراها بأنهما يتفهَّمان جيدًا موقفها، وبأنهما يُحبَّانها كثيرًا أيضًا.

وقالت لها أمُّها بحنانٍ ظاهر: «لا تُحاولي يا ابنتي أن تتظاهري أمام الآخرين بغير ما أنتِ عليه في الحقيقة، وسوف يُحبك الآخرون كما أنت.»

وكانت لحظاتُ العودة إلى المدرسة ولقاء الأصدقاء أكثرَ صعوبةً بالفعل؛ كانت العيون كلها تنصبُّ عليها وهي تسير في باحة المدرسة. وأخذَ بعضُ الفتيات يتهامسنَ وهنَّ يُشِرن بأصابعهن نحوَها في استغرابٍ شديد. اعتذرَت كلارا على الفور من مُعلمتها التي قبِلَت وتفهَّمَت موقفها على الفور. ونهضت كلارا أمام جميع صديقاتها في الصف لتُقدِّم لهم أيضًا اعتذارها وهي تُوضِّح لهم في الوقت نفسِه حقيقة كل الأكاذيب السابقة التي روَتها لهم. وكان من الطبيعي جدًّا أن تكون رُدود أصدقائها متفاوتة؛ فمنهم من تَجهَّم وجهُه وبدأ يرمقها بغضب، والبعض الآخرُ اكتفى بأن يُشيح ببصره جانبًا؛ تفاديًا لإحراجها. كان ذلك بالفعل أصعبَ شيءٍ تعيَّن عليها أن تفعله في حياتها كلها.

ووقفَت كلارا وحيدةً خلال الفسحة في باحة المدرسة تنظُر إلى قدمَيها، وفجأة رأتْ ظلَّين يقتربان منها؛ فنظرت إلى الأعلى لترى كلًّا من صديقتَيها كايلي ميلر وآريانا جيفري.

قالت آريانا: «كان كلُّ ما قلتِه أمامنا اليوم في الفصل جميلًا جدًّا ومُشوقًا أيضًا.»

ردَّت كايلي: «أجل، لم يكن بمقدوري أن أفعل ذلك؛ كنتُ سأشعر حينها بحرجٍ شديد.»

سألت آريانا: «هل تُمارسين الجمباز حقًّا في هارتلاند؟»

فأجابت كلارا: «نعم، لقد كان بالفعل اسم نادي الجمباز جيني. لقد استمتعتُ بالفعل بالتدريب طيلة فترة وجودي هناك، ولكننا في الواقع لم نُجرِ أيَّ مبارياتٍ تنافُسية مع أي فرقٍ رياضية أخرى.»

سألَتها الفتاتان: «ولماذا لا تطلبين من والدتك السماحَ لك بالذَّهاب معنا إلى نادي الجمباز لكي نتدرَّب معًا؟»

ارتسمَت على وجه كلارا ابتسامةٌ عريضة بعد أن شعرت لأول مرةٍ منذ وقتٍ طويل بأن وضعها الآن أصبح أفضلَ بكثيرٍ مما سبق، وأنه لا بدَّ أن يكون هناك في عالَم نومورا مصباحُ كذبٍ آخر مُلطَّخ بالوحل يتدلَّى من بين أغصان الأشجار قد سقط أخيرًا إلى الأرض.

الكتابة على الجدران

أردتُ أن أكتبَ
بقدر ما أستطيع.
أردتُ أن أكتبَ
كل ما أستطيع.
أردتُ أن أكتبَ
كلَّ ما ينبغي لي أو لا ينبغي.
أردتُ أن أكتبَ
على الكراسي وعلى الطاولة،
لكن أمي قالت:
اكتُبي فقط على الورق!
أردتُ أن أكتب
على جدران القاعات.
أردتُ أن أكتبَ
على أرضية الغُرف وعلى الأبواب.
أردتُ أن أكتبَ
على المضارب والكرات.
أردتُ أن أكتبَ
على أشيائي وأشياء الآخرين،

لكن أُمِّي قالت:
اكتبي فقط على الورق!
أردتُ أن أكتبَ
على القرميدِ وعلى المباني.
أردتُ أن أكتبَ
على السجَّاد والأدراج.
أردتُ أن أكتبَ
على ساعات جدِّي العتيقة.
أردتُ أن أكتبَ
على دُمى الدِّببة في حجرتي،
لكن أمِّي قالت:
اكتبي فقط على الورق!
أردتُ أن أكتبَ
هناك عاليًا في السماء.
أردت أن أكتبَ
هناك في النفَق العميق.
أردتُ أن أكتبَ
على الجدران القريبة والبعيدة.
أردتُ أن أكتبَ
على إصبع قدَمي الكبير،
لكنَّ أُمي قالت:
اكتبي فقط على الورق!
أردتُ أن أكتبَ
على شيءٍ أستطيعُ إرسالَه.
أردتُ أن أكتبَ
على شيء أستطيع ثنْيَه.
أردتُ أن أكتبَ
حيث لا يراني أحد.

أردتُ أن أكتب
لأُثبِت أن هذه هي أنا!
لكنَّ أمي قالت:
اكتبي فقط على الورق!
أُمِّي لا تُريدني أن أكتبَ
على جُدران القاعات.
أمي لا تُريدني أن أكتبَ
على أرضيَّة الحجرات، ولا على الأبواب.
أمِّي لا تُريدني أن أكتبَ
على الكراسيِّ والسلالم.
أمي لا تريدني أن أكتبَ
على المباني أو الساعات.
أمي تريدني أن أكتبَ
فقط على الورق!
أردتُ أن أكتبَ على الجدران.
رغبتُ في ذلك حقًّا،
لكني أدركتُ أن هذا
يُحزن أمي.
أريد أن أكون حقًّا
فتاةً طيبة.
لا أريد أن أكون
فتاةً مُشاغبة.
فهل تعلمون ماذا فعلت؟
كتبتُ
فقط
على الورق.

ستيفان وجيرالد الجبان

يُحكى أنه في غابر الزمان، كان هناك ابنُ فارسٍ فقير اسمه ستيفان، أرسله أبوه في يومٍ من الأيام إلى السوق لشراء بعض الأغراض؛ حيث التقى هناك بشابٍّ يُدعى جيرالد الجبان، وقد أصبحا بعدَها صديقَين.

كان جيرالد ابنَ رجلٍ غني، وكان يعشق السفر إلى البلدان الأجنبية. وبعد انقضاء فترةٍ من الزمن على صداقته مع ستيفان سأله إذا كان يرغب في أن يُرافقه في رحلاته التي يعتزم القيامَ بها إلى بعض الممالك المجاورة.

فأجاب ستيفان: «ليس هناك من شيءٍ أَحَبُّ إلى نفسي من ذلك.» لكنه سرعان ما هزَّ رأسه في حسرةٍ وهو يقول: «لكن والدي رجل فقير ولا يُمكِنه أن يُوفِّر لي ما يكفيني من المال للقيام بهذه الرحلة.»

فقال جيرالد: «حسنًا. إذا كانت هذه هي مشكلتك الوحيدة فسوف أُساعدك في حلِّها؛ فوالدي معه الكثير جدًّا من المال، حتى إنه لا يعرف ماذا يصنع به، وسوف يُعطيني منه ما يكفيني ويكفيك. هناك شيءٌ واحد فقط يتعيَّن عليك يا ستيفان أن تَعِدني بالوفاء به مقابل ذلك؛ أن تنسب إليَّ أنا فقط كلَّ المغامرات والمواقف الشجاعة التي قد تحصل معنا خلال الرحلة.»

وأجاب ستيفان على الفور: «نعم، هذا معقول جدًّا؛ ولكني لا أستطيع أن أذهب معك في الرحلة دون أن أستأذن والدَيَّ، وأنا متأكد أنهما سينظران إليَّ بوصفي رجلًا محظوظًا لتمكُّني من الحصول على مثل هذه الفرصة.»

سُرَّ والدا ستيفان حقًّا لسماع ذلك منه، مُعتبِرين أن هذه فرصة العمر التي لن تتكرَّر مرةً ثانية، وشجَّعاه على المُضيِّ في الرحلة. وقام والده بإعطائه سيفَهُ الذي علاه الصدأُ

نتيجةَ عدم الاستعمال، بينما حرَصَت والدتُه على التأكُّد من سلامةِ ارتدائه سروالَه الداخلي؛ لكيلا يشعُر بالبرد أبدًا طيلةَ الرحلة.

وقالت له والدته وهي تُودِّعه: «احرص يا بني على الوفاء بالعهد الذي قطعتَه على نفسك أمام جيرالد، وألا تَخُونَه أبدًا مهما كانت الأسباب.»

امتطى ستيفان صَهْوةَ جواده وهو يشعُر بحماسٍ وسعادة بالِغَين، وتوجَّه نحو بيت جيرالد. وفي صبيحة اليوم التالي انطلقا في رحلتهما للبحث عن المغامرات والعجائب في الدنيا. ولسوء الحظِّ كانت الأرضُ التي يعيشان فيها يسودها الأمن والنظام بشكلٍ جيد؛ مما يجعل من غير المُتوقع حدوثَ أمور غريبة فيها، وهكذا قاما بعبور الحدود إلى مملكةٍ مجاورة تسُود فيها الفوضى والاضطراب الشديدان.

ولم يمضِ وقتٌ طويل على سيرهما عبر جبالٍ متوسطة الارتفاع حتى شاهدا عن بُعد مجموعةً من اللصوص المُسلحين يختبئون وراءَ عددٍ من الأشجار على جانِبَي الطريق الذي يسلكانه، وتذكَّرا على الفور ما سمِعاه أثناء اجتيازهما الحدودَ عن وجود عصابةٍ مُسلَّحة من اللصوص، مُؤلَّفة من اثنَي عشر لصًّا تقطع الطريق على المُسافرين، وتنهب متاعهم، وخاصة الأغنياء منهم. كان هؤلاء اللصوص في طبيعتهم يُشبهون الحيوانات الوحشيةَ كثيرًا، ويعيشون في كهوفٍ وحُفَر في أعماق الأرض على امتداد سفوح الجبال. وكان زعيمهم يُدعى «حنكور» المعروف فيما بينهم باسم حنكور الطويل. مرَّت كل هذه المعلومات على بالهما بشكلٍ خاطف وهما يُشاهدان لَمَعانَ سيوف اللصوص تحت ضوء القمر.

وقال جيرالد بصوتٍ منخفض بعد أن أوقف حصانه في منتصف الطريق: «مِن المُستحيل مقارعتُهم؛ اثنا عشر مقابل اثنين! الأفضل لنا أن نرجع ونسلك الطريق الأدنى. سيكون من الحُمق أن نزجَّ بأنفُسنا في معركةٍ غير متكافئة لهذه الدرجة، ونخسَر حياتنا نتيجةً لذلك.»

قال ستيفان: «أوه ... لا نستطيع الرجوع. وسيكون من المُخزي أن نُواجه الآخرين بعدها! سيكون أمرًا مُخجلًا ومُحرجًا لكلَينا إذا فعلنا ذلك. إضافة إلى كل ذلك، قد نتمكَّن من تعليم هؤلاء اللصوص درسًا لن ينسَوه. دعنا نربُط الحِصانَين هنا إلى جذع هذه الشجرة ونتسلق أعلى الجبل ونقوم بعدها بدحرجة الصخور الكبيرة فوق رءوسهم لتقتُلهم.»

فقال جيرالد: «فكرة جيدة حقًّا ما دُمنا نستطيع في أي وقتٍ نشاء أن نعودَ إلى الحِصانَين.» وقاما في صمتٍ وبشكلٍ خفيٍّ بالصعود إلى أعلى الجبل.

كان اللصوص في الواقع ينتظرون بفارغ الصبر ظهور عابري الطريق، ويتوقَّعون أن يحدُث ذلك في أي لحظةٍ بعد أن يتجاوزوا المُنعطفَ الحاد الذي يختبِئون وراءه بأمتارٍ قليلة. وفجأةً انهال فوق رءوسهم سيلٌ من الصخور والأحجار الكبيرة مما جعل جميع أفراد عصابة حنكور يشعرون بدوار شديد؛ ممَّا سهَّل كثيرًا على ستيفان وجيرالد الانقضاضَ عليهم وهزيمتهم. وقام ستيفان بمبارزة زعيم العصابة حنكور، وتمكَّن من التغلُّب عليه وهزيمته أيضًا، كما قام بعد ذلك بنزعِ سلاح جميع أفراد العصابة وسَوقِهم مُقرَّنين بالأصفاد، يتقدَّمُهم كبيرهم حنكور، كما تمكن ستيفان من نزع خاتمٍ جميل تتوسَّطه ألماسة جميلة وملوَّنة من يد حنكور، وقام بوضعه على الفور في إصبع يده اليسرى.

ذاع صيتُ هذا العمل الرائع في أنحاء البلاد.

وبعد عدة أيام غادر الاثنان أرضَ المملكة مُتوجِّهَين إلى مملكةٍ أخرى مجاورة وهما يعتزمان أن يُمضيا فيها بقية فصل الشتاء؛ لأن جيرالد كان يُفضل الراحة لفترةٍ من الوقت أثناء السفر، ولا يرغب في الانتقال من مكانٍ إلى آخر عبر طرقاتٍ تُغطيها الثلوج والصقيع. لكن ملك البلاد سمح لهما بالبقاء بشرطٍ واحد: أن يُقدِّما إليه قبل انقضاء فصل الشتاء ما يُثبت من جديدٍ شجاعتَهما التي سمع عنها كثيرًا من قبل.

غمر الفرحُ قلب ستيفان عند سماع رسالة الملك، وبالنسبة لجيرالد فقد شعر بأن الأمور ستكون على ما يُرام ما بقِيَ ستيفان إلى جانبِه. وهكذا انحنى الاثنان أمام الملك وقالا له بصوتٍ واحد: «الملك يأمر ونحن نُطيع.»

وقال جلالة الملك: «حسنًا إذن. هذا هو ما أُريد منكما أن تقوما به: يعيش في القسم الشمالي الشرقي من مملكتي رجلٌ عملاق يملك عصًا حديدية طولها عِشرون ذراعًا، يستخدمها بخفَّة ومهارة لدرجةٍ يستطيع بها أن يُواجه خمسين فارسًا في وقتٍ واحد، دون أن يتمكن أيٌّ منهم من القضاء عليه. لقد سقط الكثيرُ من أشجع الفرسان الشباب في البلاط الملكي تحت ضربات هذه العصا الحديدية، ولكن بما أنَّكما تمكَّنتما من التغلُّب على عصابةٍ مؤلَّفة من اثنَي عشر لصًّا، فسيكون من المنطقي بالنسبة لي أن آمُل في أنكما ستتمكنان من التغلُّب على هذا العملاق بسهولة. ويجب عليكما التوجهُ لمُقارعته والتغلُّب عليه خلال فترة ثلاثة أيامٍ من الآن.»

أجاب ستيفان على الفور: «السمع والطاعة يا جلالة الملك.» في حين التزم جيرالد الصمتَ التام.

وما إن أصبحا خارج أسوار القلعة حتى قال جيرالد بصوتٍ أشبهَ بالصراخ: «وكيف يُمكن لنا أن نُواجِه عملاقًا قتل خمسين فارسًا من أشجع فرسان البلاط الملكي وأكثرِهم شبابًا؟ الملك يريد بذلك فقط أن يتخلَّص منا. وهو لن يتذكَّرنا بالتأكيد خلال الأيام الثلاثة المقبلة، وهذا أمرٌ يدعو للراحة والاطمئنان، وبذلك يكون أمامنا مُتَّسَع من الوقت لعبور حدود المملكة والنجاة بأنفسنا.»

قال ستيفان: «قد لا نتمكن فعلًا من القضاء على هذا العملاق، ولكن يُمكننا أن نتصور مقدار الفرحة والبهجة التي سنُدخلها في قلوب أهل المملكة لو تَمكنَّا بطريقةٍ ما من القضاء عليه، خاصة وأنا أعلم نوع السلاح الذي يجب أن نستخدمه في مقارعته. تعالَ معي الآن وسوف ننظر في الأمر معًا.» أخذ صديقه من ذراعه، وتوجَّها نحو حانوتٍ في وسط البلدة حيث اشترى قطعةً كبيرة من الحديد الصُّلب، لدرجة أنهما بالكاد تمكَّنا من رفعها عن الأرض. وتعاوَنا معًا بصعوبةٍ على حملها إلى حانوت الحداد ليصنع لهما بها عصًا حديدية برءوس مُدببة في مقدمتها. وعندما أنجز الحدادُ العمل كما هو مطلوب ولاقت العصا إعجابَ واستحسان ستيفان، قام بوضعها تحت ذراعه عائدًا بها إلى البيت.

وفي وقتٍ مبكِّرٍ من اليوم الثالث، بدأ الاثنان رحلتهما المحفوفة بالمخاطر. ووصلا بعد أربعة أيامٍ إلى مدخل كهف العملاق قبل أن ينهض من النوم. ولدى سماعه جَلبةً ووقْعَ أقدام، نهض العملاق على الفور نحو باب الكهف ليستطلِع الأمر. وقام ستيفان، الذي كان يتوقَّع شيئًا كهذا، بتوجيه ضربةٍ قوية على جبهة العملاق أسقطَته أرضًا على الفور مُضرَّجًا بدمائه، وعاجَلَه قبل أن يتمكَّن من الوقوف ثانيةً بضربة سيفٍ قوية قطع بها رأسه.

وقال ستيفان وهو يلتفتُ نحو جيرالد: «لم يكن الأمر في النهاية صعبًا كثيرًا كما ترى.» وقام على عَجَلٍ بوضْع رأس العملاق داخل كيسٍ من الجلد وألقى به على ظهره، ومن ثَمَّ انطلقا في رحلة العودة إلى القلعة وهما يشعران بسعادةٍ بالِغة.

وعندما أخذا يقتربان من بوابة القلعة، قام ستيفان بإعطاء جيرالد الكيس، وبالسير وراءه وهما يدخلان إلى حضرة الملك.

وقال جيرالد بثقةٍ واعتزاز وهو يُمسك برأس العملاق: «لن يُسبب لجلالتكم بعد اليوم هذا العملاقُ أي مشكلات. لقد قُضي الأمر.» فقام الملك على الفور بالانحناء بشكلٍ كبير أمام جيرالد وبتقبيل وجنتَيه؛ اعترافًا منه بأهمية العمل البطولي الذي قام به، الذي شكَّل خدمةً كبيرة للمملكة ولجميع رعاياها الذين كانوا يعيشون في خوفٍ دائم. وقال الملك وهو يشعُر بسرورٍ بالِغ ويشير بيده نحو جيرالد بأنه أشجعُ فرسان المملكة بل العالَم، وقرَّر

إقامة حفل استقبالٍ كبير بهذه المناسبة على شرفِهِ يدعو إليه كبارَ الوزراء والمُستشارين والفرسان؛ للإعلان عن هذا العمل الكبير الذي قام به في جميع أرجاء المملكة. امتلأ قلبُ جيرالد على الفور بفخرٍ كبير لدرجة أنه كاد أن ينسى فيها أن الذي قام بالفعل بهذا العمل الشجاع وقطع رأس العملاق هو في الحقيقة ستيفان، وليس هو نفسه.

وشيئًا فشيئًا أخذَت الشائعات تنتشر في أرجاء القلعة عن حضور سيدة جميلة لهذا الحفل برفقة أربعٍ وعشرين من وصيفاتها الجميلات. كانت هذه السيدة في الواقع أميرةً في مملكةٍ مجاورة تُوفِّي والدها الملك عندما كانت طفلةً صغيرة، فأصبحَت في عُهدة ورعاية عمِّها الذي أصبح الملكَ الجديد لإدارة شئون المملكة حتى تبلُغ سنَّ الرشد وتُصبح الملكة الجديدة خلفًا لوالدها وتحكُم المملكة بنفسها.

وأصبحت السيدة الآن في عمرٍ مناسب لتحكُم المملكة بنفسها، وكانت تبحث عن الزوج المناسب ليُساعدها في إدارة شئون المملكة والاهتمام بشئون رعاياها. وقام الأمراء الواحد تلوَ الآخر بطلب يدِها دون أن يلقى طلبُ أي واحدٍ منهم القَبول المأمول. وقالت لمُستشاريها ووزرائها بكل وضوحٍ إنها إذا ما قرَّرت الزواج فإنها ستختار زوجها بنفسها، ولن تقبل بأي أحدٍ ممَّن اختاروهم لها.

الآن عندما سمِعَت بقدوم شابَّين إلى البلاط الملكي تمكَّنا من القضاء على العملاق الذي أرهب المملكةَ طيلة سنواتٍ عديدة، امتلأ قلبُها بالإعجاب بشجاعتهما حتى قبل أن تراهما. وقرَّرت أنه في حال إقامة حفلٍ في القلعة على شرفهما فسوف تقوم بالحضور بكل تأكيد.

وهذا ما حدث بالفعل. وعند انتهاء الحفل، سألت الملك الوصيَّ على عرشها إذا كان سيسمح لجيرالد الشجاع، الذي أصبح معروفًا بأنه هو من هزم عصابة اللصوص وتخلَّص من العملاق، بالمشاركة في مبارزةٍ تنافُسية تُقام في اليوم التالي مع أحدٍ من أتباعها. ووافق الملك بسرورٍ على ذلك. وأمر بإعداد قائمة تتضمَّن أسماء المشاركين وبدون أن يُساوره أيُّ شكٍّ في أن اسم البطل الشجاع جيرالد سوف يتصدَّر القائمة، وأنه سيكون حريصًا ألَّا يُفوِّت على نفسه هذه الفرصة لكي يُثبت من جديدٍ قُدراته وشجاعته أمام الجميع. ولم يَدُرْ قطُّ في خَلَدِ الملك أن يقنع جيرالد ستيفان بالتسلُّل معه خارج القلعة خلال الليل؛ مُبررًا ذلك لستيفان بقوله: «لا أعتقد أبدًا بأنهم سيختارون أحد أتباع الملكة لمُبارزتي بل سيختارون على الأغلب فارسًا مُجَربًا صاحِبَ خبرةٍ في فنون القتال. وكيف لي في هذه الحالة، وأنا شابٌّ صغير وصاحب خبرة قليلة، أن أقف في مواجهته وأتغلَّب عليه؟»

وأجاب ستيفان قائلًا: «ولكنك ستنال الشرف العظيم إذا تمكَّنتَ من الفوز في نهاية المبارزة اليوم.» ولكن جيرالد لم يكن يهتمُّ قطُّ لما كان يقوله ستيفان، وقال له بكل صراحةٍ إنه لا يهتمُّ على الإطلاق بمثل هذه الأمور، وإنه يُفضل أن يبقى على قيد الحياة من أن يتراكمَ فوق رأسه شرفُ كل الدنيا مُجتمعًا. وهكذا قرَّر جيرالد الهروب من القلعة، وبما أن ستيفان قد أقسم بأن يُلازمه دائمًا وألَّا يُخلف وعدَه مهما كانت الظروف، فقد وافق على الهروب أيضًا.

كان ستيفان قد شعر ولا بدَّ بالحزن الشديد للكلمات التي سمِعها من جيرالد، ولكنه كان يُدرك تمامًا أنه من العبث محاولةُ إقناع جيرالد بالعدول عن رأيه وعما قرَّر القيام به. وفجأة لمعت فكرة رائعة في ذهن ستيفان وهي أن يتبادلا ثيابهما. وقال: «دعنا نقوم بذلك وسوف أُبارز عوضًا عنك، وتكسب أنت وتتمتَّع في النهاية بالجائزة المُخصَّصة للفائز، ولن يشعر بذلك أحدٌ أبدًا.» وافق جيرالد وبسرور بالِغ على ذلك.

وبغضِّ النظر عمَّا إذا كان جيرالد بالفعل على حقٍّ بقوله إنهم سيختارون لمُبارزته فارسًا مُجَربًا صاحبَ خبرةٍ في فنون القتال، فقد كان من المؤكد أن المهمة القادمة أمام ستيفان ستكون أكثرَ صعوبة ممَّا هو متوقع؛ فقد ارتطم جَواد ستيفان بقوةٍ شديدة مع جوادٍ تابع للملكة ثلاث مرات، ولكن ستيفان تمكَّن في الجولة الأولى من المبارزة من ضرب خوذة خصمِهِ ضربةً قوية جعلها تطير في الهواء ليتلقَّى من بعدِها ضربةً على رأسه جعلته يترنَّح للحظاتٍ على ظهر الجواد. وعلَت الأصوات والهتافات بين جمهور المشاهدين عندما بدَتْ لهم نتيجة المباراة بفوز جيرالد. وتمكن ستيفان أخيرًا من غرْز رُمحه في الدرع الذي يُغطي صدر التابع مما حمله على التقهقُر إلى الوراء في الوقت الذي علَت فيه مُجدَّدًا أصوات وهتافات جمهور المشاهدين: «لقد طرَحَه عن صهوة الجواد. لقد طرحه عن صهوة الجواد.» وقام ستيفان على الفور بالنزول عن جواده ليُساعد التابع في النهوض عن الأرض.

وخلال البلبلة التي حدثت بعد ذلك، كان في مقدور ستيفان أن يتسلَّل خفيةً ليعود إلى جيرالد ويتبادَلا من جديدٍ ثيابَهما. وهكذا كان جيرالد هو الذي قام — بثياب القتال المُمزَّقة والمُغبرة التي كان يرتديها ستيفان — بالاستجابة لدعوة الملك للمُثول أمامه بعد انتهاء المبارزة.

وقال الملك: «لقد فعلتَ ما توقَّعتُ منك أن تفعله. والآن اختر مكافأتك.»

وأجاب جيرالد وهو ينحني بشدة أمام الملك: «امنحني يدَ الملكة ابنة أخيكم، وسوف أُدافع بكل شجاعةٍ عن المملكة ضدَّ جميع الأخطار التي تُواجهها.»

وقال الملك: «في الواقع لا يُمكنها أن تختار زوجًا أفضلَ منك. وأنا سوف أوافق على الفور إذا وافقَت هي على ذلك.» والتفت الملك نحوَ الملكة التي لم تكن موجودةً خلال المبارزة، ولكنها جلست بعد ذلك إلى كرسيٍّ كبير على يمينه. كانت الملكة تملك عيونًا حادَّة وثاقبة، وتمكَّنَت على الفور من ملاحظة أن الرجل الذي يقف أمامها، على الرغم من كونه وسيمًا ويتمتع ببَسطةٍ في الطول، يختلف في الشكل بتفاصيلَ صغيرةٍ عديدة، وبشيء واحدٍ جوهري، عن الرجل الذي شارك في المبارزة.

لم تتمكَّن الملكة في البدء من إدراك كيف يُمكن أن يكون هناك خدعةٌ ما في المبارزة التي جرَت أمام الملك وحاشيته. وكان قيام الفائز بالتنازُل طواعيةً عن مكافأته لقاءَ ما حقَّقه من انتصارٍ لصالح رجلٍ آخَر أمرًا أشدَّ غرابة وصعوبةً على الفهم بالنسبة إليها. لكنَّ شيئًا ما في داخلها كان يدعوها إلى توخِّي الحيطة والحذَر في أي خطوةٍ تقوم بها. وأجابت عمَّها الملك قائلة: «قد يكون ما جرى أمامك قد حاز على رضاك، ولكنه لم ينَلْ رضايَ أنا. ويجب أن يكون أمامي أولًا دليلٌ آخَر لكي أقتنع بصحة ما جرى. دع هذَين الشابَّين يتبارزان أمامي من جديد. إن الرجل الذي سأقبل به زوجًا يجب أن يكون الرجلَ نفسه الذي هزم عصابة اللصوص وقتلَ العملاق، وتغلَّب على تابعي في المبارزة.»

اعترى وجهَ جيرالد شحوبٌ كبير وهو يسمع ذلك، وأدرك على الفور أن لا مفرَّ أمامه مما هو فيه الآن.

وهكذا بدأت المبارزة بين جيرالد وستيفان. وعلى الرغم من مخاوف جيرالد، قام ستيفان بمحاولاتٍ غيرِ جدية للنيل من جيرالد وطرحِه عن صهوة جواده مُكتفيًا بأخذ موقف الدفاع عوضًا عن الهجوم طيلةَ فترة المبارزة. ولم يكتفِ ستيفان بذلك بل كان يترك ضرباتِ جيرالد التي كان في وسعه أن يتجنَّبها تصِل إليه. وأخيرًا وبعد أن أظهر قدْرًا كبيرًا من المقاومة سقط ستيفان بقوةٍ على الأرض. كان يُدرك تمامًا وهو يسقط أنه بذلك لا يتخلَّى فقط عن شرفِ الفوز في المبارزة، بل أيضًا يد الملكة التي كانت تُشكل بالنسبة له فرصةَ العمر.

لم ينتظر حتى يرى إذا كان ستيفان قد أُصيب بجرحٍ أم لا، فذهب مباشرة إلى بهو القلعة حيث كانت الرايةُ الملكية تُرفرف، وطالب باستلام مكافأته على الفور.

وتحوَّلَت أنظار جميع المشاهدين نحو الملكة متوقِّعين قيامها بالانحناء أمام جيرالد وبتقديم هديةٍ ثمينة للفائز. وعوضًا عن ذلك ابتسمَتْ بوقار، ممَّا أثار دهشة الجميع، وقالت بأنها قبل أن تُوافق على الزواج فيجب أن يكون هناك اختبارٌ آخرُ وأخير. واقترحَت

أن يُواجِهَ كلٌّ من جيرالد وستيفان بمفردهما فارسَين من البلاط الملكي، ومن يستطيع أن يطرح خَصمه عن صهوة جواده سيكون سيِّدَها وسيد المملكة. وحُدِّد موعد بدء المبارزة في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي.

كان جيرالد يذرع أرضَ غرفته طوال الليل جَيئةً وذهابًا، فهو لا يجرؤ على المشاركة في هذه المبارزة القادمة، محاولًا بكل ما يستطيع أن يهتديَ إلى طريقةٍ ما تُمكنه من الهرَب من هذا الاستحقاق الملكي. كان يتنقَّل بقلقٍ ظاهر طوال الليل بين باب الغرفة والنافذة. وفي الصباح عندما انطلق صوت البوق مُعلنًا قُرب بدء المبارزة، وأخذ الفُرسان المتنافسون يمتطون صهوة جيادهم استعدادًا لبدء المبارزة، أرسل الملك عددًا من أتباعه ليرى ماذا حلَّ بجيرالد حيث رأوه يختبئ تحت سريره. ولذلك لم يعُد هناك حاجة إلى أي دليلٍ إضافي لإثبات الحقيقة، ومن ثم تمَّ الإعلان عن إلغاء المبارزة لأنها أصبحَت غير ضرورية بعد انكشاف الحقيقة، وأعلنت الملكة عن قَبولها ورضاها الكامل بستيفان زوجًا لها.

وعندما كانت الملكة تجلس وحيدةً مع ستيفان، قالت له: «لقد نسيتَ شيئًا واحدًا. عندما رأيتُ خاتم والدي الذي سرقه حنكور الطويل في إصبع يدك اليُمنى عرَفتُ أنك أنت وليس جيرالد مَن قتل عصابة اللصوص. أنا كنتُ التابعَ الذي واجهك في المبارزة؛ حيث رأيتُ للمرة الثانية الخاتمَ في إصبعك، الذي افتقدتُه في أصابع جيرالد عندما تقدَّم للمطالبة بمكافأته. وهذا هو السبب في أنني طلبتُ إجراء مبارزةٍ بينكما على الرغم من أن وفاءك للعهد الذي قطعتَه على نفسك أمام جيرالد قد حال دون نجاحِ خُطتي. ولذلك كان يتعيَّن عليَّ أن أُحاول إجراء اختبارٍ آخر. إن الرجل الذي يُوفي بعهده مهما كانت الظروف جديرٌ بأن أثق به بالنسبة لي بشكلٍ شخصي، وبالنسبة لرعايا مَملكتي ككل.»

وهكذا تزوَّج ستيفان الأميرة وعادا إلى مملكتهما، وقاما بالحفاظ على أمن المملكة وحُسن معاملة رعاياها وإدارة شئونها بروح العدل والإنصاف. وبعد انقضاء عدة سنواتٍ طرقَ مُتسوِّلٌ فقير بوابة القصر يطلُب مالًا ومُستذكرًا الأيام الخوالي. لقد كان هذا المتسول جيرالد ولا أحد غيره، وقد رُحِّب به وسُمح له بالدخول.

هنداوي